1485

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة وهران

كلية الآداب - اللغات و الفنون

قسم اللغة العربية و آدابها

التناص في مناامات الوهراني و مقاماته و رسائله

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في مشروع الأدب الجزائري القديم

رئيس المشروع : أ . د . مختار حبار

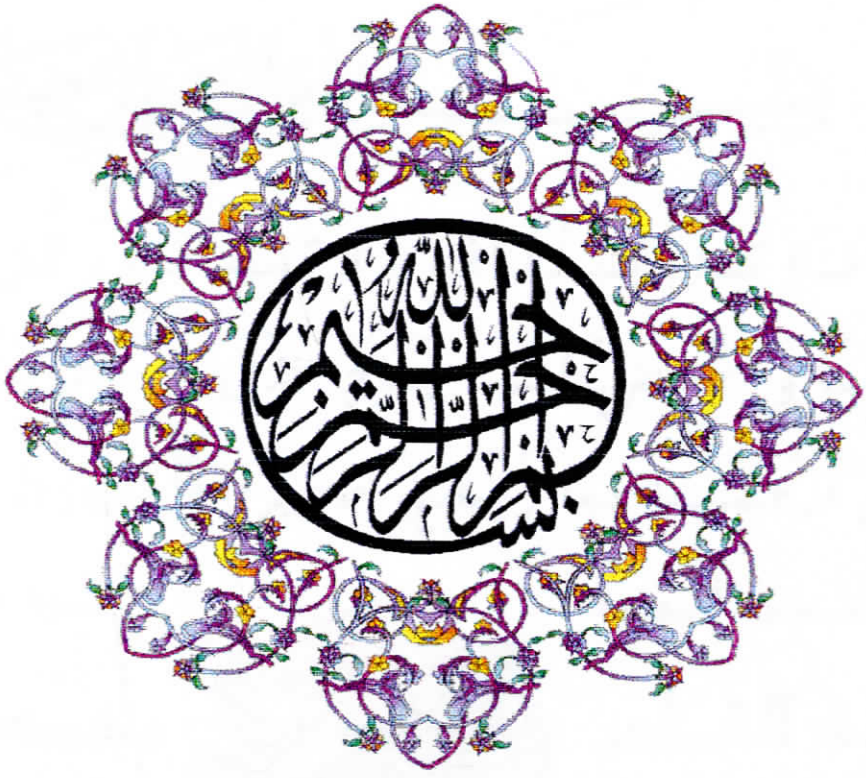
إعداد الطالبة :

سوميشة خلوي

إشراف الأستاذ الدكتور :

مختار حبار

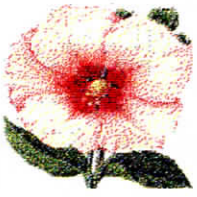
السنة الجامعية : 1426 - 1427 هـ / 2005 - 2006 م


بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

إلى من قال ﷻ في حقهما ، حبا و ابتغاء لمرضاتهما و تودد إليهما :



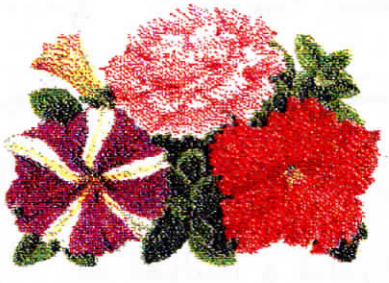
بسم الله الرحمن الرحيم

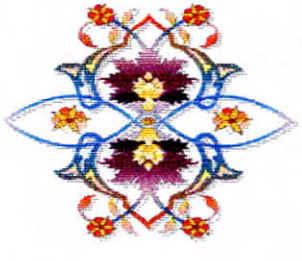
﴿ فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَ لاَ تَنْهَرْهُمَا وَ قُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُلّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ قُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا ﴾ الإسراء : 23 / 24

... أهدي إليهما ثمرة غرسي ...

عبد القادر و حسناء

- حفظهما الله -





و إلى إخوتي : محمد الأمين ... هشام ... بدر الدين





كلمة شكر و تقدير



الحمد لله على نعمة العقل التي أنعم علي بها ، فالشكر في كل الأمور له، و اللهم أعوذ بك من علم لا ينفع ، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ۞ علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ۞ و إن طالت الأيام و اتصل العمر

و لأن من أعجب برأيه ضل و من استغنى بعقله زل و من جالس العلماء و المفكرين تعلم و وقر .

و لأنه صدق من قال :

إذا أنا لم أشكر على الخير أهله ۞ و لم أذمم الجبس اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير و الشكر باسمه ۞ و شق الله لي المسامع و الفما

فالفضل في إتمام بحثي هذا يعود لأستاذي المشرف الدكتور مختار جبار الذي تعهد بحثي بالرعاية و المتابعة مذ كان فكرة ، و تعب معي أيما تعب ، فلا يسعني إلا أن أتضرع إلى العلي القدير أن يجازيه خير الجزاء و أعظم الأجر و أن يوفقه لخدمة اللغة العربية إليك أستاذي الفاضل أقول :

أوليتني نعما أبوح بشكرها ۞ و كفيتني كل الأمور بأسرها

فلأشكرنك ما حييت و إن أمت ۞ فلتشكرنك أعظمي في قبرها



من كل ما سبق برزت لدينا رغبة جامحة في تناوله ، و شعرت أنني عثرت على بغيتي ، فعزمت – بعون الله – على اقتحام آفاقه و ارتياده ، و بعد محاولات عديدة اقتنعت بأن الأداة الإجرائية الملائمة لدراسة نصوص الوهراني هي التناص ، و هو اختيار لم يأت صدفة ، بل كان نتاج ملاحظات عميقة و بحث أولي دقيق ، ساعدنا فيه أستاذنا المشرف على اكتشافه بوصفه ظاهرة مهيمنة في عمل الوهراني كله .

إذ بعد ذكرنا للمنام و المقامة و الرسالة فإننا نتجه صوب التفكير في النتاج الأدبي الذي خلفه لنا الموروث الثقافي العربي – قبل الوهراني – من خلال مجموعة من الأعمال الأدبية لأعلام أبدعوا فعلا في هذا المجال ، مما دعانا لطرح التساؤل التالي :

هل الوهراني بالفعل قد أبدع مناماته و مقاماته و رسائله معماريا و موضوعاتيا و أسلوبياتيا و معجميا ؟ أم أنه حاكى من سبقه من الأدباء و نهج مسالكهم و تأثر بمناويلهم ؟ و إذا كان الأمر كذلك فبمن تأثر ؟ و في أي الجوانب كان مقلدا و محاكيا ؟

هذا التساؤل المنهجي دفعنا إلى الرجوع لأهم الإبداعات الأدبية التي تَمُتّ بصلة إلى أعمال الوهراني ، و التي كانت تتداعى كلما تعمقنا في القراءة كغفران أبي العلاء المعري و مقامات الهمذاني و رسائل الجاحظ ، حينها فقط بدأ التفكير مليا و جديا في تأثر الوهراني بهؤلاء ، فعزمنا على إثبات ذلك ، و من هنا تمت صياغة الموضوع على النحو الآتي :

" التناص في مناامات الوهراني و مقاماته و رسائله " .

إن هذا الموضوع بالصفة التي اقترحناها لم يحظ باهتمام الدراسات الأكاديمية – حسب علمنا – ماعدا ثلاثة دراسات نظرت إليه من أوجه مختلفة على ما ذهبنا إليه ، أولها لمحمد نغش و المعنونة بـ ((ركن الدين الوهراني حياته و أدبه)) و التي حصل بها على درجة الماجستير من جامعة القاهرة سنة 1962 م ، و هو من حقق مؤلف

الوهراني رفقة إبراهيم شعلان ، و ثانيها ((ابن محرز الوهراني مقاماته و رسائله)) لفاديا عبد الوهاب خليفة ، و التي نالت برسالتها درجة الماجستير من الجامعة الأردنية سنة 1996 م ، و أخيرا ألفينا دراسة أكادمية أخرى نظرت إلى منامات الوهراني و مقاماته و رسائله من الجانب اللغوي ، والموسومة بـ ((التركيب اللغوي في منامات الوهراني)) ، والتي حصل بها صاحبها عبد القادر مغدير على درجة الماجستير من قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة وهران ، العام 1999 / 2000 م .

من هذا المنطلق تنوعت مكتبة هذا البحث بين ما تعلق بالمادة النقدية و ما صاحب الموضوع من مصادر و مراجع ، فقد اعتمدنا على أعمال ابن محرز الوهراني الملقب بركن الدين (- 575 هـ) باعتبارها الثابت من الدراسة و المعنونة بـ : " منامات الوهراني و مقاماته و رسائله " و التي قام بتحقيقها الأستاذان إبراهيم شعلان و محمد نغش ، سنة 1968 م .

أما ما ساعدنا من المراجع على تمثل نظرية التناص ، فقد تنوع بين التراث العربي القديم و بين النقد الغربي الحديث و تجلياته في النقد العربي الحديث على حد سواء ، إذ رجعنا إلى كتاب العمدة لابن رشيق و المثل السائر لابن الأثير و الوساطة بين المتنبي و خصومه للعسكري و غيرها ، إضافة إلى المراجع العربية الحديثة والتي كان من أهمها : السرقات الأدبية لبدوي طبانة و إستراتيجية التناص و دينامية النص لمحمد مفتاح و نظرية التناص لحسين جمعة و غيرها مما أفدنا منه داخل متن البحث ، و من النقد الغربي استأنسنا بما كتبته الباحثة البلغارية جوليا كريستيفا في كتابها (Semiotiké) ، و الباحث الفرنسي جيرار جينيت في (Introduction de l'architexte) و غيرهما من الدراسات في هذا المجال و التي أثبتناها في قائمة المصادر و المراجع .

و بعدما تزوّدنا بهذا الرصيد المعرفي حول أداتنا الإجرائية ، عوّلنا على تتبع التناصات المتعددة في " منامات الوهراني ومقاماته و رسائله " و رصدنا ما أمكننا من تقاطعات نصية في إطار المباحث التي أقمنا عليها البحث ، الأمر الذي قادنا إلى الرجوع

لمظان متعددة ، و يأتي في مقدمتها القرآن الكريم ، و أحاديث الرسول ﷺ بما احتوته من القصص القرآني ذو الصلة بالعالم الآخر و هما المصدران اللذان استلهم منهما كثير من الأدباء في العربية على وجه الخصوص ، منهم المعري و الذي كان أول من صاغ رائعته رسالة الغفران ، فقلده بعض من جاء بعده ، أما في ما يخص مقاماته ، فقد وجدناه حاكى فيها الهمذاني ، بينما ألفيناه في رسائله قد سار على نهج الجاحظ في رسالة التربيع و التدوير ، و كل هذه الأعمال حاكاها الوهراني معماريا و موضوعاتيا و أسلوبياتيا و معجميا .

و فضلا عن ذلك ، فإننا اعتمدنا على نصوص أخرى ، أخذ الوهراني منها متبعا من سبقوه ، كدواوين الشعر القديم ومجمع الأمثال للميداني و غيرهما كثير .

أما منهجنا في هذا البحث فقد سرنا فيه وفق فكرة التناص ثم تحريرها وفق طريقة إجرائية اعتمدنا فيها على عدد من الأدوات الأخرى تنوعت بين المعمار و الموضوعة و الأسلوب و المعجم و التي تآزرت فيما بينها و تكاملت في قراءة جوانب التناص المختلفة .

و لقد توصّلنا إلى هذا بفضل التوجيهات المنهجية الصائبة التي قدمها لنا مشكورا السيد المشرف الدكتور " [illegible] " ، و من ثم سرنا في البحث وفق خطة ضمت أربعة فصول و مدخل نوجزها فيما يلي :

ففي ما يخص المدخل ، فقد حاولنا الإلمام فيه بثلاث قضايا : خصّصنا الأولى منها للتعريف بشخصية الوهراني ، و الثانية منها للتعريف بأعماله الأدبية ، و أما الثالثة منها فقد تناولنا فيها الأداة الإجرائية التي واءمت عمله من حيث فكرتها قديما و حديثا ، و وقفنا على أهم سبل الإجراء فيها مما ساعدنا على قراءة أعمال الوهراني قراءة تناصية .

و في ما يتعلق بالفصل الأول ، فقد عنوناه بالتناص المعماري ، ابتدأناه بتمهيد عرفنا فيه بالبناء المعماري كما طرحه النقد الحديث ، و انطلقنا منه لدراسة معمار المنام في محور أول و معمار المقامات في محور ثان و معمار الرسائل في محور ثالث

و تعرضنا في أثناء كل محور إلى الأعمال التي تناص معها الوهراني تناصا معماريا .

أما الفصل الثاني فقد خصصناه لمدارسة التناص الموضوعاتي ، افتتحناه بمدخل في الموضوعة مثلما تصورتها الأعمال النقدية الحديثة ، ثم تدرجنا نحو دراسة التناصات الموضوعاتية في ثلاثة محاور : المنام ثم المقامات فالرسائل ، و في كل مرة كانت تستوقفنا الأعمال الأدبية التي تناص معها الوهراني .

أما الفصل الثالث فقد أفردناه للتناص الأسلوبياتي بحيث استهللناه بمدخل حول الأسلوب من منظور النقد الحديث ، ثم رصدنا أهم الأساليب المتناصة في أعمال الوهراني بدءا من المنامات ثم المقامات و أخيرا الرسائل فشكّلت لدينا ثلاثة محاور ، و كنا في كل مرة نعرض الأعمال الأدبية التي تأثر بها الوهراني في أساليبها .

و أنهينا العمل بفصل رابع جعلناه لدراسة التناص المعجمي ، بدأناه بتمهيد حاولنا تسليط الضوء فيه على مفهوم المعجم في العمل الأدبي ، و هذا تمهيدا لإحصاء المعاجم المتناصة في مؤلف الوهراني من منام ومقامات ورسائل مقارنة برسالة الغفران و مقامات الهمذاني و رسائل الجاحظ – كما سرنا عليه في الفصول السابقة – .

لكن هذه الخطة المنهجية لم تستقم لنا على ما هي عليه الآن بدون عوائق ، إذ واجهتنا – منذ أن شرعنا في البحث – صعاب و مشكلات متعددة ، ولعلّ من أهمها : طبيعة أداتنا الإجرائية التي طبقناها على نصوص الوهراني ، و المتمثلة في نظرية التناص ، وما تستوجبه من خلفية فكرية واسعة و فهم دقيق لمختلف المصادر التي تناص معها الوهراني ، يضاف إلى ذلك صعوبة الإفادة من المصادر النقدية القديمة التي تناولت السرقات الأدبية و ما يدور في فلكها من جهة ، و التناص الحديث و ما قيل حوله من جهة أخرى ، نظرا لتعدد الآراء حوله و تشعبها ، و انتشارها في الكثير من المؤلفات .

و بالموازاة مع التناص الذي شكّل المنهج العام للبحث ، هناك صعوبات أخرى واجهتنا تتعلق بالأدوات الإجرائية الفرعية الأخرى التي انضوت تحته و ما شكلته من

مفاهيم منفصلة ، مثل كل واحد منها إجراء مستقلا و من ثم ضرورة الرجوع إليها مما جعل أفق القراءة أوسع و أرحب و لكن أشق .

و من جهتنا لم ندخر جهدا من أجل تذليل ما أمكن من هذه العقبات ، و رغم هذه المحاولة ، فلا ندعي مطلقا أننا ألممنا بجوانب الموضوع و وفيناه حقه من التحليل و الدراسة ، نظرا لاتساع هذا المجال و تنوعه ، لكننا حاولنا تقريب صورته قدر الإمكان .

و قبل أن ننهي سطور هذه المقدمة ، و عرفانا بالفضل نود أن نسجل شكرنا الجزيل ، و امتناننا العميق ، وتقديرنا الكبير إلى أستاذنا الدكتور " مختار جبار " الذي شجّعنا على كتابة بحثنا هذا ، منذ كان مجرد فكرة فتعهّده بالعناية و الرعاية ، ووجّهه حيث ينبغي أن يكون ، و أرشدنا حين تُهْنا عن الصواب ، و ثبّت عزيمتنا حين أصبح البحث هاجسا مرافقا للحظات حياتنا مما لا يدركه و لا يحس به إلا من دخل معترك البحث العلمي ، إلى أن خرج بحثنا إلى النور ، فلأستاذي الفضل الكبير في إنجازه ، جزاه الله خيرا عنا .

كما أشكر الأستاذ الدكتور " مختار بوعناني " على منحه لنا مؤلف الوهراني بعدما انقطعت أمامنا كل السبل للعثور عليه ، و على ما أمدّني به من مراجع هامة كنت بأمَسّ الحاجة إليها ، فمني كامل التقدير و الاحترام و الاعتراف بالجميل ، دون أن ننسى أساتذة قسم اللغة العربية و آدابها الذين شجعوني بالكلمة الطيبة ، و في مقدمتهم الأستاذ الدكتور " عبد الله بن حلي " و الأستاذ المحترم " محمد بن سعيد " اللذان لم يتوانيا لحظة في دعمنا معنويا و تشجيعنا على البحث المستمر ، دون ملل أو كلل .

كما لا يفوتني أن أتقدم بالامتنان الكبير و الشكر العميق لزملائي و أصدقائي الذين لم يبخلوا عليّ بما وجدوه ذا بال و يمت بصلة لبحثي ، أو بكلمة طيبة أزالت عن قلبي قلق السؤال و حيرة البحث و الاستقصاء ، و أوّلهم الغالية على قلبي الأستاذة " غربي شميسة " و آخرين لا يتسع المقام ها هنا لذكر أسمائهم ، جزاهم الله خيرا .

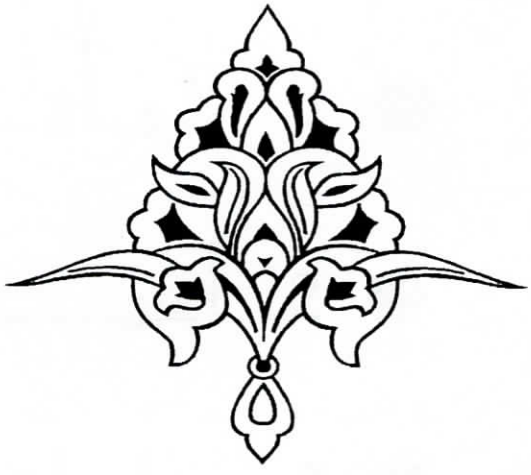
و الله من وراء القصد و هو يهدي إلى السبيل القويم ، أسأل الله ﷻ أن يرزقنا علما نافعا و قلبا خاشعا ، و يوفقنا لشكر أنعمه .

❁ **الطالبة : خلوي سوميشة** ❁

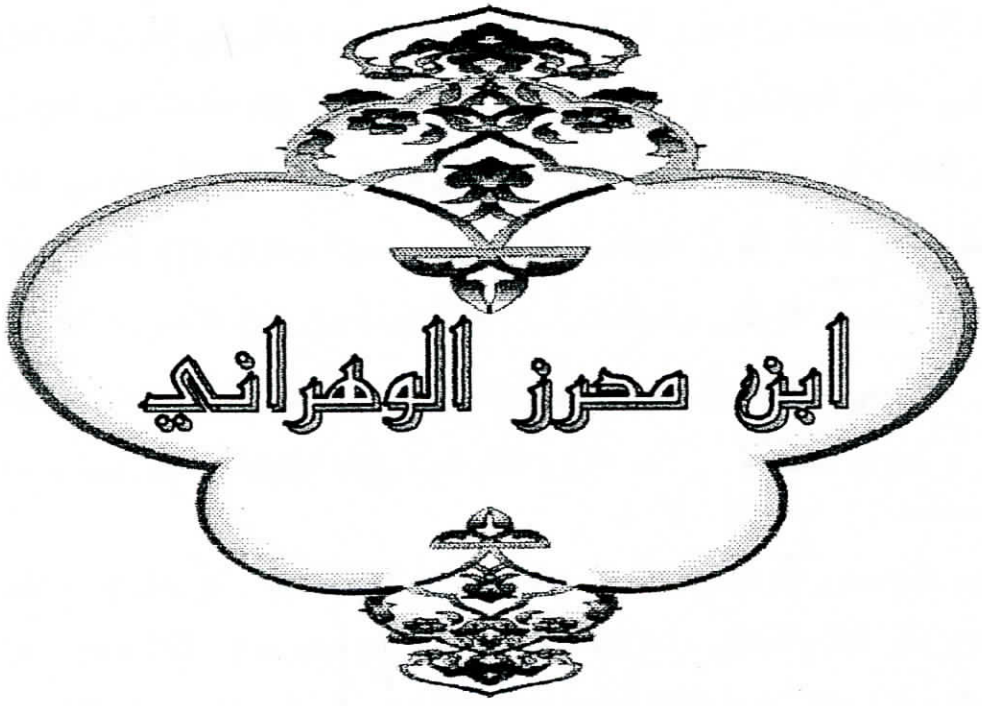
وهران : السبت 12 ربيع الثاني 1425 هـ .

24 ماي 2005 م .

التاسعة ليلا .



مدخل



1 ❁ حياته

2 ❁ أدبه

3 ❁ تلامذته

1 / حياته :

أبو عبد الله بن محمد بن محرز الوهراني أديب جزائري ، عاش في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ، المظان التي رجعنا إليها (1) سكتت عن تدوين تاريخ محدد لولادته ، في حين تذهب بعضها (2) إلى أنه قد ولد على الأرجح في عهد الدولة المرابطية في بداية القرن السادس الهجري ، بمدينة وهران (3) إحدى مدن الجزائر ، وصفها محمد الزياني بقوله:<< ... هي مدينة من مدن المغرب الأوسط بساحل البحر الرومي عظيمة ذات مساحة و فخامة جسيمة و بساتين و أشجار و مياه عذبة و أطيار و حبوب عديدة ... >> (4) ، و لقد شبّ بهذه المدينة و عاش بها عدد

---

(1) ممن ترجم لابن محرز الوهراني حسب أهم المظان التي اهتدينا إليها : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،: 4 / 19 ، أبو الفلاح الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،: 2 / 252 ، خير الدين الزركلي ، الأعلام ،: 7 / 241 ، إسماعيل البغدادي ، هدية العارفين و آثار المصنفين ،: 6 / 98 ، ابن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و فرنسا إلى آخر القرن التاسع عشر ،: 1 / 95 ، أبو القاسم الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ،: 494 ، عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ،: 350 ، أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،: 2 / 207 – 208 ، عبد الرحمن الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،: 2 / 319 – 320 ، يحيى بوعزيز أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ،: 2 / 193 – 208 ، عبد اللطيف حمزة ، الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية ،: 203 – 209 ، رشيد بورويبة و آخرون ،: الجزائر في التاريخ ،: 343 . و غيرهم .

(2) يحيى بو عزيز ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، : 2 / 183 .

(3) ورد ذكرها في معجم البلدان لياقوت الحموي ،: 4 / 942 – 943 ، و " وهران " اسم بطن من بني صخر غرب الكرك ، كانت مساكنه بجبل عوف بالشام ، ينظر : عمر رضا كحالة ، معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة ،: 3 / 1255 .

(4) محمد بن يوسف الزياني ، دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران ،: 25 .

لا يستهان به من رجال الفكر و الثقافة والأدب و الأولياء الصالحين ممن ذاع صيتهم و انتشرت سيرتهم (1) عبر مختلف مراحل الحضارة الإسلامية .

لقد عاش الوهراني بموطنه الأصلي تحت سلطة الدولة المرابطية (التي تأسست بالمغرب على يد يوسف بن تاشفين العام 461 هـ ، و التي استمرت حتى مقتل آخر أحفاده سنة 541 هـ ، و انقرضت بموته دولة المرابطين) (2) .

و من ثم شهد الوهراني كيف (صار ملك المغرب إلى الموحدين و على رأسهم عبد المؤمن بن علي ، الذي استطاع الموحدون في عهده أن يبسطوا نفوذهم على دول المغرب العربي جميعا وشطر من الأندلس ، فوحدوها تحت سلطانهم ، حتى سقوط حاضرتها مراكش العام 668 هـ) (3) .

في هذا الظرف السياسي تعلم الوهراني و درس مختلف العلوم الإسلامية و اللغوية ، لكننا لا ندري إن كان قد تنقل عبر حواضر المغرب الإسلامي للتتلمذ على يد المشايخ أم أنه اكتفى بالدراسة في وهران ، نظرا لكون المصادر التي ترجمت له لم تتحدث عن ذلك ، كما أن آثاره التي خلفها لم تشر إلى ذلك أيضا .

ويبدو أن الوهراني كان متطلعا إلى المناصب العليا لقدرته على الإنشاء و الكتابة الديوانية ، بيد أنه لم يجد سبيلا إلى مبتغاه بوهران ولا في بلدان المغرب الإسلامي الأخرى خلال عهد الموحدين ، رغم أنهم (اهتموا بالشعر و الشعراء و جعلوهم أصحاب رسالة اجتماعية و دينية لا يمكن الإخلال بها ، على أن تكون دفاعا عن كيان دولتهم و نشرا لمذهبها ، و قياسا على هذا فقد استبعدت الأغراض التي لا تخدم المذهب) (4) .

---

(1) ينظر : ابن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و فرنسا إلى آخر القرن التاسع عشر ،: 55 – 64 .

(2) ينظر : يحيى بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ،: 1 / 170 – 171 .

(3) عبد الله محمد عنان ، عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس ،: 563 .

(4) ينظر : حسن جلاب ، الدولة الموحدية ـ أثر العقيدة في الأدب ـ ،: 05 ، 49 ، 53 .

و الغالب أن الوهراني لم يتفق هذا التوجه السياسي و هَواه ، فعزم على التوجه إلى المشرق العربي الإسلامي فقصد القاهرة بالديار المصرية على عهد الدولة الفاطمية ، لأن القاهرة آنذاك كانت تنافس بغداد وقرطبة في العلم و اجتلاب العلماء ، و في المراكز الثقافية كالمعاهد و المكتبات .

فقد اعتبرت خزانة الكتب بها مفخرة العصر إذ << بلغت جملة ما في الخزانة من الكتب نحو مليون وستمائة ألف – وقيل مليونين – في الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ وسيرة الملوك و النجامة والروحانيات والكيمياء >> [1] ، كما كان الأدب شعره و نثره منتعشا في تلك الفترة << وقوي فيها قوة لم تعتدها مصر قبل هذه الدولة >> [2] .

بالديار المصرية ، شهد الوهراني (سقوط الدولة الفاطمية بموت العاضد سنة 597 هـ ، و قيام الدولة الأيوبية) (3) ، و كان الأدب (من جملة ما اهتم به الأيوبيون فانتعش على أيامهم و تبوأ الأدباء مكانة مميزة في بلاط الحكم ، فوقف الوهراني على وجود فطاحل الكتاب و البلغاء ، و من أبرزهم القاضي الفاضل(- 596 هـ) والعماد الإصبهاني الكاتب (- 597 هـ) وغيرهم من رجال الفكر) (4) .

طمح الوهراني في الالتحاق بديوان الإنشاء (الذي كان يحتل المرتبة الثانية من حيث الأهمية في العصر الأيوبي بعد ديوان الحبس ، و كان القاضي الفاضل على رأسه في ولاية صلاح الدين الأيوبي) (5) ، لكن حيل بين الوهراني و بين ذلك ، حينها علم أنه لن يتمكن من منافستهم و مناهاتهم ، و إلى هذا أشار ابن خلكان في ترجمته للوهراني بقوله :<< علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم و لا تتفق سلعته مع وجودهم فعدل عن طريق

---

(1) حسن زكي محمد ، الأدب العربي في مصر ،: 266 .

(2) محمود مصطفى ، الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي ،: 208 .

(3) ينظر : خاشع المعاضيدي ، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ،: 204 – 206 .

(4) ينظر: عبد اللطيف حمزة ،الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية،:203

(5) ينظر : عصام محمد شبارو ، السلاطين في المشرق العربي ،: 997 – 200 .

الجـد و سلك طريق الهزل >> [1] ، حينها استقر رأي الوهراني على مغادرة مصر .

إلى هنا سكتت التراجم التي أرخت للوهراني عن سفراته لبلدان أخرى ، حتى (اتخذ من دمشق دارا و كان قد استوطنها على أيام صلاح الدين الأيوبي ، ليستقر أخيرا في قرية على باب دمشق في الغوطة تدعى داريا ، أين عُيّن خطيبا في مسجدها ، لضمان مورد عيشه من جهة ، و تجنبا لسلاطة لسانه و سخريته اللاذعة من جهة أخرى ، حتى توفي بها سنة خمس و سبعين و خمسمائة للهجرة (575 هـ) الموافق لسنة ألف و مائة و تسعة و سبعين للميلاد (1179 م) ، و دفن ابن محرز الوهراني – رحمه الله – على باب تربة الشيخ الداراني) [2] .

2 / أدبـــه :

لقد خلف ابن محرز الوهراني منامات و مقامات و رسائل جمعها و حققها كلها و وضعها تحت عنوان " منامات الوهراني ومقاماته ورسائله " ، كل من الأستاذين إبراهيم شعلان ومحمد نغش ، مع مراجعة لعبد العزيز الأهواني العام 1968 م ، و قد اعتمد المحققان في إصدار آثار الوهراني على خمس نسخ (3) ، و للأمانة العلمية لا بد من الإشارة إلى أن صلاح الدين المنجد سبق له أن نشر نسخة رقعة على لسان جامع دمشق من مؤلف الوهراني اعتمادا على نسخة برنستون فقط (4) .

---

(1) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 4 / 19 .

(2) ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 4 / 19 .

(3) مخطوط أستا نبول و مخطوط القاهرة ، مخطوط برنستون PRINSTON بأمريكا و مخطوط مجموع مقامات و رسائل وجدت بمكتبة أحمد تيمور و الكنز المدفون و الفلك المشحون ، ينظر : الوهراني ، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله ،: و.

(4) صلاح الدين المنجد ، الوهراني و رقعته عن مساجد دمشق ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مجلد 40 ، ج 1 ،: 234 / 256 .

عند تصفحنا لعمل الوهراني نجده مؤلفا من منامات و مقامات و رسائل تختلف من حيث الطول و القصر ، و التي سنعرض ما يهمنا منها بالتفصيل أثناء عقد مختلف التناصات في فصول هذه الدراسة ، و قد بلغ عدد النصوص التي يحتوي عليها الكتاب زهاء أربعة و أربعين نصا بين منام و مقامة و رسالة .

فأما المنامات فثلاثة ينتقل من خلالها الوهراني بخياله إلى العالم الأخروي تارة و عالم الجن و الشياطين تارة أخرى ، و يسعى إلى لقاء صلاح الدين الأيوبي في الدنيا نفسها لأنه كان حيا يومئذ ، و أهم هذه المنامات وأطولها " المنام الكبير" (1) ، الذي تصور فيه الوهراني أنه بعث إلى يوم المحشر و التقى هناك بالعلماء و الفقهاء و الشعراء و الوزراء و المتصوفين و غيرهم ، تحاور مع بعضهم ، و وصف أحوال آخرين ، و يبلغ حجم المنام الكبير ثلاثة وخمسون صفحة من الكتاب المجموع .

و منام الوهراني منثور تتخلله أبيات شعرية من نظم الوهراني حينا ، و لغيره أحيانا أخرى ، و عنه يقول ابن خلكان : << ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه ، فإنه أتى بكل حلاوة ، و لولا طوله لذكرته >> (2)

و أما المقامات فرصيد الوهراني منها ثلاثة ، كتب الأولى في بغداد (3) والثانية في صقلية (4) والثالثة (5) في شمس الخلافة (6) ، فأما مقامته البغدادية فحاول الوهراني من خلالها سرد بعض المسائل السياسية المتعلقة بمجال الحكم و الحكام ، كتحدثه عن سيرة عبد المؤمن بن علي وآل أيوب ، أما مقامته الثانية في شمس الخلافة فتدرج ضمن إطار

---

(1) منامات الوهراني ،: 17 – 60 .

(2) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،: 4 / 19 .

(3) منامات الوهراني ،: 1 / 9 و 10 / 16 .

(4) م . س ،: 97 / 102 .

(5) م . س ،: 219 / 223 .

(6) شمس الخلافة اسم لبطل هذه المقامة .

النقد الاجتماعي ، إذ أزاح الستار عن ظاهرة الإخلال بالقيم الدينية و الاجتماعية القويمة ، و المتمثلة في ادّعاء الكثير من الناس التفقه في الدين من غير علم ، و قد جعل الوهراني من شمس الخلافة رمزا حيا لهذا النوع من الناس ، بينما حاول الوهراني في مقامته الثالثة و المسماة المقامة الصقلية مدح رجال معينين في أحد المجالس .

و أخيرا أخرج الوهراني نماذج متنوعة من الرسائل ذات الموضوعات المختلفة و التي بلغت زهاء ثلاثة و ثلاثين رسالة ، أنطق فيها الجماد والحيوان ، ففي رسالة كتبها على لسان جامع دمشق ، جعل من هذا الأخير لسان حال مساجد دمشق و ما حولها ، ومشاهد ومدافن الأنبياء والمرسلين ، فاجتمعت المساجد ، ولجأت إلى أميرها جامع بني أمية ، لترى ما هي فاعلة بعد ما مسها من ضياع .

وكتب الوهراني ، على لسان بغلته (1) إلى الأمير " عز الدين موسك " تخبر البغلة فيها الأمير بحالها ، بعدما أشرفت على الهلاك ، لما تقاسيه وتعانيه عند مالكها من مواصلة الصيام ، وقلة الشعير و القضيم رغم ما يملكه سيدها .

كما أنطق الوهراني المئذنة (2) ، فكتب على لسانها خطبة على لسان قاضي القضاة ، يطلب فيها من السامعين شكر الله ﷻ على تشريف دولة أئمتهم من بني العباس ، بالقاضي " أبو القاسم عبد الله بن درباس " ، و وصفه بأفضل الشيم .

وللوهراني رسالة في الطير (3) ، ذكر فيها محاسن كل ذي جناح وفضله على الإنسان و الطبيعة ، أما بقية الرسائل (4) فموجهة للأمراء والقضاة وأولي الأمر آنذاك ، والأدباء والشعراء ، فيها الكثير من التهكم بأشخاصهم .

و عن منامات الوهراني و مقاماته و رسائله يقول عبد العزيز الأهواني أثناء تقديمه

---

(1) منامات الوهراني ، : 90 – 94 .

(2) م . س ، : 95 – 96 .

(3) م . س ، : 234 – 237 .

(4) م . س ، : ينظر على سبيل المثال : 72 ، 75 ، 86 ، 103 ، 111 ، 128 ، 130 ، 152 ... .

لهذا العمل الأدبي بعد تحقيقه : << هذه المجموعة من النصوص تمتاز في تاريخ النثر الفني في الأدب العربي ، بميزات ترفعها إلى مقام عال (...) و أسلوبه يضيف للنثر العربي ثروة و يفتح للدارسين آفاقا >> [1] .

3 / تناصاته :

إن وسم الوهراني لأدبه باسم المنامات و المقامات و الرسائل ، يدفع أي قارئ إلى التساؤل عن وجه الشبه بينها و بين مقامات بديع الزمان الهمذاني والحريري أو بينها و بين رسائل الجاحظ مثلا ، آخذين بعين الاعتبار السبق الزماني لهؤلاء الرائدين على الوهراني ، ويصب هذا التساؤل في أغلبه حول العلاقات التي يمكن أن تكون بين هذه الإبداعات ، مما يجعل درسها يدخل في إطار ما عرف في النقد العربي بالتقليد و الأخذ و السرقة أو ما يوسم اليوم بمصطلح (**التناص**) أي (**l'intertextualité**) في النقد الغربي .

و ذلك هو الذي لفت انتباهنا و عوّلنا على تتبعه في هذا العمل ، و قبل ذلك لا بد من بسط بعض القول في نظرية التناص التي جعلنا منها عمدتنا الإجرائية في هذه الدراسة ، بدءا من التراث العربي القديم وصولا إلى الخطاب النقدي الغربي الحديث .

إن المتتبع لمسار النقد في الأدب العربي القديم لا يمكن له أن ينكر أثر هذا الخطاب التراثي في مختلف أنماط الخطاب النقدي المعاصر و لا أثر التفاعل بينهما مع بروز الخصائص المميزة لكل ثقافة على حدة ، في هذا الإطار يمكننا رصد نظرية التناص برؤية مشتركة بين الامتداد الثقافي العربي من جهة و الخطاب النقدي الغربي من جهة أخرى ، و هنا يحق لنا أن نبدي التساؤل التالي : كيف تناول النقاد العرب القدامى نظرية التناص ؟ و ما هي المفهومات و المصطلحات النقدية التي أطرتها ؟

---

(1) منامات الوهراني ،: و .

لقد تعددت المفاهيم و المصطلحات النقدية التي أطرت نظرية التناص في التراث النقدي العربي ، لكنها لا تخرج عن إطار " **السرقات الأدبية** " فهي << تشكل نواة صالحة لجذور نظرية تناصية >> [1] ، أثـرت الممارسات النقدية التطبيقية الحديثة ، بيد أنها لم تجتمع في إطار تنظيري موحد كما هو الحال في نظرية التناص رغم حظوتها باهتمام النقاد العرب القدامى (2) الذين استفاضوا في الحديث عنها و في تعداد أنواعها .

و بناء على هذا المعنى العام ، فالسرقة << قديمة في تاريخ الفكر الإنساني وجدت عند اليونان و الرومان منذ عهد بعيد >> [3] ، و من ثم فقد عرفها الأدب العربي عبر مراحل تطوره ، بدءا من الشعر العربي القديم الذي و صل إلينا من العصر الجاهلي ، و قد وقف الشاعر العربي في تلك الفترة إزاء السرقة موقفا يلخصه لنا طرفة بن العبد في أحد أبياته قائلا :

<< وَ لا أغِيرُ علَى الأشعَار أسْرقُهَا ❁❁❁ عَنْهَا غنَيت وَ شرّ النـّاس مَن سَرَقا>> [4]

لكن هذا لم يمنع من انتشار السرقات الأدبية ، إلى أن اتسعت دائرتها في العصر العباسي << إلى حد لم تبلغه في العصور السابقة >> [5] .

إن آراء النقاد العرب القدامى لم تكن أحادية الاتجاه ، و بالتالي << فإن النتائج التي

---

(1) نور الدين صدار ، السرقات الأد بية في ضوء نظرية التناص (رسالة ماجستير مخطوطة) ،: 19 .

(2) أهم من تطرق لمسألة السرقات في النقد العربي القديم : ابن الأثير في : المثل السائر ، المظفر العلوي في : نضرة الإغريض في نصرة القريض ، ابن رشيق القيرواني في : العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، القاضي الجرجاني في : الوساطة بين المتنبي و خصومه ، الآمدي في : الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري ، أبو هلال العسكري في : الصناعتين ، و غيرهم .

(3) محمد مصطفى هدارة ، مشكلة السرقات في النقد العربي ،: 04 .

(4) طرفة بن العبد ، الديوان ،: 180 .

(5) محمد مصطفى هدارة ، مشكلة السرقات في النقد العربي ،: 29 .

توصلوا إليها كانت متباينة من ناقد لآخر >> [1] ، باختلاف مصادر كل ناقد و تنوع مشاربه ، و من ثم << عولجت السرقات الأدبية في ضوء التوجهات المتفقة أحيانا و المتضاربة أحيانا أخرى >> [2] .

فالآمدي يرى أن سرقات المعاني لا تعد من كبرى المساوىء ، وقد اعتبرها << باباً ما تعرى منه متقدم و لا متأخر >> [3] ، و لا تكون إلا في البديع الذي يختص به الشاعر في المعاني المشتركة بين الناس .

و يشاطره العسكري في طرحه هذا إذ << ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممّن تقدمهم و الصبّ على قوالب من سبقهم >> [4] بشرط << أن يكسوها ألفاظا من عندهم و يبرزوها في معارض من تأليفهم و يوردوها في غيرحليتها الأولى (...) فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها >> [5] .

و يؤكد ابن الأثير نفس المعنى الذي ذهب إليه العسكري و الآمدي بقوله : << و اعلم أن الفائدة من النوع – السرقات – أنك تعلم أين تضع يدك في أخذ المعاني ، إذ لا يستغني الآخر عن الاستعارة من الأول >> [6] .

فالسرقة من وجهة نظر الآمدي و العسكري و ابن الأثير ، ضرورة فنية لا يمكن للمبدع الاستغناء عنها ، فتداول المعاني بين الناس ليس عيبا لكن يبقى على الآخذ أن يكون حاذقا في التعامل مع ما أخذه ، و ذلك بتحويله و تعديله فتصبح حينئذ السرقة عملية شرعية ملازمة للإبداع .

و نحن نتحدث عن موقف النقاد العرب القدامى من موضوع السرقات ، يستوقفنا ابن رشيق القيرواني في عمدته باعتباره << قد نهج في دراسته للسرقات منهجا استوعب

---

(1) ، (2) نور الدين صدار ، السرقات الأدبية في ضوء نظرية التناص ،: 09 ..

(3) أبو القاسم الآمدي ، الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري ،: 1 / ،: 290 .

(4) ، (5) أبو هلا ل العسكري ، كتاب الصناعتين ،:202 .

(6) ابن الأثير ، المثل السائر ،: 3 / 218 .

جميع الأفكار التي سبقته كما أضاف إليها نظرات خاصة مبكرة لها قيمتها النقدية >> [1] ، و قد خص هذا الموضوع بابا مستقلا في عمدته ، أسماه باب السرقات و ما شاكلها (2) .

و قد قسم ابن رشيق السرقات إلى (سرق اللفظ مع المعنى و سرقة المعنى مع تغير بعض من اللفظ و سرقة تعتمد على تغير بعض من المعنى أو قلبه ، و تبعا لهذا فقد اقترح ابن رشيق مصطلحات عدة مدعما كل واحد منها بالشواهد و التي نختصرها فيما يلي : الإصطراف و الإغارة و الغصب و المرادفة أو الاسترداف و الاهتدام أو النسخ و النظر أو الملاحظة و الإلمام و الاختلاس أو النقل و الموازنة و العكس و المواردة و الالتقاط أو التلفيق أو الاجتلاب و التركيب و كشف المعنى) [3] ، و هي في مجملها مصطلحات << أقرب إلى علم البديع منها إلى النقد ، و قد تطرق إليها غير واحد من النقاد لكن ابن رشيق توسع فيها >> [4] .

و مهما اختلفت آراء النقاد العرب القدامى ، فإن النقد العربي القديم نظر للسرقات الأدبية على أنها << استقصاء المعاني و ردها إلى أصولها لوجود أدنى تشابه >> [5] ، مهما كان مصدرها سواء أ كان من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو من أشعار العرب و كلامهم ، و بالتالي كان هدف هؤلاء النقاد هو << البحث عن الأصول و عن المصدر الأول للنص الأدبي (...) و ليس باعتبار النص الأدبي فسيفساء من النصوص فيما بينها >> [6] .

فالنقاد العرب عالجوا في نقدهم النصوص و تفطنوا لظاهرة التناص ، لأن الكثير من المفهومات النقدية القديمة تقارب في دلالتها أنواع التناص ، و كانت ثمرة جهود هؤلاء

---

(1) الشيخ بوقربة ، المنهج النقدي عند ابن رشيق القيرواني (رسالة ماجستير مخطوطة) ص 240

(2) ، (3) ابن رشيق القيرواني ، العمدة ، : 2 / 280 – 293 .

(4) بشير خلدون ، الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ، : 231 .

(5) محمد مصطفى هدارة ، مشكلة السرقات في النقد العربي ، : 239 .

(6) أنور المرتجي ، سيميائية النص الأدبي ، : 59 .

النقاد انبثاق مجموعة من المفهومات و المصطلحات أثْرت ممارساتهم النقدية ، لكنها تميزت بتعدد التسميات و كثرة المفهومات و تداخلها مما يجعل فصلها صعبا و ايرادها جميعا ضربا من التكرار .

و سنفصل الآن القول في بعض المصطلحات التي لها علاقة بموضوع بحثنا ، و التي ستجد لها مكانا للتطبيق على نصوص الوهراني بالموازاة مع الأعمال الأدبية التي حاكاها ، كالاقتباس و التضمين و الاستشهاد و التلميح .

1 – الاقتباس :

و هو<< إتيان المتكلم في كلامه بشيء من ألفاظ القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف من غير تغيير كثير على وجه لا يكون فيه إشعار بأنه من القرآن أو من الحديث >> [1] ، تضمينا كليا أو جزئيا فيكون بذلك الاقتباس إضافة نوعية إلى النص الأصلي .

لكن الاقتباس ليس فقط << أن يزين المتكلم كلامه بعبارة من القرآن يظهر أنها منه و إنما يحسن و يكون مقبولا إذا وطن لها في الكلام بحيث تكون مندرجة فيه داخلة في سياقه دخولا تاما >> [2] .

2 – التضمين (citation) :

و هو << قصدك إلى البيت من الشعر أو القسيم ، فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه كالتمثل >> [3] ، فيكون بذلك تواصل جديد بين دلالات عديدة .

---

(1) محمد التوينخي و راجي الأسمر ، المعجم المفصل في علوم اللغة ،: 1 / 83 .

(2) نور الدين السد ، الأسلوبية و تحليل الخطاب الشعري ،: 119 / عن حسين المرصفي ، الوسيلة الأدبية للعلوم العربية ،: 84 .

(3) ابن رشيق ، العمدة ،: 2 / 282 .

3 – الاستشهاد :

إذاكان الاقتباس هو دخول الآية الكريمة أو الحديث الشريف النص دخولا تاما ، و اندماجه مع بنية النص الأصلية ، فإن تواجدهما في النصوص دون تداخلهما مع كلام المبدع يعد<< استدلالا و استشهادا >> [1] و هو الأمر الذي ألفيناه عند الوهراني من جهة ، و عند المعري و الهمذاني و الجاحظ من جهة أخرى ، إذ كثيرا ما استشهدوا به في نصوصهم الأدبية .

4 – التلميح : (L' alusion)

هذا المصطلح يعني أن << يُشار إلى قصة أو شعر أو مثل دون أن يصرح عنه >> [2] ، و بصيغة أكثر تبسيطا ، فالتلميح هو << عبارة موجزة يستحسنها الناس شكلا و مضمونا ، فتنتشر فيما بينهم و يتناقلها السلف دون تغيير متمثلين بها أصلا و إن جُهل الأصل >> [3] ، و كثيرا ما يختزل المثل وقائع و أحداث و معان متعددة ، و من ثم وشحت الأمثال كلام العرب فكانت : << وشي الكلام و جوهر اللفظ و حلي الكلام (...) فهي أبقى من الشعر و أشرف من الخطابة ، لم يسر شيء مسيرها ، و لا عمّ عمومها حتى قيل : أيسر من مثل و قال الشاعر :

مَا أنْت إلا مَثَلٌ سَائِرٌ ❁ ❁ ❁ يَعْرِفُهُ الجَاهِلُ وَ الخَابِرُ >> [4]

---

(1) نور الدين السد ، الأسلوبية و تحليل الخطاب الشعري ،: 119 / عن حسين المرصفي ، الوسيلة الأدبية للعلوم العربية ،: 84 .

(2) محمد التوينخي و راجي الأسمر ، المعجم المفصل في علوم اللغة ،: 1 / 201 .

(3) إميل بديع يعقوب ، موسوعة أمثال العرب ،: 1 / 17 .

(4) أحمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ،: 3 / 3 .

لقد تبين لنا أن العرب قد عرفوا التناص و اصطنعوا مصطلحات لذلك ، و أسهموا بمجموعة من المفاهيم عُدّت من المبادىء الأولية و الرئيسة للنظرية التناصية الحديثة التي جاء بها النقد الغربي الحديث ، بحيث إن النقاد العرب عرفوا في نقدهم التناص في مفهومه الأولي إلى أن جاء نقاد الغرب فبلوروه ، و أعطوه آفاقا جديدة .

و تبعا لهذا ، فنظرية التناص التي سنطبقها كأداة إجرائية على عمل الوهراني هي امتداد لنتاج نقدي مشترك بين النقد العربي القديم و النقد الغربي الحديث معا ، فكيف ساهم النقد الغربي في تجلية هذه النظرية و تطويرها ؟

إن النص الأدبي هو نتاج امتلاك المبدع خبرات معرفية و فنية سابقة ، و بمجرد ولادة النص و بثّـه للمتلقي تنتهي مهمة هذا المبدع لتبدأ مغامرة النص الحقيقية مع آفاق التلقي المتعددة ليولد النص من جديد ، و ما تنوع القراءات إلا << دليل على طاقة النص الأدبية ، و هذه سمة من سمات بقائه و ذهابه في الناس عبر المكان و الزمان >> [1] .

و من آفاق التلقي المختلفة الكشف عن الخطابات المتعددة في الخطاب الواحد أو ما يطلق عليه مصطلح **التـنـاص** .

إنه لمن الصعب تمثل مفهوم موحد للتناص في الخطاب النقدي الغربي لأن أصوله متعددة الاتجاهات ، لذلك فدلالة التناص تتغير من باحث إلى آخر .

إن (أول من أشار إلى مفهوم هذا المصطلح هو رومان جاكبسون Roman Jakbson ، فبالرغم من عدم استعماله لمصطلح التناص فقد مهّد بملاحظاته العامة لنشأة مفهومه) (2) .

ثم جاء يوري تينيانوف Tynianov بمصطلح (التطور الأدبي L'évolution litteraire ، و الذي يَعتبر أن النصوص المكتوبة و الشفوية يمكن أن تكون مادة يحولها

---

(1) نور الديـن السد ، مفارقة النص الأدبي لمرجعه ، مجلة السيميائية و النص الأدبي ،: 191 .

(2) أنور المرتجي ، سيميائية النص الأدبي ،: 43 .

الكاتب على حسب قوانين المنظومة الأدبية) [1] .

كما نلفي تزيتن تودوروف Tzyeten Todorov قد أشار إلى مقولة (حضور أو غياب النص بين خطاب لاحق و خطاب سابق بحيث يسمي الخطاب الأول الذي لا يستحضر خطابا آخر بأحادي القيمة Monovalent (باعتباره حدا) بينما يسمي الخطاب الثاني الذي يستحضر أساليب في القول سابقة بالخطاب متعدد القيم Polyvalent) (2) .

أما الشكلانيون الروس فقد (غاب التناص كمبدإ إجرائي في تحليلهم الأدبي فلم يتمكنوا من بلورة هذا المصطلح ، نظرا لتشبثهم باستقلالية النص ، فسقطوا في الدعوة التقديسية لشكله) (3) .

و الواقع أن الباحثة البلغارية جوليا كريستيفا Julia Kristeva هي (أولى من اعتمدت مصطلح التناص ، في أبحاثها التي ظهرت في السنتين 1966 م و 1967 م في مجلتي Tel Quel و Critique ، و لقد اعتمدت في ذلك على الإرث النظري الذي تركه باختين في دراساته حول ديستويفسكي و رابليه، حيث يؤكد باختين أن كل خطاب أدبي إنما يكرر خطاباً آخر ، وأن كل قراءة تشكل بنفسها خطابا فالكتابة من منظوره تعني ثلاثة عناصر هي : النصّ والكاتب والمتلقي، بالإضافة إلى عنصر (التناص) ، الذي يُناقش مع هذه العناصر الثلاثة ، ثم استبدلت كريستيفا مصطلح الحوارية الباختيني بمصطلح التناص و أضافت عليه ما أفادته من المعرفة الحديثة المتمثلة في الماركسية في آخر اجتهاداتها و علم النفس في أحدث مراجعه) (4) .

---

(1) أنور المرتجي ، سيميائية النص الأدبي ،: 43 .

(2) ميلودي عثماني ، شعرية تودوروف ،: 83 .

(3) أنور المرتجي ، سيميائية النص الأدبي ،: 45 .

(4) محمد عزام ، النص الغائب ، تجليات التناص في الشعر العربي ، ينظر الموقع التالي على النات : www. a w u - dam.org

فأما المنطلق الماركسي فكان ممثلا في (الفيلسوف جاك دريدا Jaques Derrida الذي تعتمد رؤيته على أن الكلام أسبق من الكتابة ، و يختصر مفهومه في نظرية الكتابة) (1) ، و أما الاعتبارات النقدية النفسانية فكانت ممثلة في (آراء العالم النفساني جاك لاكان خاصة ما أكده من أن الدليل لا يطابق مدلولا واحدا) (2) .

إعتمادا على هذه الخلفيات المعرفية ، تمكنت كريستيفا من بلورة مفهوماتها متخطية (سيميائية التواصل متجاوزة طروحاتهم بعدما حصروا السيميائية بمعناها الدقيق في دراسة أنساق العلامات (3) ذات الوظيفة التواصلية) (4) ، ومتخطية أيضا ما اقترحه رائدوها من (ثنائيات كالدال و المدلول ، الصورة و المفهوم) (5) و غيرهما أثناء تعاملها مع النص الأدبي .

فكريستيفا تنطلق من كون النص << ترحالا للنصوص و تداخلا نصيا (6) >> (7) ، فهو من منظورها (إنتاجية حيث يكون المنتج هو الباث و المستهلك هو المتلقي ، كما تستخدم كريستيفا مصطلح الأيدولوجيم (8) Idéologème كوظيفة للتناص) (9) غير أنه لم يحقق الانتشار و الذيوع اللّذيْن حققهما مفهوم التناص .

---

(1) ينظر : Jaques Derrida , De la grammatologie , : 379 – 445 .

(2) ينظر : أنور المرتجي ، سيميائية النص الأدبي ،: 56 .

(3)،(4)،(5) العلامة عند أنصار سيمياء التواصل هي : << وحدة ثلاثية المبنى : الدال و المدلول و القصد >> ينظر : عبد الله إبراهيم و سعيد الغانمي و علي عواد ، معرفة الآخر ،: 84 ، 52 – 53 .

(6) التداخل النصي = التناص = L' intertextualité

(7) النص الأصلي : << ... il est une permutation de texte , une intertextualité >>

ينظر : Julia Kristéva , Sémiotike , 52 .

و : جوليا كريستيفا ، علم النص ، ترجمة فريد الزاهي ،: 21 .

(8) مصطلح استقته كريستيفا من الاسم الذي نشر تحته ميخائيل باختين بعض مؤلفاته الأولى ، ينظر : جوليا كريستيفا ، علم النص ، ترجمة فريد الزاهي ، (الهامش) ،: 21 .

(9) ينظر : Julia Kristéva , Sémiotike , 52 - 55

إن وقوف كريستيفا عند مصطلح التناص لم يمنع الباحثين فيما بعد من توليد العديد من المصطلحات كان مركزها النص بتعدد سوابقه و لواحقه (1) ، كما أن هذا الطرح الذي أتت به الباحثة جوليا كريستيفا فتح آفاق البحث أمام المهتمين لتوسيع هذه المفهومات و إعطاء دفعة للدراسة الأدبية ، بعدما تسارعوا إلى تبنّي هذا المصطلح .

هذا الاهتمام الخاص بالتناص تُرجم في (عقد ندوة عالمية في السنة 1976 م في جامعة كولومبيا تحت رئاسة ميكائيل ريفاتير، و قد شارك في هذه الندوة العديد من الباحثين جُمعت تدخلاتهم في مجلة الأدب للسنة 1981 م حين تعددت المقاربات التي تتخذ من النص الأدبي مرتكزا لها مما يدل على سعة مفهوم التناص) (2) .

و ممن يجدر بنا الحديث عن مقارباتهم النقدية حيال التناص نلفي رولان بارث Roland Barthes ، إذ إن (مفهومه للتناص مستلهم من مفهوم سولر للتناص الذي يوثق في نظره بين نصوص الماضي و نصوص أخرى من الحاضر ، أو ما يسمى بعبورية الكتابة أو La traversée de l'écriture) (3) ، و قد تطرق في مفهومه للتناص عبر مؤلفه لذة النص (Le plaisir du texte) و اعتبره << استحالة العيش خارج النص اللامحدود >> (4) ، كما أن التناص من منظور بارث (مشكّل من قسمين تناص داخلي و آخر خارجي ، فأما الأول فهو امتصاص الكاتب لنصوصه السابقة ، و أما

---

(1) أشار سعيد يقطين إلى (اثني عشر مصطلحا باللغة الفرنسية هي : Hypertexte , Metatexte , Paratexte , Hipotexte , Architexte , Auto texte , Intertexte , Phènotexte , Génotexte , Infratexte , Extratexte , Avant texte .) ينظر : سعيد يقطين ، إنفتاح النص الروائي ،: 93 .

(2) ينظر : سعيد يقطين ، إنفتاح النص الروائي ،:94 – 96 .

(3) حليمة الشيخ ، الكتابة في معلم رولان بارط ، (رسالة ماجستير مخطوطة) ،: 141 / 142 .

(4) Roland Barthes , le plaisir du texte ,: 51 . من ترجمتي الخاصة

الثاني فهو امتصاص نصوص الغير) (1) .

و تتباعت الدراسات التي تهتم بنظرية التناص ، إذ نجد مايكل ريفاتير M . Riffaterre قد أشار إلى دور القارئ في العملية التناصية ، فالتناص عنده هو << الإدراك من طرف القارئ للعلاقات التي توجد بين عمل أدبي و غيره من النصوص التي سبقته أو تلته >> (2)

أما التحول النوعي الذي مرّ به التناص فقد أتى على يد الباحث الفرنسي جيرار جينيت Gérard Genette حين ظهرت دراساته حول التناص في مؤلفاته : جامع النص l'architexte (في السنة 1979 م) ، و أطراس palimpsestes (في السنة 1982م) ، و عتبات seuils (في السنة 1987 م) .

ففي البداية نجد هذا الباحث قد ركز على معمار النص أي l'architexte ، حيث يعرف هذا المفهوم على أنه << علاقة النص بمعماره >> (3) بمعنى أنه << موجود في كل مكان ، في الأعلى و في الأسفل و حول النص الذي لا يتم نسجه إلا بتعليقه هنا و هناك في شبكة معمار النص >> (4) .

ثم عدل جينيت عن فكرة معمار النص في (السنة 1982 م و استبدله بمصطلح التعاليات النصية transtextualité أو التعالي النصي للنص ، و هو ما يجعل نصا معينا يتداخل مع نصوص أخرى بصفة مباشرة أو ضمنية) (5) و يقترح جيرار جينيت (خمسة أنماط من التعاليات النصية هي : التناص ، المناص ، التعلق النصي أو التوليد

---

(1) حليمة الشيخ ، الكتابة في معلم رولان بارط ،: 46 – 147 .

(2) أنور المرتجي ، سيميائية النص الأدبي ،: 47 .

(3) Gérard Genette Introduction de l'architexte ,: 88. من ترجمتي الخاصة

(4) م . س ،: 89 . من ترجمتي الخاصة .

(5) محمد عزام ، النص الغائب ، تجليات التناص في الشعر العربي ، ينظر الموقع التالي على النات : www. a w u - dam.org

النصي ، و معمارية النص)(1) ، و نختصرها في ما يلي :

1 – التناص : l'intertextualité

و هو ما يعادل المفهوم الكريستيفي ، و هو حضور نص في آخر للاستشهاد أو السرقة ، فيبرز كبنية نصية محافظة على صورتها الأصلية ، و قد تكون نثرا أو شعرا ، و قد كتب لهذا المصطلح أن يشيع في الدراسات النقدية على حساب المصطلحات الأخرى التي اقترحها جيرار جينيت ، و يمكننا دمج تحت هذا النمط المفهومات التالية : << التضمين ، الإقتباس ، الاستشهاد ، التلميح ، المحاضرات ، النسخ ، الإهتدام ، الإصطراف ، الإنتحال ، المرادفة ، الإغارة >> [2] .

2 – المناص : le Paratexte

و يمثل العلاقة الكائنة بين النص في حد ذاته و محيطه ، و فيه تبرز بنية نصية محولة و متداخلة مع بنية أخرى ، و مجالاته متعددة منها العنوانات والمقدمات و الذيول و الصور و الهوامش و التعليقات و كلمات النشر و غيرها ، و أهم العلاقات التي تحكم هذا النمط نجد (علاقة المحاكاة و علاقة التغيير) (3) .

3 – الميتناص : Metatexte

و هو تعلق نص أصلي مع آخر بالإشارة إليه ، دون ذكره له بغرض نقدي أو

---

(1) سعيد يقطين ، إنفتاح النص الروائي ،: 96 – 97 .

(2) نور الدين صدار ، السرقات الأدبية في ضوء نظرية التناص ،: 66 .

(3) م . س ،: 66 / 67 .

ضدي ، إضافة إلى تغيير و تحويل النص عن موضوعه أو عن شكله ، و نجد ذلك في << العكس ، الإلمام ،النقل إلى العكس >> [1] .

4- النص اللاحق : Hypertexte

هي علاقة تحويل أو محاكاة بين كل من النص السابق Hipotexte و نص لاحق ، و كلها قائمة على التوليد و المعارضة و المحاكاة باعتبار النص الأول ساهم في ولادة النص الثاني الجديد ، و هو يختزل بدوره << السلخ ، المسخ ، التوليد ، النظر و الملاحظة ، الموازنة ، المعارضة ، (بمعنى التقليد) >> [2] .

5- معمارية النص : Architexte

هي علاقة تداخل الأجناس الأدبية من شعر و رواية و غيرهما ، و علاقة بعضهما ببعض ، و قد (توسع جيرار جينيت في هذا المجال بتأليفه لكتاب : Introduction de l'architexte) (3) .

و من ثم فإن النقد الغربي حاول المحافظة على ميزة أساسية في نظرية التناص و هي أن عملية إنتاج النص إنما تتم في إطار من التعاون بين مرسل النص و مستقبله ، أو بصيغة أخرى بين النصوص الغائبة باعتبارها الأدوات الأساسية للإنتاج مع النص المماثل.

لم يبق التناص و ما دار حوله رهين الثقافة الغربية التي تشكل و تطور فيها ، بل دخل الثقافة العربية المعاصرة و وجد له مكانا مميزا في النقد العربي المعاصر ، و نشير إلى أن المترجمين العرب المعاصرين لم يتفقوا على تعريب مصطلح (التناص) أو

---

(1) نور الدين صدار ، السرقات الأدبية في ضوء نظرية التناص ،: 66 / 67 .

(2) محمد عزام ، النص الغائب ، ينظر الموقع التالي على النات : www. a w u - dam.org

(3) ينظر : Gérard Genette , Introduction de l'architexte .

Intertextualité ، و توحيد المصطلح الدّال عليه ، (فبعضهم يعرّبه (التناص) وآخرون (التناصّية) ، وفريق ثالث بـ (النصوصية) ، ورابع بـ(تداخل النصوص) ، ومع ذلك فإن المصطلح الأول (التناص) هو الذي شاع وانتشر) (1) .

و لعل من أهم الدراسات التي تناولته هي التي قام بها الدكتور محمد مفتاح تنظيرا و إنجازا في العديد من مؤلفاته أهمها إستراتيجية التناص و دينامية النص ، فهو يعتبر التناص على أنه << تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة >> (2) ، هذا النص الذي ما هو إلا << إعادة بناء لأقوال جاءته من مناح متعددة >> (3)

فالتناص من وجهة نظر مفتاح عمل فني هادف جاء نتيجة تحكم المبدع في تقنيات الكتابة ، كما يقترح الباحث اتجاهين يحكمان مفهوم التناص اختصرهما في : التعضيد و التعريض و مثّل للتناص بـ<< فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة>> (4)

كما ألفيناه قد قابل بين ثنائية المبدع و المتلقي ، فأما المبدع فما هو إلا معيد لإنتاجات سابقة << في حدود من الحرية سواء أكان ذلك الإنتاج لنفسه أو لغيره >> (5) أما المتلقي للنتاج الأدبي فيختلف تعامله مع الظاهرة التناصية على حسب تقنية تواجدها في النص ، فالتناص << إما أن يكون اعتباطيا يعتمد في دراسته على ذاكرة المتلقي ، و إما أن يكون واجبا يوجه المتلقي نحو مظانه ، كما أنه قد يكون معارضة مقتدية أو ساخرة أو مزيجا بينهما >> (6) .

و خلُصَ محمد مفتاح في الأخير إلى أن التناص << هو وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل القصد من أي خطاب لغوي بدونه >> (7) .

---

(1) محمد عزام ، النص الغائب ، ينظر الموقع التالي على النات : www. a w u - dam.org

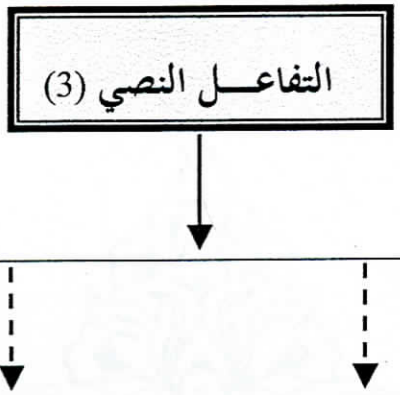
(2) محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري – استراتيجية التناص – ،: 121 .

(3) محمد مفتاح ، دينامية التناص ،: 152 .

(4) ، (5) ، (6) ، (7) محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري – إستراتيجية التناص – ،: 121 ، (124 – 125) ، (131 – 132) ، (134 – 135) .

كما يلخص لنا عبد الله محمد الغذامي ظاهرة تداخل النصوص في كون << النص يدخل على نصوص أخرى تسبقه فيكون نتيجة لها ، و أخرى تلحقه فتكون متولدة عنه ، و هو بينهما حلقة في سلسلة طويلة >> [1] .

و من النقاد العرب المحدثين أيضا ، الذين تداولوا مصطلح التناص نجد سعيد يقطين في مؤلفه انفتاح النص الروائي ، و الذي تناوله باسم التفاعل النصي لأنه أعم في نظره من التناص ، و اعتمادا على جهود جيرار جينيت قدّم تصوره الخاص ، فالتناص من منظوره (يخلق وجوده في النص ، و قد قسمه إلى أنماط و أنواع و أشكال و مستويات محددة)(2) ، حاولنا تلخيصها في هذه الخطاطة الشاملة :



أنـمـاطـه :	أنـواعـه :	أشـكـالـه :	مستـويـاتـه :
- التناص	- المناصة	- الذاتي	- عام
- المناص	- التناص	- الداخلي	- خاص
- الميتاناص	- الميناصية	- الخارجي	
- النص اللاحق			
- معمارية النص			

---

(1) محمد الغذامي ، ثقافة الأسئلة ،: 113 .

(2) ، (3) ينظر : سعيد يقطين ، إنفتاح النص الروائي ،: 98 – 101 .

تبعا لما ذكرناه ، يتبين لنا أن العرب قد عرفوا الكتابة التناصية تنظيرا و إنجازا ، و اصطنعوا مصطلحات لذلك كما أسهموا << باقتراحات تُعدّ المبادئ الأساسية لنظرية التناص >> [1] ، على أن نأخذ بعين الاعتبار أن النقاد العرب قد عرفوا في نقدهم التناص في مفهومه الأولي ، مثلما عرفه الغرب أيضا ، فنظرية التناص التي سنطبقها كأداة إجرائية على منامات الوهراني و مقاماته ورسائله هي << صك جديد لامتداد ثقافي نقدي و لغوي غربي و عربي في آن معا >> [2] .

---

(1) نور الدين صدار ، السرقات الأدبية في ضوء نظرية التناص ،: 62 .

(2) حسين جمعة ، نظرية التناص ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ،: 355 .

الفصل الأول



❁ تمهيد في المعمار

أولا - في المناهات

ثانيا - في المقاهات

ثالثا - في الوسائل

تمهيد : في المعمار :

لقد تعددت و تنوعت المفهومات التي طرقت باب الثقافة النقدية العربية المعاصرة بما تحمله من تميز عن المقولات السابقة ، فنتجت عن ذلك رؤى معاصرة جديدة تنظر للنص بصفة مختلفة ، منها ما تتعلق بالنص مجَسَدا في العلاقات التي يأخذها مع غيره من النصوص ، و ذلك بوضع البنية الأدبية مركز اهتمام ، و محل استقطاب ، رغم صعوبة الأمر كونها : << ليست شيئا حسيا يمكن إدراكه في الظاهر ، حتى و لو حددنا خصائصها التي تتمثل في عناصرها التركيبية ، و إنما هي تصور تجريدي يعتمد على الرموز ، و عمليات التواصل التي تتعلق بالواقع المباشر >> [1] .

إذا ، فقد تكون البنية هي المحددة لعلاقة النص بغيره من النصوص << و لعل أكثرها هيمنة ، أن تكون تكرارا لأهم نماذجه >> [2] ، من ذلك نلفي البناء المعماري ، للنص الذي يُعتبر الضابط و الموحد لمختلف أجزاء الفعل الإبداعي في مساره العام ، إذ المقصود منه هو : << هندسة النص الداخلية (...) و تعلق كل أجزاء النص بالمناخ العام الذي يطبعه >> [3] ، باختلاف نص آخر أو بالأحرى اختلاف جنس أدبي عن آخر ، فالمبدع و الناقد على حد سواء يَنْظُران إلى النص الأدبي بوصفه << أجناسا أدبية أي قوالب عامة فنية >> [4] ، بحيث يكون لكل جنس أدبي طابع عام و أسس فنية تميزه عن غيره يتقيد بها المبدع و لا يخرج عن أطرها و لا عن الخيط الرابط بين أجزائها رغم أنها << قد تتغير

---

(1) صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، : 294 .

(2) سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ، : 103 .

(3) عبد الله راجع ، القصيدة المغربية المعاصرة ، بنية الشهادة و الاستشهاد ، : 1 / 167 .

(4) محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، : 136 .

قليلا في اعتباراتها الفنية من عصر إلى عصر و من مذهب إلى مذهب أدبي آخر >> [1] .

فللكاتب الحرية المطلقة في انتقاء موضوعه ، لكنه بمجرد ما يتم اختياره و يبدأ في الممارسة << يتأطر ويشرط نفسه بمستلزمات الجنس و يصبح أسيرا له >> [2] ، حتى يتم إبداعه .

و من هذا المنطلق يأتي الكشف عن البناء المعماري لأثر أدبي ما ، لتوضيح النسق الذي اتخذه المبدع ، رابطا بين مختلف أجزاء إبداعه ، باعتبار النسق << عبارة عن عناصر مترابطة متفاعلة متمايزة >> [3] داخل النص الواحد ، و يُوليه النقاد أهمية بالغة ، فهو << هادي المتلقي لتحديد النوع الأدبي و لإدراك التناص ، و فهم العمل الأدبي تبعا لذلك >> [4] .

و بناء عليه ، فإن تتبع الناقد لعمل أدبي ما ينتج عنه محاولة الكشف عن الإطار المشترك و الموحد لنسيج النص ، بحيث << يحاكي فيه مؤلِفه كيفية كتابة معلم فيه >> [5] ، باعتبار المحاكاة تقليد و مشابهة ، ومصطلح المحاكاة يدخل ضمن المفاهيم التي تؤطرها نظرية التناص ، والمحاكاة Imitation بمختلف مفاهيمها ترجع إلى حقب تاريخية بعيدة ، ومن ثم تعتبر المحاكاة ميزة تشترك فيها جميع الأمم رغم اختلاف تجلياتها في آداب الأمم وتاريخهم فهي إذا << متجدرة في الفطرة البشرية إذ يقع بها >> [6] .

و الوهراني كغيره من الأدباء حاول نسج أفكاره شكلا و مضمونا على مناويل من سبقوه ، خصوصا إذا علمنا أن << الأدب الجزائري القديم ولّد أنماطا تعبيرية ارتبط فيها

---

(1) محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، : 138 .

(2) محمد مفتاح ، دينامية النص ، : 163 .

(3) محمد مفتاح ، المفاهيم نحو تأويل واقعي ، : 135 .

(4) محمد مفتاح ، إستراتيجية التناص ، : 130 .

(5) م . س ، : 121 .

(6) محمد مفتاح ، مشكاة المفاهيم ، : 79 .

الكتاب بالتقليد الفني العربي ، و ربطوا ذلك بواقعهم المعيش >> [1] ، فما الذي أفاده من بنيتها المعمارية ؟

عبر صفحات هذا الفصل ، نحاول الكشف عن البناء المعماري لمنامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، بالتوازي مع هياكل أعمال فنية سابقة ، نخال الوهراني قد أفاد من بنائها الكلي العام .

ولقد بدأنا مدارستنا هذه لأشكال التناصات ، على مستوى البناء المعماري ، بالمنام الكبير للوهراني الذي ناب عن بقية المنامات بالموازاة مع رسالة الغفران للمعري ، ثم عرّجنا على مقامات الوهراني الثلاث ، لنكشف عن تناصاتها المعمارية مع مقامات الهمذاني ، لنصل في الأخير إلى رسائل الوهراني ومن أهمها رسالته إلى بعض أصدقائه بسبب قصيدة التاج الكندي ، لنتبين علاقتها المعمارية برسالة التربيع و التدوير للجاحظ .

و لا بد من الإشارة إلى أننا قمنا بتطبيق خطة منهجية داخلية موحدة تتمثل في عرض موجز لعمل الوهراني المتناص ، يليه وصف لبنيتها المعمارية ثم عرض موجز للعمل المحاكى و لبنيته المعمارية ، أيضا لنخلص إلى إثبات عملية التناص بعقد مقارنة بين المتشابهات ، و في كل مرة نحاول رسم خطاطة تجمل ما ذكرناه من العلاقات التناصية التي جمعت منامات الوهراني و مقاماته و رسائله بغيرها من الأعمال الأدبية على مستوى البناء المعماري .

أولا : في المنامات :

1 – عرض المنام الكبير (2) للوهراني – نموذجا – :

في هذا المنام نجد الوهراني قد انتقل إلى العالم الأخروي عن طريق النوم إذ تصور

---

(1) محمد تحريشي ، أسس المكون الثقافي للحماديين ، مجلة دراسات جزائرية ،: 51 .

(2) منامات الوهراني ،: 17 – 60 .

نفسه ميتا ، وقد بعث إلى يوم الحشر ، فوصف ما فيه، والتقى هناك بالعلماء والفقهاء والملوك والأمراء والوزراء والخلفاء والشعراء والمتصوفين وغيرهم ، و تحاور مع بعضهم ، محاورات طريفة وساخرة ،لاذعة في أغلب الأحيان ، فكان الوهراني فيه مصورا هزليا في التهكم والسخرية ، رائع الدعابة ، خفيف الروح .

لقد استهل الوهراني منامه الكبير بأبيات شعرية قال فيها :

« أيَا نَفْحَةَ أهْدَت إليّ تحيّة ❁❁❁ يَنمّ عَليها العَرْف مِن أمّ سَالِم

مَشَت في أرَاكِ الوَادِيين فنبَهَت ❁❁❁ بهِ كلّ نَشْوَان المَعَاطِفِ نَاعِم

ألا إنّما أحْكِي بِدَمْعِي و لوْعَتِي ❁❁❁ بُكَاءَ الغوَادِي و انتِحَابَ الحَمَائِم »[1]

أخبر القارئ بعدها أنه تلقى كتابا من الحافظ العليمي [2] ، مبرزا فرحته باستلامه ، مثنيا على الكتاب وباعثه واصفا شوقه العارم إليه ، وحنينه إلى عيشة هانئة بقربه ، لكن الوهراني سرعان ما يفاجأ بفصول الكتاب الوارد إليه ، وقد استفتحه صاحبه بطلب الثأر لنفسه من الوهراني ، لأنه قلّل من أدبه له في كتاب بعثه له منذ ثلاث سنوات ، فيَعجب صاحبنا من استيلاء الحقد على قلب هذا الرجل ، وتمكنه منه رغم مضي هذه السنوات ، فامتنع على الوهراني النوم ، وهو يقلب الأمور في فكره حتى غفا فـ « رأى فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت ، وكأن المنادي ينادي هلموا إلى العرض على الله تعالى » [3] ، فيقول الوهراني:« فخرجت من قبري تعبا أيَمّمُ الداعي إلى أن بلغت إلى أرض الحشر » [4] .

هكذا تبدأ رحلة الوهراني في منامه الكبير مع العالم الأخروي ، فيخرج من قبره تعبا خائفا من هول البعث ، ليلقى الحافظ العليمي مؤنبا له ، وعازما على تحكيم كمال الدين

---

(1) منامات الوهراني ،: 17 .

(2) هو الذي كتب له وعنه الوهراني منامه الكبير ، و هو أبو الخطاب العليمي عمر بن محمد بن عبد الله الدمشقي التاجر السفار (- 574 هـ) ، ينظر : الحنبلي ، شذرات الذهب ،: 4 / 248 .

(3) ، (4) منامات الوهراني ،: 23 .

الشهرزوري (1) بينهما ليقتص منه ، وبينما هما يتحاوران فإذا بمالك خازن النار قد هجم عليهما ، وقبض على أيديهما وسحبهما إلى النار ، فتوسل إليه الحافظ العليمي في أن يعرضهما على الله ﷻ ، لعله يصفح عنهما، حينها بدأ مالك يعدّ في مخازي الرجلين، فعلما أنهما منقادان حتما إلى النار، فعزما على ملاطفته حتى تركهما .

مشيا بعدها مع بقية السائرين إلى جبل الأعراف (2) للتمتع بمشاهدة البعض من مفاتن الجنة ، والحسرة على عدم بلوغها ، وبينما هما على هذه الحال ، رأيا أبا المجد بن أبي الحكم (3) حاملا لرقعة مذهبة حمراء ، تبادلا الحديث معه حتى رأوا الناس يهرعون نحو ضجة عظيمة وهم فرحون مستبشرون بمشاهدتهم لمجرمي الأمة – حسب تعبير الوهراني – وهم يرقصون ، وقصد بهم : عبد الرحمن بن ملجم المرادي (4) والشمر بن ذي الحوشن الضبابي(5) والحجاج بن يوسف الثقفي (6) والإبليس أبو مرة (7) وكانوا

---

(1) هو أبو محمد عبد الله بن علي بن القاسم الشهرزوري ، المنعوت بالمرتضي، ولد سنة 546 هـ ، اشتغل بالحديث و الفقه ببغداد إلى أن توفي عام 511 هـ ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،: 2 / 255 .

(2) (هو جبل بين الجنة والنار) ، ينظر : منامات الوهراني ،: (الهامش) : 31 .

(3) لم نعثر على ترجمة له .

(4) أدرك الإسلام وكان من الخوارج ، قاتل علي بن أبي طالب ، وكان موته على يد أولاد علي ، ينظر : الزركلي ، الأعلام ،: 2 / 513 .

(5) كان صاحب رئاسة في هوازن ، شهد معركة صفين مع علي بن أبي طالب ، هرب في أواخر حياته إلى الكوفة ، وقتل سنة 66 هـ ينظر : الزركلي ، الأعلام ،: 2 / 416 .

(6) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن عوف ، ينسب إلى ثقيف ، كان له في القتل و سفك الدماء و العقوبات غرائب لم يسمع بمثلها ، كان معلما للصبيان بالطائف ، ثم لحق بروح بن زنباع على أيام عبد الملك بن مروان ، ثم قلد في الشرطة إلى أن حكم العراق ، كان مرضه على آخر أيامه بالأكلة ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،: 1 / 341 – 348 .

(7) يقصد به الشيطان الرجيم .

طامعين في رحمة الله ، بعد أن غفر الله لشخصين أكثر شرا منهم .

ثم توجه الوهراني مهرولا باحثا عن ابن النقاش (1)، ليسترد منه عشرة دنانير ، أو ما يعادلها من حسنات ، و عندما لم يجد منها شيئا لديه ، قايضه بالسيئات ، بما يعادل عشرة دنانير ، وانتهى به الأمر إلى الرجوع عن طلب ماله ، فكافأه عزرائيل بأن يعيش بعد المهذب عشرة سنين ، عن كل دينار سنة ، فرضي الوهراني بذلك .

وبعدها مضى الوهراني حتى أتى الحوض ، أين رأى أبا القاسم الأعور (2) ، وتاج الدين الشيرازي (3) ، وإذا بهم جميعا يشهدون موكب الرسول ﷺ مقبلا ، فجروا خلفه ، لكنهم لم يدركوه من شدة الزحام ، فصعدوا إلى جبل الأعراف ليرقبوا موكبه ﷺ ، فسمعا الحوار الذي دار بين نجم الدين (4) ، وأسد الدين شيركوه (5) ، قبل أن يتجه هذان الأخيران رفقة صلاح الدين الأيوبي (6) صوب الرسول ﷺ .

---

(1) هو علي بن عيسى بن هبة الله أبو الحسن مهذب الدين بن النقاش ، عالم بالطب و أديب مولده و نشأته ببغداد ، خدم الملك بن زنكي و بعده السلطان صلاح الدين الأيوبي ، توفي العام 474 هـ ، ينظر : الزركلي ، الأعلام ،: 5 / 134 – 135 .

(2) ، (3) لم نعثر على ترجمة لهما في المصادر التي رجعنا إليها .

(4) هو أبو الشكر أيوب بن شادي بن مروان الملقب الملك الأفضل نجم الدين والد صلاح الدين الأيوبي ، توفي سنة 580 هـ ، ينظر : ا بن خلكان ، وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان ، ج 1 ،: 232 / 237 .

(5) هو أبو الحارث شيركوه بن شادي بن مروان ، الملقب بالملك المنصور أسد الدين ، عم صلاح الدين الأيوبي ، تولى الوزارة سنة 564 هـ ، و توفي سنة 564 هـ بالقاهرة ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج 2 ،: 173 / 176 .

(6) هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي ، الملقب بالملك الناصر ، من أصل كردي ، ولد بقلعة تكريت سنة 532 هـ ، قاد وقعة حطين ـ 383 هـ ـ و حرّر بيت المقدس ، اشتد مرضه و توفي بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء 27 صفر سنة 589 هـ ، ينظر : ا بن خلكان ، وفيات الأعيان ج6 ،: 139 / 218 .

ثم أقبل الوهراني في طلب الشريف النقيب (1) ، ليشهد لهما عند أمير المؤمنين بالبراءة ، فوجدوه مع جماعة من علماء اليونان يتحدثون عن بطليموس الحكيم (2) ، حتى جاءهم أبو القاسم الأعور ، مدعيا أنه سيَدُلّهُم على من يسقيهم الماء من الحوض وعند وصولهم إلى المكان المقصود، التقوا بمجلس موقر برئاسة يزيد بن معاوية ، فطلب منه الوهراني وصحبه أن يسقيهم ماءا ، بعد أن أنصفهم القاضي عبد الملك كادرباس (3) في حضرته ، فأقبلوا على الحوض يشربون منه .

وإذا بهم بضجة عظيمة أخرجت الوهراني من جميع ما كان فيه ، فوقع من سريره ، وانتهى من نومه خائفا مذعورا ، ولذة ماء الحوض في فمه ، وطنين الضجة في أذنه ورعب الوقعة في قلبه .

2 – البناء المعماري للمنام الكبير :

إننا نستشف من ثنايا ما جاء في المنام الكبير للوهراني أنه تجسد و تشكل في ثلاثة أقسام شكلت هيكله العام ، و قد رصدناها في ما يلي :

أ – المقـــدمة :

لقد عني الوهراني بمطلع عمله الأدبي فكان بداية معلنة للشروع في سرد تفاصيل منامه ، و من ثم فقد عمد إلى توجيه انتباه المتلقي نحو الكتاب – الرسالة – الذي و صله

---

(1) لم نعثر على تعريف له في المصادر التي رجعنا إليها .

(2) رياضي وفلكي و جغرافي ، ولد في القرن الثاني للميلاد، صاحب النظرية البطليموسية في هيئة الأفلاك القائلة أن الأرض لا تتحرك وأن الفلك يدور حولها ، ينظر: منامات الوهراني ،(الهامش) ،: 50 .

(3) هو صدر الدين عبد الملك عيسى بن درباس الكردي ، قاضي القضاة بالديار المصرية (516 هـ - 605 هـ) ، منامات الوهراني ، (الهامش) ،: 52 .

من صديقه ، فبعد فض ختامه استفاض في الحديث عنه و عن صاحبه ، ليطالعنا الوهراني بأنه قد << وجده صفرا من الأنباء خاليا من غرائب أخبار البلد عاريا من طرائف أحوال الإخوان >> [1] ، قد بدأه صاحبه بطلب الثأر من الوهراني بعد مخاطبته له بمجرد الاسم و حذف جميع الألقاب منذ ثلاث سنين ، حينها استشاط الوهراني غضبا و بقي طول ليلته متعجبا من كره صاحبه و مقته له ، فامتنع النوم عنه حتى غلبته عينه << و رأى فيما يرى النائم أن القيامة قد قامت >> ، و بهذا ينهي الوهراني مقدمة منامه ليدخل بعدها لتفاصيل متنه .

ب - المتن :

لقد تناول الوهراني في متن منامه العالم الأخروي كما بدا له ، فوصف بعضا منه و تناول بلسانه الساخر أدباء و علماء و فقهاء و غيرهم ممّن عاصروه و وصف أحوالهم في يوم المحشر و تحدث مع بعضهم ، كما لقي الملائكة و تحاور معهم إلى أن وصل حوض النبي ﷺ ، و شرب من مائه .

ج - الخاتمة :

لم يول الوهراني اهتماما بارزا بالخاتمة ، فبينما يكون المتلقي منسجما مع أحداث المنام إذ يفاجئه الوهراني بقوله : << صاح بنا صيحة عظيمة هائلة أخرجتني من جميع ما كنت فيه ، فوقعت من على سريري ، فانتهيت من نومي خائفا مذعورا و لذة ذلك الماء في فمي و طنين الصيحة في أذني و رعب الوقعة في قلبي إلى يوم ينفخ في الصور >> [2] ، ثم يضيف قائلا : << كيف يرى سيدنا هذا النَفَس الطويل و الهذيان الذي أثاره التعتب و الانتقام ؟ و صلى الله على سيدنا محمد نبيه و على آله و صحبه تسليما كثيرا >> [3] .

---

(1) ، (2) ، (3) منامات الوهراني ،: (21 ـ 22) ، 60 .

و المنام بالصفة التي جاء بها ، و حاولنا عرض بنياته الأساسية المشكلة لمعماره الكلي ، لم تكن سابقة في الأدب العربي و لكنها على ما هي عليه تبدو لنا أنها تتناص تناصا مباشرا مع رسالة الغفران للمعري .

3 – عرض رسالة الغفران (1) لأبي العلاء المعري (2) :

تعتبر رسالة الغفران رحلة متخيلة سرى من خلالها المعري بخياله إلى العالم الآخر ، وصف فيها حياة الدنيا و الآخرة ، وردّ في آخرها على رسالة ابن القارح التي كانت سببا في كتابة الغفران .

بدأ المعري غفرانه بوصف الرسالة التي تلقاها من ابن القارح (3) بالحكمة البالغة و الشأن العظيم ، لما أبداه ابن القارح من ضرورة العودة إلى الأصول و ترك الفروع ، ثم يشبه ألفاظ الرسالة بأشجار الفردوس لتكون له منطلقا في وصف الجنان وصفا ماديا ،

---

(1) لقد اعتمدنا في بحثنا على رسالة الغفران التي قامت بتحقيقها د . عائشة عبد الرحمن ، مع إثباتها لنص رسالة ابن القارح ، ط 5 .

(2) هو (أحمد بن سليمان التنوخي المعري المكنى بأبي العلاء و الذي نَعَت نفسه برَهِين المحبسين ، شاعر و كاتب ينحدر نسبه من قبيلة تنوخ القحطانية ، ولد في معرة النعمان في إحدى حواضر الشام العام 363 هـ / 973 م ، أصيب بالجدري في صغره و ذهب بصره و هو ابن أربع سنين ، كانت له العديد من الرحلات في بلاد الشام كحلب و أنطاكية و إلى بغداد ، لقي علماء عدة ، كان له كتاب يساعدونه و يكتبون ما يُمْلِيه عليهم ، توفي العام 449 هـ / 1057 م ، له الكثير من المصنفات أهمها : سقط الزند ، اللزوميات ، رسالة الغفران ، الأيك و الغصون ، الفصول و الغايات) ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،: 1 / 33 و الزركلي ، الأعلام ،: 1 / 150 – 151 .

(3) هو (علي بن منصور الحلبي الملقب بـدَوْخَلة و المكنى بأبي الحسن ، عاش في النصف الثاني من القرن الخامس ، 351 هـ / 962 م ، أديب و شاعر ، خدم أبا علي الفارسي بالشام و آل المغربي بمصر ، و اتصل بأبي القاسم المغربي و مدحه ، لكنه تَنَكّر له في محنته ، و له فيه هجاء كثير ، توفي العام 422 هـ / 1030 م) ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ،: 15 / 83 .

بحيث يتنقل بابن القارح من دار الدنيا إلى دار النعيم ليريه ما أعدّ له من ثواب على تمجيده الله في رسالته ، واصفا له ما سيلقاه في الجنة من نعيم ، محدّثا إياه عن شجر الجنة وأنهارها وخمرها وعسلها ، و ذلك بعدما تصور المعري أن ابن القارح قد غفَر الله ذنوبه ، وأدخله الجنة مع المتقين .

ثم بدأ ابن القارح يطوف في أماكنها ، واصفا جمالها ، محدثا الشعراء الذين فازوا بدخولها كالأعشى و زهير بن أبي سلمى والنابغتين الجعدي و الذبياني ، و كذا لبيد بن ربيعة وغيرهم من الجاهليين والمخضرمين ، من نحويين و لغويين و أدباء ، و في كل مرة كان يسأل ابن القارح أحدهم قائلا : << بم غفر لك ؟ >> ، فيتحدثون عمّ وقع لهم من أهوال الموقف ، و الأعمال الصالحة التي استوجبت دخولهم الجنة ثم يسمعهم ويسمع منهم ، وأقام بطل المعري مأدبة دعا فيها كل من في الجنة من شعراء وأدباء ، وعلماء و وصف ما قُدّم فيها من لحوم و أشربة ، وما صاحبها من مجالس لهو وغناء .

ثم يروي ابن القارح قصته في وقوفه للحساب يوم القيامة وما كان من شفاعة أهل البيت له ليراح من هول الموقف ويدخل الجنة ، وعاد بعدها للطواف بأطراف الجنة ، فزار ابن القارح جنة العفاريت المؤمنين ، واستمع لشعرهم ، فهاهو خيثعور يروي له مغامراته قبل أن يتوب ، ثم ينشده قصيدتين من شعره .

من جنة الغفران ينتقل ابن القارح إلى جحيم الغفران ، فيرى الخنساء و هي تُلح في طلب أخيها صخر ، و يلقى إبليسا وهو يضطرب في الأغلال والسلاسل ، ويسأل عن شعراء النار فيلقاهم ، كبشار بن برد و امرؤ القيس و عنترة بن شداد و طرفة بن العبد ، و كان يناقش بعضهم في مسائل لغوية متنوعة .

ويعود ابن القارح مرة أخرى إلى مقامه في الجنة ، وفي طريقه إليها ، يلتقي بآدم عليه السلام ، ويسأله عن الشعر المنسوب إليه ، وبينما هو سائر في الفردوس ، فإذا به يرى روضة الحيات ، فيدخل في حوار مع حية فقيهة عالمة ، تتحدث في القراءات ، فتغريه بالبقاء معها ، لكنه يُذعَر منها ويمضي مهرولا ، ليلقى جنة الرّجَز، ويتبادل الحديث مع

سكانها الذين عرفوا نظم الأراجيز، فيعلق في شجار مع رؤبة ابن العجاج ، وسرعان ما ينهي رحلته ، ويقبل على جنة الفردوس ، مستمتعا بنعيمها وملذاتها ، وبهذا الفصل تنتهي رحلة المعري إلى العالم الآخر .

4 – البناء المعماري لرسالة الغفران :

تنقسم رسالة الغفران إلى مقدمة وقسمين ، يشكل القسم الأول أهم جزء فيها ، فهو يمثل متن الغفران ، أما القسم الثاني فخصصه المعري للرد على رسالة ابن القارح إليه ، و نعرض للبناء المعماري للرسالة على النحو التالي :

أ – المقـــــدمة :

لقد افتتح المعري رسالته بالبسملة و طلب المعونة و التيسير من الله قائلا : << بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم يسر و أعن >> (2) ثم أردف قائلا : << قد علم الجبر الذي نُسب إليه جبرائيل و هو في كل الخيرات سبيلٌ >> (3) ، ثم أثنى أبو العلاء على ابن القارح بقوله : << تثمر من مودة الشيخ الجليل – كبت الله عدوه – و أدام رواحه إلى الفضل و غدوه ، ما لو حملته العالية من الشجر لدنت من الأرض غصونها ، و أذيل من تلك الثمرة مصونها >> (4) .

ثم بدأ المعري في طرح بعض المسائل اللغوية ، فشرح الكثير من المفردات المهجورة منها و غير المتداولة ، و استشهد على أقواله ببعض الأبيات الشعرية لمختلف الشعراء تارة ، و بأحداث متنوعة تارة أخرى .

---

(1) ، (2) ، (3) ، (4) ؛: أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران (129 – 139) ، 129 ، (202 – 203) ، (139 – 379) .

ب – متن الرسالة : القسم الأول (1) :

لقد تناول المعري في مقدمة متن غفرانه وصفا مميزا لكلمات ابن القارح في رسالته إليه لأن صاحبها افتتحها بتمجيد الله ، و ضمت سطورها كلم كثير من كلام الله ﷻ ، فلعل الله << يجعل كل حرف منها شبح نور لا يمتزج بمقال الزور ، يستغفر لمن أنشأها إلى يوم الدين >> [2] .

ثم يشبه المعري ألفاظ الرسالة بأشجار الفردوس بقوله : << هذه الكلمة الطيبة كأنها المعنية بقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [3] (...) ، فقد غُرس لمولاي الشيخ الجليل – إن شاء الله – بذلك الثناء شجر في الجنة لذيذ اجتناء >> [4] .

من هنا ينساق المعري وراء وصف مختلف مناظر الجنان وصفا ماديا ، فينتقل بابن القارح من الدار الفانية إلى دار الخلود ليجازى خير جزاء ، فتتراءى الجنة أمامنا بأشجارها النورانية و ما يجري في أصولها من أنهار جاريات يمدّها الكوثر من فيضه في كل أوان ، و أنهار من الرحيق المختوم عذبة المذاق إذا اغترف منها أحد أهل الجنة لم ينله الظمأ أبدا ، و أنهار أخرى قد تشكلت بأشكال الطير المختلفة ينبع من أفواهها شراب يفوق أصناف الأشربة الدنيوية لذة و مذاقا ، و في تلك الأنهار يصطاد الوارد سمكا لم يذق مثله قط .

و يواصل أبو العلاء وصفه المستفيض للجنة ، و في أثناء ذلك يعرض لندماء ابن القارح من علماء اللغة ، كما يلتقي ابن القارح طائفة من الأدباء الذين تحدّث معهم عمّا وقع له من أهوال المواقف المهولة ، ليروي بعدها حشره و ما كان من شفاعة أهل البيت له

---

(1) ، (2) أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ،: (139 – 379) ، 138 .

(3) إبراهيم : 24 .

(4) أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ،: 140 .

، ليشهد بعد ذلك مآدب أكل و شراب و مجالس و غناء ، ثم يطوف بأطراف الجنة ليمضي المعري بابن القارح إلى النار ، فيصف ما هنالك من أهوال و مناظر مؤلمة تكشّف له من خلالها ما يقاسيه الشعراء الذين دخلوا نار الجحيم و اصطلوا بحَرّهَا و سعيرها .

بعدها يعود ابن القارح إلى الجنة من جديد و يلقى آدم و يحاوره و يلقى بعضا من الأدباء و يتبادل الحديث معهم .

ج – الخـاتـمة :

لم يعط المعري الاهتمام البالغ لخاتمة عمله الأدبي أو بالأحرى للجزء الخاص بالرحلة المتخيلة ، إذ أعلم المتلقي و في سطور معدودات أن ابن القارح أقبل على نعيم الفردوس ، << فلا يزال كذلك أبدا سرمدا ناعما في الوقت المتطاول منعَّما لا تجد الغير فيه مزْعما >> [1] .

لينتقل للرد على رسالة ابن القارح قائلا : << و قد أطلت في هذا الفصل و نعود الآن إلى الإجابة عن الرسالة >> [2] .

5 – عـنـاصـر الـتـنـاص :

إننا نستدل من ثنايا ما جاء في المنام الكبير للوهراني أنه يتضمن ثلاثة أقسام شكلت هيكله العام ، تناصت في مجملها مع البناء المعماري لرسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، و قد ارتأينا أن نبدأ بعنصر تناصي مهم له علاقة بمعمارهما العام ، إنه الداعي لكتابة الأثر عند الرجلين ، باعتبار العناصر الهيكلية المشكلة للعملين الأدبيين ترتبط ارتباطا وثيقا بهذا الدافع .

---

(1) ، (2) أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ، : 379 .

أ – عنصر الداعي :

لكل أديب أو مبدع دوافع مباشرة أو غير مباشرة للشروع في التأليف ، والمتمعن في دواعي كتابة الوهراني لمنامه ، يصل إلى أنها تتناص مع السبب الذي من أجله كَتَب المعري رسالته .

فإذا تأملنا مليا المنام الكبير للوهراني ، نجد أن رسالة الحافظ العليمي كانت سببا مباشرا في تأليف الوهراني لمنامه ، وقد تحدث عنها في ست صفحات ، من مجموع صفحات المنام و نجده أيضا يشير لورودها في بداية منامه ، إذ يقول : << وصل كتاب مولاي الشيخ الإمام الحافظ الفاضل الخطيب المصقع الأمين جمال الدين ركن الإسلام شمس الحفاظ تاج الخطباء ، فخر الكتاب زين الأمناء ، أطال الله بقاءه ، و جعل خادمه من كل سوء وقاه >> [1] .

و بالتوازي مع ما ذكرناه ، فرسالة ابن القارح لم تكن لتوضع في تاريخ أدبنا العربي ، لو لم تكن سببا مباشرا لإبداع المعري لرسالته ، فأبو العلاء لم يكتف بالرد على رسالة ابن القارح بل بدأ رسالته بقصة الغفران ، فالداعي إذا هو ورود رسالة ابن القارح .

وعن ورود الرسالة يقول المعري : << وقد وصلت الرسالة التي بحرها بالحِكَم مسجور ، ومن قرأها مأجور ، إذ كانت تأمر بتقبل الشرع وتعيب من ترك أصلا إلى فرع >> [2] ، ولقد أشار المعري لِوُرُودِها بعد ديباجته للمقدمة ، ليدخل بها القسم الأول من رسالته ، وعند نهاية رحلة الغفران ، يعود أبو العلاء إلى رسالة ابن القارح ليرد عليها ، مستهلا إياها بقوله : << فهمت قوله جعلني الله فداءه ، لا يذهب به إلى النفاق و بَعُدَ ابن آدم من الوفاق ، وهذه غريزة خُصَّ بها الشيخ دون غيره >> [3] .

---

(1) ، (2) ، (3) أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ،: (21 – 70) ، 381 ، 583 ، 584 .

و في متن رده على الرسالة ، تعجب المعري من انفراد ابن القارح بالوفاء و العالم مجبول على الخديعة و النفاق ، كما أبدى اغتباطه بورود ابن القارح حلب و تحدث في متنها عن الزندقة و الزناديق و عن الفلاسفة و أصحاب المذاهب الدينية كالإمامية و المعتزلة و الأشاعرة و وقف عند مواضيع أخرى لا يمكننا الإحاطة بها كليا ، و اعتذر لابن القارح قائلا : << و أنا أعتذر إلى مولاي الشيخ الجليل من تأخير الإجابة عوائق الزمن منعت من إملاء السوداء (...) ، و أنا مستطيع بغيري ، فإذا غاب الكاتب فلا إملاء و لا ينكر الإطالة عليَّ >> [1] .

ليختم المعري جوابه لابن القارح بقوله : << نجزت الرسالة و الحمد لله رب العالمين و حسبنا الله و نعم الوكيل ، و صلى الله على سيدنا محمد النبي و آله الطيبين الطاهرين و سلم >> [2] ، و الملاحظ في هذا الإطار أن المعري قد استغرق في وصف الرسالة ، والإجابة عنها ، ما يقارب الخمسين صفحة من مجموع صفحات رسالة الغفران و مفاد رسالة ابن القارح أن << كاتب نصر الدولة أبو الفرج الزهرجي قد كتب رسالة إليه و أخرى إلى أبي العلاء لكنها سُرقت منه فبعث إليه هذه الرسالة المعروفة برسالة ابن القارح >> [3] .

و لقد استهل ابن القارح رسالته قائلا : << استفتاحا باسمه و استنجاحا ببركته ، و الله المبتدئ بالنعم المنفرد بالقدم ، الذي جل عن شبه المخلوقين و صفات المحدثين >> [4] ، و قد ذكر ابن القارح في هذه الرسالة شوقه إلى أبي العلاء ، و أثنى على علمه و فضله و تناول في رسالته أيضا بعضا من لقاءا ته و زياراته ، و تحدث عن توبته ، و وقف عندها موقفا مطولا معلّلا إياها ببعض الأخبار القديمة المروية ، و يسأل ابن القارح المعري في

---

(1) ، (2) أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ،: 583 ، 584 .

(3) عمر موسى باشا ، نظرات جديدة في غفران أبي العلاء ،: 37 .

(4) أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ،: 21 .

ختام رسالته جوابا عليها بقوله : << قال عمر بن الخطاب (رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي) و أسأله – أدام الله عزه – تشريفي بالجواب >> [1] .

كما يجدر بنا التذكير أن رسالة الحافظ العليمي التي أشار الوهراني إليها في المنام ، لا ندري إن كانت حقيقية أم أنها من صنع خيال الوهراني ، و بالتالي بفعل محاكاتي و تناصي ، رغم أن صاحبها الحافظ العليمي شخصية حقيقية (2) .

بالمقابل ، فإن رسالة ابن القارح (3) في الغفران هي رسالة حقيقية محققة ومدرجة قبل متن الرسالة ، وباعثها معلوم ، و هو أبو الحسن علي بن منصور الحلبي (4) الملقب بدوخلة .

ب – عنصر المقدمة :

إنه لمن الأهمية البالغة أن يوني المبدع الأهمية اللائقة لمقدمة عمله لتكون بداية معلنة لعمله ، مدركا أنه على << من يتصدى لمقصد من المقاصد أن يكون مُفْتَتَحُ كلامه ملائما لذلك المقصد ، دالا عليه شعرا كان أو نثرا >> [5] .

من هذا المنطلق فقد تناول الوهراني في مقدمة (6) منامه الكبير الإشارة إلى ورود رسالة صاحبه الحافظ العليمي ، و كيف استقبل الوهراني كتابه بكل فرح و اطمئنان فكان << ألذ من النار في عين المقرور وأعذب من الماء البارد في صدر المحرور وتناوله (7)

---

(1) أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ،: 66 .

(2) سبقت ترجمته ، ينظر هذا الفصل ،: 32 .

(3) رسالة الغفران ،: 21 / 70 .

(4) سبقت ترجمته ، ينظر هذا الفصل ،: 27 .

(5) يوسف حسين بكار ، بناء القصيدة في النقد العربي القديم ،: 203 .

(6) منامات الوهراني ،: 17 / 23 .

(7) يتحدث الوهراني عن نفسه بصيغة " هو" .

فكان في قلبه أحلى من الدراهم وأنفع لجراح البعد من الدراهم فلما فضّ ختامه وحط لثامه ، أبصر خطا أجمل من رياض الميطور (1) ، ولفظا أرق من نسيم الروض الممطور ، قد استفتحه سيدنا بكل لفظ مُذهّب ، فيه من التعاظم إلى كل مذهَب ... >> [2] ، ظانا من وراء ذلك أن بين جوانح قلب صاحبه نار شوق تتأجج حرقة للقائه بعد صحبته له زمنا .

لكن صاحبه << استفتحه بطلب الثأر من مزاح الخادم (3) في كتابه الكريم المقدم إليه من ثلاث سنين في مخاطبته بمجرد الاسم ، و حذف جميع الألقاب >> [4] ، فعجب الوهراني من تمكن الحقد من قلب صاحبه ، و استلائه عليه ، و في تلك الليلة فكر الوهراني في سوء رأي صاحبه فيه إلى هزيع من الليل ، حتى غلبته عينه و نام .

بالتوازي مع هذا فقد تناول المعري في مستهل قسمه الأول – المقدمة – ورود رسالة ابن القارح ، مبرزا غبطته باستقبالها ، فوصفها بأجمل الأوصاف ، مثلما مرّ بنا مع الوهراني إذ قال عنها : << غرقت في أمواج بدعها الزاخرة و عجبت من اتساق عقودها الفاخرة ، ومثلها شفع و نَفْع و قرب عند الله و رفع ، و ألفيتها مفتتحة بتمجيد صدر عن بليغ مجيد >> [5] .

و دعا الله ﷻ << أن يجعل كل حرف منها شبح نور لا يمتزج بمقال الزور يستغفر لمن أنشأها إلى يوم الدين و يذكره ذكر محب خدين و لعله سبحانه نصب لسطورها المنجية من اللهب معاريج من الفضة أو الذهب تعرج بها الملائكة من الأرض الراكدة إلى السماء و تكشف سجوف الظلماء بدليل الآية ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ

---

(1) قرية من قرى دمشق .

(2) منامات الوهراني ،: 17 .

(3) أي الوهراني .

(4) منامات الوهراني ،: 22 / 23 .

(5) رسالة الغفران ،: 140 .

الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [1] >> [2] .

و تشدنا مقدمة منام الوهراني مرة أخرى ، فالوهراني من خلال مقدمة منامه قصد إلى إبراز مودته و محبته لصاحبه العليمي بقوله : << إنه وجد بين جوانح الخادم (3) من نار الشوق أجيجا لو أن النار كلست الكلاسة (4) و اشتملت على الحائط الشمالي و عرست في العروس و أذنت بهلاك المؤذنين و أهلت لغير الله بدار ابن هلال تكون مثلها ، لما اقتصرت على المقصورة و لا بردّتها البرّادة حتى تصحن الصحن و تنسر النسر و تجرد القبة من رصاصها >> [5] .

و يردف ذلك قائلا : << أقبل (6) على تعضيض كفيه و لطم خديه و بكى حتى وقع مغشيا عليه بأشد من شوق الخادم إلى لقائه و تطلعه إلى ما يرد من تلقاءه :

فَالله يَطْوي بسَاط البُعْدِ عَن كَثَبٍ ❁❁❁ حَتى يُرَى الشَمْل مِنْهُمْ وَهْوَ مَأهُولُ >> [7]

و تستوقفنا رسالة المعري مرة أخرى ، فقد عقد أبو العلاء لرسالته مقدمة أبرز فيها حبه المكنون لصديقه ابن القارح الذي اشتاق إليه ، و أكّد على مودته له بقوله : << إن في مسكني حماطة (8) ما كنت قط أفانية (9) و لا الناكزة (10) غانية (11) تثمر

---

(1) فاطر : 10 .

(2) رسالة الغفران ،: 140 .

(3) أي : الوهراني .

(4) طلاء الحائط بالكلس .

(5) منامات الوهراني ،: 18

(6) يتحدث الوهراني عن نفسه بصيغة " هو " .

(7) منامات الوهراني ،: 21 .

(8) الحماطة : حبة القلب كما فسرها المعري ، ينظر : رسالة الغفران ،:131 .

(9) الأفانية : شجر الحماطة ما دام رطبا .

(10) الناكزة : التي تلسع .

(11) غانية : مقيمة .

من مودة مولاي الشيخ الجليل >> [1] .

و دعا له بالسلامة و الأمان و دوام فضله بقوله : << كبت الله عدوه و أدام رواحه إلى الفضل و غدوه >> [2] ، و يبرز محبته لابن القارح في موضع آخر من مقدمته بقوله أيضا : << إن الحماطة التي في مقري لتجد من الشوق حماطة لست بالمصادقة إماطة >> [3] ، و أنه : << يضمر من محبة مولاي الشيخ الجليل – ثبت الله أركان العلم بحياته – ما لا تضمره للولد أم >> [4] .

و من ثم ، فقد ظهر لنا جليا تأثر الوهراني بمقدمة رحلة أبي العلاء إلى العالم الآخر ، نظرا لما لاحظنا عليهما من تشابه .

ج – عنصر المتن :

في متن منام الوهراني و بعدما غلبته عينه ، رأى فيما يرى النائم أن القيامة قد قامت ، و أنه خرج من قبره حتى بلغ أرض المحشر ، و فيه دارت أحداث منامه الكبير ، فقال في نفسه : << ها هو اليوم العبوس القمطرير ، و أنا رجل ضعيف خوار الطباع و لا صبر لي على معاينة هذه الدواهي >> [5] ، فانشقت السماء الدنيا أمام ناظريه و رأى الملائكة منحدرة من السماء زرافات و وحدانا بما فيهم مالك خازن جهنم و قد خرج من النار مبحلق العينين و هو يدور في الموقف على المتهمين بالرذائل في دار الدنيا .

و كان الوهراني و صحبه في خضم هذا الأمر الجلل ، يحاولان تنجية نفسيهما من نار الجحيم ، بالتوسل إلى مالك خازن النار أن يعفو عنهما ، و في خلال هذا المشهد حاور الوهراني أدباء و شعراء اختصم مع بعضهم و تناقش مع آخرين ، و في أرض المحشر شهد الوهراني و صحبه موكب محمد رسول الله ﷺ في أصحابه و أهل بيته الأطهار ، و

---

(1) ، (2) ، (3) ، (4) رسالة الغفران ،: 129 ، (129 – 130) ، 130 ، 131 .

(5) منامات الوهراني ،: 24 .

واصل الوهراني طوافه بأرض المحشر إلى أن وصل نهر الكوثر الذي لا يظمأ الشارب منه أبدا .

بالمقابل و في متن رسالة الغفران ، عمد المعري إلى وصف الجنة و ندماء ابن القارح فيها ، و ما كان من أحوالهم في أطراف الجنة ، ثم وصف لنا جحيم الغفران و لقاء ابن القارح بشعراء النار و مناقشته لهم في بعض المسائل اللغوية و القضايا الأدبية ، ليعود مرة أخرى إلى الجنة ويقبل أخيرا على نعيم الفردوس .

و الملفت للانتباه في متن غفران أبي العلاء ما صدر من ابن القارح و هو يروي قصة الحشر ، و ما كان من شفاعة أهل البيت له كي يُراح من هول الموقف ، فقد قال ابن القارح بعدما انتفض من قبره و هو يروي قصة حشره يوم القيامة : << حضرت عرصات القيامة (...) فرأيت أمرا لا قوام لمثلي به >> [1] ، و رأى الملائكة منحدرة من السماء ، فلقيه الملك الحفيظ الذي استؤمن على حسناته ثم رضوان خازن الجنان ، و في كل مرة كان ابن القارح راغبا في دخول الجنة و التغاضي عن سيئاته في الدار الفانية حتى يفوز بدخولها .

و في آخر حديثه عن أهوال الموقف نلفيه يقول : << و كان مقامي في الموقف مدة ستة شهور من شهور العاجلة ، فلذلك ما بقي على حفظي ما نزفته الأهوال و لا نهكه تدقيق الحساب >> [2] .

فالوهراني إذا ، إنما أفاد من القسم الأول – متن الرحلة المتخيلة – من غفران أبي العلاء المعري و قلّده في ذلك ، مدركا أن << أهمية الرسالة إنما ترجع إلى القسم الأول منها >> [3] .

---

(1) رسالة الغفران ،: 248 – 249 .

(2) م . س ،: 262 .

(3) شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه في النثر العربي ،: 276 .

د - عنصر الخاتمة :

لقد اختتم الوهراني منامه بإخراج السامع من كل ما كان فيه من أحداث و أهوال قد شهدها رفقة صاحبه في أرض المحشر ، و ذلك بالنهوض من إغفاءته التي جسّد فيها أحداث منامه ، و هي من الخواتم المفتوحة المفاجئة التي تترك المتلقي يجول في شيء من الظن و الحساب .

في حين اختتم المعري رسالته بإقبال البطل ابن القارح على الجنان الأخروية و نعيم الفردوس و نال بذلك السعادة الأبدية ، كما مرّ بنا أثناء حديثنا عن بنية الخاتمة في رسالة الغفران .

فالوهراني إذا ختم عمله الأدبي مثلما فعل المعري ، و جعل من الخاتمة بنية جزئية في الهيكل العام للمنام الكبير ، لكنه لم يتقيد بتفاصيلها الكاملة كما جاء بها المعري ، و إنما حاول إدراج بصمته الخاصة .

من كل ما سبق ، يمكننا تلخيص ما ذكرناه حول التناص المعماري في المنام الكبير للوهراني ، مقارنة برسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، في عناصره الأربعة بالجدول التوضيحي التالي :

العثماني (1) وللوهراني ثلاث مقامات : المقامة البغدادية ، مقامة في شمس الخل
والمقامة الصقلية (2) .

1 – عرض مقامات الوهراني :

أول مقامات الوهراني هي المقامة البغدادية ، و التي يتحدث فيها عن نف
واصفا سفرته إلى بغداد، إذ بعدما ترك موطنه قصد بغداد ، وفي طريقه كان يقرع أ
الأمراء والوزراء والقضاة ويطلب ثوابهم ، حتى وصل إلى العراق ، ودخل مدينة ال
بغداد ، فلما قرّ به المقام في تلك الديار طافها طواف المتفقد ، وتأملها تأمل المنتقد ، ف
كل ما يبهج العين ويسر الخاطر .

و سرعان ما تاقت نفس الوهراني إلى محادثة العقلاء ومعاشرة الفضلاء ،
بعض سادة المدينة إلى دكان الشيخ أبي المعالي (3) واصفين إياه ببستان الأدب ود
العرب ، فقصده الوهراني ، و لما جلس إليه ، ابتدره بالكلام وسأله عن البلاد التي
منها ، فأجابه الوهراني بجميل اللفظ وحسن التعبير ، ثم سأله عن معرفته بدهره ، و
تركهم في دياره قبل سفره ، وهنا أطلق الوهراني العنان للسانه ، وبادر في سؤال
المعالي ، عن أي دولة يرغب أن يسمع عنها ، ويستفسر عن ملوكها ويتعرف على س

---

(1) (إن أظهر كاتب استعمل المقامة هو محمد بن ميمون في مؤلفه التحفة المرضية في ال
البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، الذي ترجم فيه لحياة الداي محمد بكداش ، في حين أن مق
ابن حمادوش المسماة لسان المقال في النبإ عن النسب و الحال من الوجهة الفنية المحضة تعتبر
و أفضل من سابقاتها في أدبنا الجزائري القديم) ينظر : أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الث
، ج 2 ،: 208 .

(2) منامات الوهراني ، : (1 - 9) ، (97 – 102) ، (219 – 223) .

(3) هو غالبا أبو المعالي الكتبي (- 568 هـ) ، منامات الوهراني ، : 2 .

أهلها ، فسأله أبو المعالي عن الدولة المرابطية .

يبدأ الوهراني بالتحدث عن دولة الملثمين ، وبأن نارهم خمدت ، وآثارهم بادت ، ثم سأله الشيخ عن عبد المؤمن بن علي (1) ، فيبدأ الوهراني في الحديث عنه ، ثم يسكت بدعوى أن مسالمة الأفاعي أصلح .

ثم يسأله عن ملوك دولة صقلية و سيرتهم ، فيخبره الوهراني عن انقراض طاغوتها وهلاكها ، واستفسر عن الدولة المصرية والخلافة العلوية، فأطال الوهراني وصفه لها وكيف كانت في أوج ازدهارها ، وكيف صارت كرقعة الشطرنج في أيدي رجال الفرنج ، حتى قصدها الملك المنصور أسد الدين شيركوه ، فطرد الغزاة وحرر البلاد ، ولما انتقل إلى ربه أجمع الناس بعد موته على تنصيب ابن أخيه الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي الذي قضى على الفتن ، وصير القاهرة جنة النعيم ، بعدما كانت بقعة من جحيم ، وانتقل إلى عضد الدين مادحا شجاعته وعلمه وسداد رأيه .

و يختم أبو المعالي أسئلته بسماع رأي الوهراني في بغداد وأهلها و ديارها، فرد عليه الوهراني بأنه تمنى زيارتها ، وكان يسمع عنها ما يرضي النفس ويسر الخاطر ، فكان ما رآه بعينه قد وافق ما كان في نفسه ، إلى أن دخل إلى جلال الدين (2) فأغناه بخيره ، ورأى فيه ذكاء يتألق ، ومروءة ظاهرة وأفعال طاهرة ، ثم ودعه بعدما أودعه ما يكفيه .

---

(1) هو عبد المؤمن بن علي الناجري الكومي نسبة إلى كومية و هي قبيلة بربرية في ندرومة ، ولد بضيعة من أعمال تلمسان تعرف بتاجر سنة 490 هـ و قيل : سنة 500 هـ ، نشأ في أسرة فقيرة ، ثم احترف تعليم الصبيان ، اصطفاه ابن تومرت فتظافرا معا على إقامة دعائم دولة الموحدين ، إلى أن توفي ابن تومرت و بويع ابن علي بالخلافة عام 524 هـ ، فثبّت قدمه في الملك و اشتدت بذلك عرى دولته في مختلف الميادين بما فيها الفتوحات إلى أن توفي في العام 558 هـ ، ينظر : عبد الرحمان الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ،: 1 / 7 – 12 .

(2) جلال الدين صاحب الديوان ، منامات الوهراني (الهامش) ،: 09 .

أما في مقامة الوهراني الثانية في شمس الخلافة فيخبرنا الراوي " عيسى بن حماد الصقلي " (1) ، أنه لما اختل الإسلام في صقلية ، هاجر إلى الشام ، واستقر بدمشق ، وهناك رأى رجلا شديد الإعجاب بنفسه ، فدفعه حب الاستطلاع إلى الحديث معه ، لكن الشك دبَّ في قلب الراوي عن صدق ما قاله ، فاستدل عليه برجل آخر ، فأخبره عن أصله وكيف أصبح صاحب شأن ، و روى له حكاية شمس الخلافة منذ حلّ بدمشق .

لقد دخل المدينة مفرغ اليدين والجيبين ، فوقعت عجوز في حبه وتزوجته ، لكن هذه العجوز ، أجمعت على تعليمه فتخوّف الرجل من الأمر ، ولما أصبح شرح لها وضعه وعدم قدرته على تلبية طلبها ، لكن زوجته العجوز ، أصرت على ذلك ، بل أرادت أن تضعه على رؤوس المنابر ، وطالبته بأن يفتح للدرس أذنه ، ويسمع إلى نصائحها وتعليماتها .

وبدأت العجوز في تلقينه الحروف ، فالألف قائم كالمغزل ، والطاء كالخف، وكل مدوّر ميم ، وكل معوج جيم ، وقالت له إن حفظت هذا الكلام ، ستصبح مفتي العراق والشام ، فأقبل الرجل يكرر ما قالته حتى أجاد حفظه ، حينها عزم على مدرسة الأئمة ، فخرجت العجوز تبخره من العين ، ناصحة إياه بأن يحسن الجلوس ، وأن ينشر أكمامه ويظهر للناس أعلامه ، وأن يباكر المدرسة في الصباح وأن يأخذ اللفظ بأنامله من شفتيه، وأن يزاحم الفقهاء بمنكبيه ، فالفقه في نظرها مجرد نفاق و زعاق ، واستدلت على ذلك بما قاله أحد الشيوخ الذين رأوا حالهم وخبروا محالهم .

دخل الرجل على الفقهاء ، فهابته قلوب الجماعة وأنصفوه في السلام ، وبسطوه في الكلام حتى جاء وقت المناظرة ، حينئذ ظهر على حقيقته ، إذ أخذ يقول ما اتفق ، وكل ما خطر على ذهنه ، دون مبالاة ، فخرجت هيبته من صدور الجماعة ، ولما نبذوه ، عاد صاحبنا إلى ما عهده من أخلاق دنيّة ذميمة حتى طال على القوم أمره ، فأشار أحدهم

---

(1) لم يجد المحققان تعريفا له ، منامات الوهراني (الهامش) :، 97 .

عليه ببعض الأعمال فكانت سبب ثرائه ، فصار بالأعوان والحاشية ، حينها انقلب على زوجته وصار يجري بينهما في المجالس ، ما يُحفظ عنهما في المدارس ، وقد صار الرجل يلقب بشمس الخلافة .

و نأتي إلى ثالث وآخر مقامة ضمّها مؤلف الوهراني وهي مقامة عن صقلية ، وكان هذه المرة هو راويها ، فلما دخل صقلية ، عشقها شيطانه وأقام بها ، وفي إحدى الأيام حضر مع طائفة من أهل دينها ، فجرى بينهم حديث عن أهل البلد وأعيانها ، وكان فيهم " أبو الوليد القرطبي " ، الذي سألوه عن أعيان صقلية ، فهو الذي سيميز لهم الخبيث من الطيب ، فسئل عن " ابن رجاء " فأجابهم أنه شيخ علم لا يُظلم عنده أحد ، غير أنه كثير الكلام ، مضياع لمواقيت الصلاة ، لا يرثي لحال أحد ، ولا يتوجع لمكروه أو مصاب .

ثم سُئل عن أبيه فأجابهم أنه قاض يتناعس على الخصمين ، أما ابنه ، فوصفه لهم بأسوإ الصفات وأقبح النعوت ، ليسأل بعدها عن الفقيه " ابن بقية " ، فكان رده عليه أنه لم يبق بعد موته بقية فنعم الفقيه والأديب كان ، فقد سُرّ الأعداء بفقده ، وختم الجمع استفساراتهم بسؤالهم عن الكاتب " يوسف " و ولده " أبي علي " وأخيه " أبي الفتوح " فوصفهم جميعا بنفس النعوت و الطباع السيئة .

2 – البناء المعماري لمقامة الوهراني في شمس الخلافة - نموذجا -

إننا نميز من ثنايا ما جاء في مقامة الوهراني في شمس الخلافة – و التي ارتأينا أن تنوب عن بقية مقامات الوهراني لتكون نموذجا في دراستنا للبناء المعماي – أنها تشكلت من الاستهلال و المتن و الخاتمة ، و نعرض لبنائها المعماري على النحو التالي :

أ – المقدمة (الاستهلالية) :

لقد استهل الوهراني مقامته بنسبة الحكي للراوية عيسى بن حماد الصقلي بقوله : << حدثنا عيسى بن حماد الصقلي قال >> [1] ، ثم تلاه بذكره سبب ارتحاله و هجره البلد حين قال : << لما اختل في صقلية الإسلام ، و ضعف بها دين محمد عليه السلام ، هاجرت إلى الشام بأهلي و جعلت جلق محط رحلي >> [2] ، فالوهراني بهذه الاستهلالية يبدأ مقامته معلنا بذلك عن بدء الحكي .

ب – المتن :

لقد تناول الوهراني في متن مقامته قصة شمس الخلافة منذ أن التحق بالبلد و هو على أسوإ حال ، فقد<< حاول كل معيشة فلم يقدر على حشيشة >> [3] ، حتى ساقه القضاء إلى عجوز ميسورة الحال ، فتوسمت فيه الرجل المثالي الذي يسترها ، و يملأ عليها حياتها .

و يواصل الوهراني مقامته مبينا للقارئ كيف استطاعت هذه العجوز أن تجعل من زوجها فقيها ، رغم أنه لا يحسن من أمور الدين شيئا و لا من علوم العربية صنفا ، قليلا أو كثيرا ، إلى أن دخل على جماعة من الفقهاء في الإيوان ، فهابته قلوبهم جميعا ، لكنه حينما نطق عُرف جهله و بان تقصيره ، << و تحققوا أن الرجل كالسطل لا يصلح إلا للإسطبل >> [4] .

---

(1) ، (2) منامات الوهراني ،: 97 .

(3) م . س ،: 98 .

(4) منامات الوهراني ،: 102 .

ج – الخاتمة :

لقد ختم الوهراني مقامته بذكره لمصير شمس الخلافة ، فبعدما كُشف أمره و بان جهله ، توجه إلى العمل بالتجارة حتى زاد ماله و كثر عماله ، و أصبح بالأعوان والحاشية و << صار الشيخ زوج العلافة يلقب بشمس الخلافة >> [1] ، حينها تغير على زوجته و أنكر وقوفها إلى جانبه ، و بقي على أخلاقه الدنية و شيمه الرديئة .

و الملاحظ أن مقامات الوهراني بالصفة التي جاءت بها ، و حاولنا عرض البنيات الأساسية المشكلة للمعمار الكلي لنموذج منها – مقامة الوهراني في شمس الخلافة – لم تكن سابقة في الأدب العربي و لكنها تتناص تناصا مباشرا مع مقامات الهمذاني .

3 – عرض مقامات الهمذاني (2) ـ المقامة البغدادية نموذجا ـ :

مقامات الهمذاني(3) هي مجموعة من الحكايات القصيرة متفاوتة الحجم جمع الهمذاني فيها بين النثر و الشعر ، تدور حول مواضيع شتى منها الكدية و أساليب الاحتيال

---

(1) منامات الوهراني ،: 102 .

(2) ينظر : الهمذاني ، مقامات الهمذاني .

(3) بديع الزمان الهمذاني هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد المعروف ببديع الزمان الهمذاني ، أصله من همذان و إليها ينسب ، ولد في العام 358 هـ / 969 م من أسرة عربية ذات مكانة علمية ، أخذ أصول اللغة و الأدب عن ابن فارس ، و في السنة 380 هـ انتقل إلى مدينة أصفهان ثم جرجان فنيسابور إلى أن استقر بهراة في العام 398 هـ / 1007 م ، مخلفا آثارا أدبية تتمثل في مجموعة من الرسائل و ديوان شعر و مقامات .

ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 1 / 109 – 111 .

التي يلجأ إليها الأفراد من أجل كسب الرزق و الحصول على لقمة العيش ، بطلها رجل وهمي يدعى أبا الفتح الإسكندري ، و راويها يدعى عيسى بن هشام .

و تدور أحداث المقامات بفعل خداع و مغامرات البطل في جو من الفكاهة و الطرافة ، و تنطوي هذه المقامات على ضروب من الثقافة ، نظرا لتمكن الهمذاني من أن يستودع بها من القرآن العظيم و الشعر القديم و أمثال العرب و أخبارهم الشيء الكثير ، و (يبلغ عدد مقامات الهمذاني إحدى و خمسين مقامة) (1) ، منها البغدادية و الكوفية و السجستانية و غيرها .

و تعد مقامات الهمذاني من : << الوثائق التاريخية التي تعطينا فكرة صريحة عن الحياة الاجتماعية في زمانه و أحوال العصر و أخلاق الرجال >> (2) .

و نشير إلى أننا قد اخترنا المقامة البغدادية نموذجا لاستحالة عرض كل مقامات الهمذاني ، و نظرا لأن هياكلها العامة متشابهة ، و سنقترح أمثلة متناثرة منها حين نجسد للتناص المعماري بينها و بين مقامات الوهراني .

في المقامة البغدادية (3)، يخبرنا الهمذاني أن عيسى بن هشام كان سائرا في أحد أحياء بغداد ، متسكعا فارغ الجيب ، يفكر في طريقة يحصل بها على لقمة يسد بها رمقه ، و يسكت بها جوعه ، و بينما هو كذلك ، رأى قرويا يسوق حماره ، و لمح عقدا مربوطة على نقوده في أطراف إزاره ، فهرع إليه ناويا غدره و الاحتيال عليه ، فهَمّ بسؤاله و الاستفسار عن أحواله حتى عرف اسمه و ما كان من وفاة أبيه ، فتظاهر ابن هشام أنه على معرفة سابقة بأبيه ، فحزن لمصابه و أراد تمزيق ثوبه ، بعدها دعا بطل المقامة القروي الساذج للغذاء معه حتى أقنعه فقبل ضيافته في مطعم سوق المدينة .

---

(1) ينظر : الهمذاني ، مقامات الهمذاني .

(2) مصطفى الشكعة ، بديع الزمان الهمذاني ،: 289 .

(3) الهمذاني ، مقامات الهمذاني ،: 91 / 95 .

بعد وصول عيسى و ضيفه لأحد مطاعم السوق ، جلسا و طلبا الشواء و الحلوى الطازجة ، فالتهما كل ما أحضر لهما بسرعة بعدما أقبلا عليه بصمت ، إلى أن استأذن عيسى بن هشام القروي ليحضر سقاء يأتيهما بماء مثلج يخفف من وطأة الطعام اللذيذ عليهما ، فانصرف و ترك السوادي الساذج في المطعم لوحده مع الشواء .

ظل القروي منتظرا مضيفه ، فلما استبطأه قام لينصرف ، فاعتلق الشواء بإزاره طالبا ثمن ما أكل هو و صاحبه ، فذكر له القروي أنه كان ضيفا ، فلم يصدقه الشواء و بدأ في لكمه و لطمه و شتمه و أخذ ثمن ما أكله ، حينها أدرك هذا القروي أنه ضحية ، بينما فرح عيسى بن هشام و سرّ لتمكنه من إحكام حيلته و نصب شراكه على هذا الرجل الساذج .

4 – البناء المعماري للمقامة البغدادية :

يمكننا تقسيم المقامة البغدادية للهمذاني من حيث البناء المعماري إلى ثلاثة أقسام : المقدمة أو الاستهلال و متن و خاتمة .

أ – المقدمة (الاستهلال) :

لقد استهل بديع الزمان الهمذاني مقامته البغدادية بمقدمة أواستهلالية كثيرا ما ترددت في بقية مقاماته ، و ذلك بقوله : << حدثنا عيسى بن هشام قال : >> [1] ، مبينا بذلك أن عيسى بن هشام هو الراوية فهو الذي سيقوم بنقل الخبر إلى السامع منذ البداية ، و هو بهذا يعطي ميزة لهذه الاستهلالية ، ليحيلنا بعدها إلى سرد الأحداث التي سطرها في المقامة .

---

(1) مقامات الهمذاني ،: 97 .

ب – المتن :

بعد الاستهلال بدأ الهمذاني يمهد لمقامته بمشهد عيسى بن هشام سائرا في شوارع بغداد ، و هو لا يملك نقودا لشراء ما يملأ به بطنه ، و يسدّ رمقه ، يَجدّ في العثور على طريقة لكسب المال ، ثم صور لنا كيف استطاع عيسى بن هشام إحكام شركه ليقع فيه السوادي الساذج دون أن يشعر بذلك إذ نجده يقول : << ظفرنا و الله بصيد >> (1) ، و ذلك بدعوته هذا الريفي إلى السوق ، و بعد تناولهما لكل ما لذ و طاب استأذن عيسى من القروي واعدا إياه بالعودة محملا بالماء المثلج حاكيا ذلك بقوله : << ثم خرجت و جلست بحيث أراه و لا يراني أنظر ما يصنع >> (2) .

إذا فقد تناول الهمذاني في متن مقامته أحداثا تطورت إلى أن وصلت إلى العقدة التي بلغت ذروتها بخروج عيسى بن هشام و تركه للسوادي منفردا .

ج – الخاتمة :

لقد ختم الهمذاني مقامته البغدادية حين صور لنا كيف هَم القروي بالخروج من مطعم السوق ، و تعلق الشواء به طالبا ثمن ما أكله هو و صاحبه ، فقال أبو زيد : << أكلته ضيفا ، فلكمه لكمة ، و ثنّى عليه بلطمة >> (3) .

فكان بذلك بطل المقامة قد وصل إلى مبتغاه في الحصول على ما يُشبع جوعه دون دفع درهم واحد ، حينها فقط أدرك القروي أنه ضحية احتيال .

و ختم الهمذاني مقامته بترديده لبيتين من الشعر يدعوان إلى الحصول على الرزق بكل الطرق ، حتى و إن كانت غير مشروعة إذ قال :

---

(1) مقامات الهمذاني ،: 91 .

(2) ، (3) م . س ،: 92 .

«اعْمَلْ لِرزقِك كُلّ آلــة ❁❁❁ لا تَـقعُدنّ بكُلّ حَالَه

و انْهَض بكلّ عَظيمَة ❁❁❁ فالمَرْءُ يَعْجزُ لا مَحَالَه » [1]

5 – عناصر التناص :

تعد طريقة الهمذاني في كتابة مقاماته أكثر سيطرة على باقي الخطط و الطرق الفنية الأخرى ، وليس أدل على ذلك من وجود الكثير من «الكتاب المقاميين الذين سلكوا خطة البديع خلال أطوار مختلفة من حياة تطور فن المقامة » [2] .

هذه الطريقة الفنية (اتخذها الكثير من الأدباء الذين عاشوا بعد الهمذاني منوالا ينسجون عليه ، و من أشهرهم محمد الحريري (446 هـ – 516 هـ) مؤلف مقامات الحريري ، و التي بلغ عددها خمسون مقامة) (3) ، إذ « لا يستطيع أحد أن ينكر بصمات الهمذاني على الحريري » [4] ، و على منوالها نسج الوهراني مقاماته أيضا .

لذلك فبناء الوهراني لمقاماته ، كان يرتكز على البناء الفني للمقامات عند الهمذاني ، و يمكن تقسيم هذا البناء على النحو الآتي :

أ – عنصر الاستهلال :

يعتبر الإستهلال بداية معلنة للحكي ، « بحيث يحيلنا على أنماط من الكتابة التقليدية و الحكي العتيق ، و يمثل رأس النص و بداية السرد » [5] ، فهو الذي يتقدم النص

---

(1) مقامات الهمذاني ، 92 .

(2) عبد الملك مرتاض ، فن المقامات في الأدب العربي ،: 220 .

(3) ، (4) جابر قميحة ، التقليدية و الدرامية في مقامات الحريري ،: 119 .

(5) الطاهر روابنية ، شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي القديم ، مجلة : السيميائية و النص الأدبي ،:139 .

و يمهد له ، ومن هذا المنطلق << فإن أي معنى يُمنح للاستهلال ، يمكن أن ينسحب أيضا على النص كله موجها إياه نحو هدف و مقصدية ، يمكن إعطاءها تفسيرا ملائما >> [1] ، و بصيغة أخرى فإن استهلال النص : << يُؤشر على شكل النص و مضمونه >> [2] ، و يعرف القارئ به من الوهلة الأولى ، خاصة إن كان من التراث بحيث يسهل التعرف عليها كفن المقامة مثلا .

و من هذا المنطلق فإنه من السهل رصد النصوص الغائبة على مستوى البناء المعماري في الإطار العام للمقامة – مجال بحثنا في هذا الجزء من الدراسة – و ما تتضمنه من مميزات يقاس عليها .

و قد يضم الاستهلال جزءا معتبرا من النص الأدبي ، و يمكن أن نقصر هذا الفعل التأليفي << على ما تشير إليه أو تمهد له الجملة الاستهلالية >> [3] مثلما نجد ذلك عند الوهراني الذي بدأ مقامته في شمس الخلافة بقوله : << بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الشيخ ركن الدين محمد بن محمد الوهراني المغربي عفا الله عنه يصف بغداد المحروسة و سفرته إليها و يمدح الخليفة >> [4] ، ثم أردف ذلك قائلا : << قال الوهراني : لما تعذرت مآربي (...) >> [5] .

بينما استهل مقامته الثانية في شمس الخلافة بجملة استهلالية مفادها : << حدثنا عيسى بن حماد الصقلي قال : لما اختل في صقلية الإسلام .... >> [6] ، و في آخر مقاماته يفتتحها الوهراني بقوله : << قال الوهراني : دخلت مدينة صقلية... >> [7] .

---

(1) الطاهر روابنية ، شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي القديم ، مجلة : السيميائية و النص الأدبي ،: 140 .

(2) محمد مفتاح ، دينامية النص ،: 161 .

(3) الطاهر روابنية ، شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي القديم ، مجلة : السيميائية و النص الأدبي ،: 139 .

(4) ، (5) ، (6) ، (7) منامات الوهراني ،: 10 ، 97 ، 219 .

بالموازاة مع ذلك فإن الهمذاني بدأ مقاماته و استفتح حكيه بقوله : << حدثنا عيسى ابن هشام قال... >> [1] ، و قد وردت هذه الافتتاحية في مقامات الهمذاني التالية: القريضية (2) و الأزاذية (3) و البلخية (4) و السجستانية (5) و الكوفية (6) و الأسدية (7) و الغيلانية (8) و الأذربيجانية (9) و الجرجانية (10) و الإصفهانية (11) و الأهوازية (12) و البغدادية (13) و البصرية (14) و الفزارية (15) و الجاحظية (16) و المكفوفية (17) و البخارية (18) و القزوينية (19) و الساسانية (20) و القردية (21) و الموصلية (22) و المضيرية (23) و الحرزية (24) و المارستانية (25) و المجاعية (26) و الوعظية (27) و الأسدية (28) و العراقية (29) و الحمدانية (30) و الرصافية (31) و المغزلية (32) و الشيرازية (33) و الحلوانية (34) و النهيدية (35) و الإبليسية (36) و الأرمينية (37) و الناجمية (38) و الخلفية (39) و النيسابورية (40) و العلمية (41) و الوَصِّيَة (42) و الصيمرية (43) و الدينارية (44) والشعرية (45) والملكية (46) و الصفرية (47) و السارية (48) و التميمية (49) و الخمرية(50) و المطلبية (51) ، و البشرية (52) .

إن أولى ملاحظة على ما تقدم هي أن الوهراني قد اعتمد على الشكل الثاني من الاستهلال ، إذ قدم لمقاماته بجمل استهلالية ، الأمر الذي ألفيناه عند الهمذاني ، فقول الوهراني : << حدثنا عيسى بن حماد الصقلي قال ... >> [53] ، هي نفس الاستفتاحية التي عادة ما يبدأ بها الهمذاني مقاماته ، و يستفتح بها حكيه بقوله : << حدثنا عيسى بن هشام قال ... >> – كما سبق ذكره – .

---

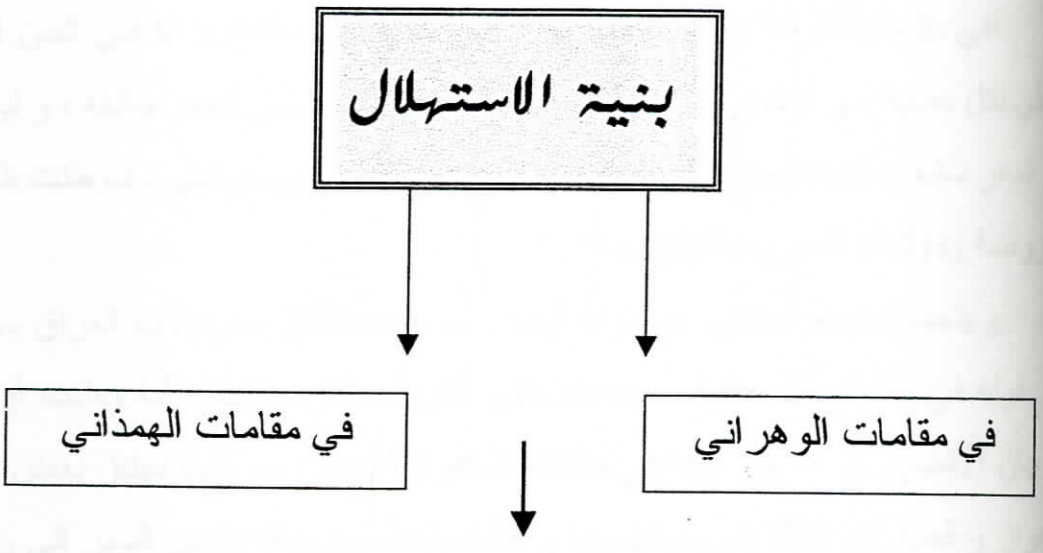
(1) لقد ترددت هذه العبارة دائما في افتتاحية مقامات الهمذاني و دون تغيير أو تبديل .

(2 – 52) مقامات الهمذاني،: 5 ، 13 ، 19 ، 25 ، 35 ، 43 ، 57 ، 65 ، 71 ، 79 ، 85 ، 91 ، 97 ، 105 ، 113 ، 121 ، 127 ، 133 ، 141 ، 147 ، 151 ، 159 ، 179 ، 185 ، 193 ، 199 ، 209 ، 215 ، 227 ، 237 ، 249 ، 255 ، 261 ، 267 ، 275 ، 283 ، 289 ، 297 ، 301 ، 307 ، 311 ، 317 ، 329 ، 339 ، 345 ، 351 ، 355 ، 359 ، 365 ، 375 ، 381 .

(53) منامات الوهراني ،: 5 ،97 .

فالاستفتاحية إذا في كلا العملين الأدبيين كانت بذكر العبارة << حدثنا >> ، ثم ذكر سم الراوية – رغم اختلاف اسميهما في المقامتين – ، فالوهراني بادر إلى اسم عيسى ن حماد تارة ، والوهراني نفسه تارة أخرى ، في حين عمد الهمذاني إلى جعل عيسى بن شام راوية في استهلالاته كلها .

فالوهراني إذا ما هو إلا مقلد لمعمار الاستفتاحية في البناء المعماري لمقامات ذاني ، و نعبر عما قلناه في الشكل البياني التالي :



ب – عنصر المتن :

لقد استهل الوهراني متن مقاماته الثلاث ، بالإعلان عن خروجه مسافرا ، فهاهو هراني في مقامته البغدادية ، و بعد الاستهلالية التي بدأ بها مقامته نلفيه يقول : << لما ذرت مآربي ، و اضطربت مغاربي ، ألقيت حبلي على غاربي ، و جعلت مُذهبات

الشعر بضاعتي (...) فتقلبت بي الأعصار ، و تقاذفت بي الأمصار ، حتى اقتربتُ من العراق ، و سئمت من الفراق فقصدت مدينة السلام (1)، لأقضي حجة الإسلام ، فدخلتها بعد مقاساة الضر، و مكابدة العيش المر >> (2) .

من جهة أخرى و بعد الاستهلالية يدخل الهمذاني مباشرة في متن مقاماته ، و كثيرا ما يبرز للمتلقي سفراته و جولاته في مختلف الديار و الأمصار ، في حين يحدد مقصده و وجهته في مقامات أخرى.

ففي مقامته الكوفية (3) مثلا قال بعد الاستفتاحية : << كنت و أنا فتي السن أسند رجلي لكل عماية ، و أركضُ طِرْفِي لكل غَوَايَة ، حتى شربت من العمر سائغه ، و لبست من الدهر سابغه ، فلما انصاح النهار بجانب ليلي ، و جمعت للميعاد ذيلي ، فوطئت ظهر المروضة (4) لأداء المفروضة (5) >> (6) .

و يتجسد منحاه المذكور في قوله أيضا : << طفت الآفاق حتى بلغت العراق >> (7) ، و قوله في مقامته القريضية : << طرحتني النوى مطارحها حتى إذا وطئت أرض جرجان الأقصى >> (8) ، و قوله في مقامته المكفوفية أيضا : << كنت أجتاز بعض بلاد الأهواز و قصاراي لفظة شرود أصيبها و كلمة بليغة أستزيدها فأدّاني السير إلى رقعة فسيحة من البلد >> (9) .

إنطلاقا مما جسدناه من أمثلة ، يتبين لنا أن الوهراني قصد في بداية متن مقاماته الثلاث إخبار السامع بهيمانه في الأرض دون مقصد محدد و دون وجهة بعينها و دخوله

---

(1) مدينة بغداد .

(2) منامات الوهراني ،: 97 .

(3) مقامات الهمذاني ،: 35 /41 .

(4) المهرة أو الناقة .

(5) حج البيت الحرام بمكة المكرمة .

(6) (7) ، (8) ، (9) مقامات الهمذاني ،: 35 ، 215 ، 05 ، 119 .

الأوطان و خروجه منها دون إصابته لما اشتاقت و تاقت إليه نفسه ، حتى وجد نفسه كالعادة يطأ أرضا لم يكن قد حدد وجهته إليها من قبل ، الأمر الذي وجدناه عند الهمذاني في أكثر من مقامة – كما أشرنا إلى ذلك – مما يجعل محاكاة الوهراني للهمذاني في هذه النقطة جلية واضحة .

من جهة أخرى ، حينما نتأمل مقامة الوهراني الثانية في شمس الخلافة (1) ، نجده يقول : << لما اختل في صقلية الإسلام ، و ضعف بها دين محمد عليه السلام ، هاجرت إلى الشام بأهلي ، وجعلت جلق (2) محط رحلي ، فدخلتها بعد معاناة الضر و مكابدة العيش المر >> (3) .

و مثل ذلك أيضا ما ذكره الوهراني في آخر مقاماته قائلا : << دخلت صقلية في الأيام المتولية >> (4) ، إذ يعلم الوهراني القارئ أنه قصد موطنا بذاته ، فمرة قصد دمشق و مرة قصد صقلية .

و نقابل ذلك بما ورد في المقامة البصرية (5) للهمذاني بقوله على لسان البطل : << دخلت البصرة و أنا من سني في فتاء (6) و من الرأي في حبر و وشاء (7) ، و من الغنى في بقر و شاء (8) >> (9) ، و نجده في المقامة المارستانية (10) يقول : << دخلت

---

(1) منامات الوهراني ،: 97 / 102 .

(2) اسم للغوطة ، و قيل دمشق ، ينظر ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،: 3 / 126 .

(3) منامات الوهراني ، 1 .

(4) م . س ،: 219 .

(5) مقامات الهمذاني ،: 97 / 105 .

(6) الشباب .

(7) ضرب من البرود اليمانية .

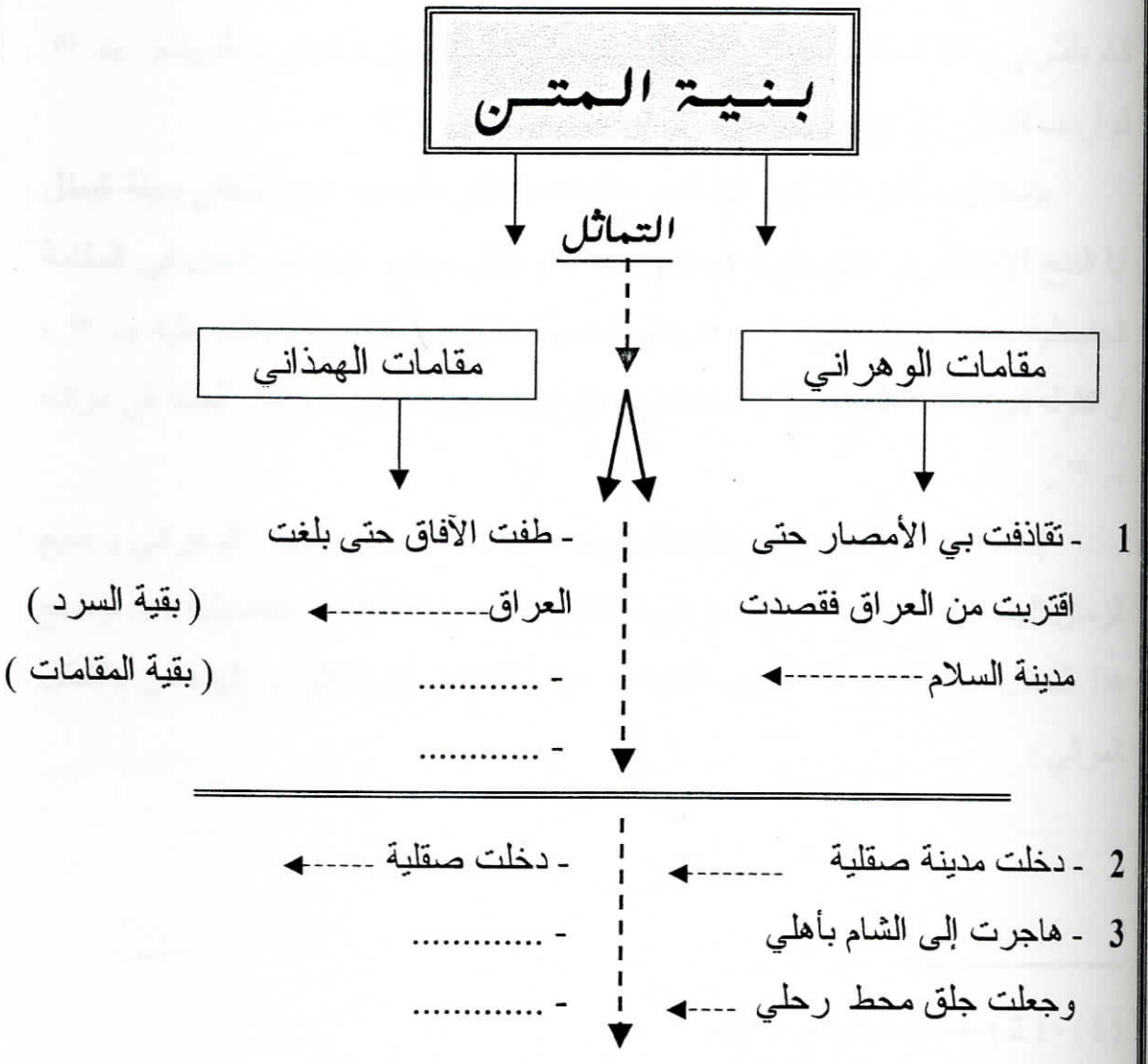
(8) اسم جمع للشاة أي أنه كان صاحب ماشية .

(9) مقامات الهمذاني ،: 97 .

(10) م . س ،: 185 /187 .

مارستان (1) البصرة ... >> [2] ، كما لم يخرج عن هذا الإطار العام في المقامة المغزلية بقوله : << دخلت البصرة و أنا متسع الصيت ، كثير الذكر>> [3] .

و أخيرا نقول أنه بعد إعلان الوهراني عن السفر في مقاماته الثلاث و الذي تناص كما رأينا مع مقامات الهمذاني ، نلفيه يقوم بسرد الحدث العام للمقامة مع اختلاف مضامينها من خلال تنوع الفضاءات و اختلاف التفاصيل و تباين المرامي ، و في كل هذا نلفي بطلا و راوية و نمثل للتناص المعماري على مستوى المتن بالشكل التالي :



(1) موضع يعالج فيه المجانين من الناس .

(2) ، (3) مقامات الهمذاني ،: 185 ، 249 .

ج – عنصر الخاتمة :

عند تمعننا في مقامات الوهراني الثلاث ، نراه قد ختم مقامته البغدادية بذكره الظفر بحاجته و نيله لمراده من المال و الزاد ، بعدما قصد أحد أصحاب الديوان الذين يملكون الحل و الربط في مسألة العطايا و الهدايا ، و الذي يتضح من قوله : << أغناني بخيره ، و أمدني بميره ، و لم يحوجني إلى غيره :

قَامَ بأمْري وَ قَدْ قَعَدْت بهِ ❁❁❁ وَ نِمْت عَن حَاجَتي و لَمْ يَنَم >> [1]

ثم أردف قائلا : << ودّعني و انكفا ، و أودعني ما كفى >> [2] .

بالمقابل ، كثيرا ما كان الهمذاني ينهي مقاماته بالظفر بالحاجة حينما تنطلي حيلة البطل أبا الفتح الإسكندري على الفرد أو الجماعة ، و ينال مراده مثلما هو الحال في المقامة الجاحظية حينما ختمها بقوله : << فارتاحت الجماعة إليه و انثالت الصلات عليه >> [3] ، أو كقوله في مقامته الصُفرية : << فعجبت من إيراده و لطفه في سؤاله و أجبته في مراده >> [4] .

إذا ، فهذه النقطة ميزة مشتركة في بناء الخاتمة عند ابن محرز الوهراني و بديع الزمان الهمذاني على حد سواء ، رغم اختلاف التفاصيل الدقيقة و التفصيلية ، و نوضح هذا التماثل بين البناء المعماري للخاتمة عند الأديبين الوهراني و الهمذاني بالشكل الموالي :

---

(1) ، (2) منامات الوهراني ،: 09 .

(3) مقامات الهمذاني ،: 115 .

(4) م . س ،: 351 .

ج - عنصر الخاتمة :

عند تمعننا في مقامات الوهراني الثلاث ، نراه قد ختم مقامته البغدادية بذكره الظفر بحاجته و نيله لمراده من المال و الزاد ، بعدما قصد أحد أصحاب الديوان الذين يملكون الحل و الربط في مسألة العطايا و الهدايا ، و الذي يتضح من قوله : << أغناني بخيره ، و أهدني بميره ، و لم يحوجني إلى غيره :

قَامَ بِأَمْرِي وَ قَدْ قَعَدْتُ بِهِ ❁❁❁ وَ نِمْتُ عَنْ حَاجَتِي وَ لَمْ يَنَمِ >> (1)

ثم أردف قائلا : << ودّعني و انكفا ، و أودعني ما كفى >> (2) .

بالمقابل ، كثيرا ما كان الهمذاني ينهي مقاماته بالظفر بالحاجة حينما تتطلي حيلة البطل أبا الفتح الإسكندري على الفرد أو الجماعة ، و ينال مراده مثلما هو الحال في المقامة الجاحظية حينما ختمها بقوله : << فارتاحت الجماعة إليه و انثالت الصلات عليه >> (3) ، أو كقوله في مقامته الصُفرية : << فعجبت من إيراده و لطفه في سؤاله و أجبته في مراده >> (4) .

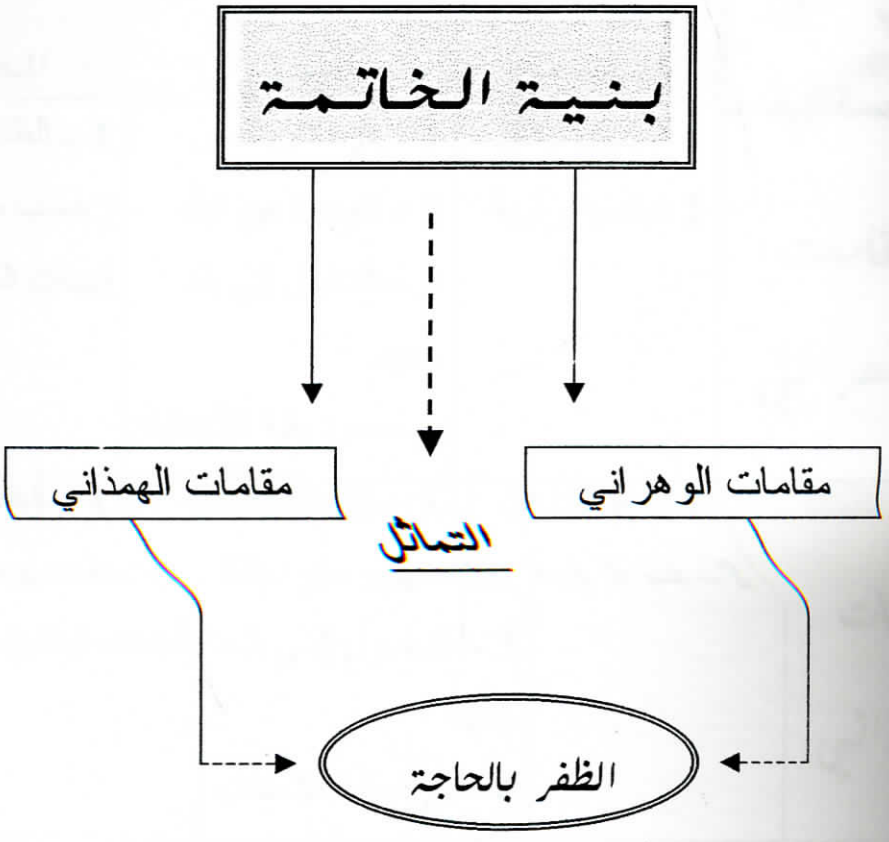
إذا ، فهذه النقطة ميزة مشتركة في بناء الخاتمة عند ابن محرز الوهراني و بديع الزمان الهمذاني على حد سواء ، رغم اختلاف التفاصيل الدقيقة و التفصيلية ، و نوضح هذا التماثل بين البناء المعماري للخاتمة عند الأديبين الوهراني و الهمذاني بالشكل الموالي :

---

(1) ، (2) منامات الوهراني ، : 09 .

(3) مقامات الهمذاني ، : 115 .

(4) م . س ، : 351 .



و من ثم فالخيط الرابط بين البناء المعماري لمقامات الوهراني و نظيراتها في مقامات الهمذاني ، يشكل مجلى المحاكاة بينهما ، و قد تمثل في المقدمة و بداية متن المقامة ، إضافة إلى البطل و الراوية اللذان يسيران المقامة ، و نمثل لما ذكرناه بالجدول التالي :

العمل الأدبي	عنصر المقدمة	عنصر المتن	عنصر الخاتمة
مقامات الوهراني	1 – حدثنا / قال 2 – اسم الراوية	1 – الإعلام بالسفر 2 – الهجرة من البلد 3 – الدخول إلى بلد جديد 4 – سرد بقية الأحداث	1 – الظفر بالحاجة (حسب موضوع و أحداث المقامة)
مقامات الهمذاني	1 – حدثنا / قال 2 – اسم الراوية	1 – الإعلام بالسفر 2 – الهجرة من البلد 3 – الدخول إلى بلد جديد 4 – سرد بقية الأحداث	1 – الظفر بالحاجة (حسب موضوع و أحداث المقامة)

ثالثا : في الرسائل :

للوهراني مجموعة من الرسائل المتنوعة – و التي سبقنا أن عرضنا لنماذج منها أثناء حديثنا عن الأعمال الأدبية للوهراني – (1) ، و في هذا الجزء من الدراسة اقتطفنا من مجموع رسائله ، رسالته التي كتبها إلى بعض أصدقائه بسبب قصيدة التاج الكندي ، و التي سنقابلها برسالة التربيع و التدوير للجاحظ ، للعلاقة التي سنرصدها بين العملين الأدبيين على مستوى الهيكل العام .

---

(1) ينظر : مدخل الدراسة ،: 07 .

1 – عرض رسالة(1) الوهراني التي كتبها إلى بعض أصدقائه بسبب قصيدة التاج الكندي (2) :

في رسالة كتبها الوهراني إلى بعض أصدقائه بسبب قصيدة التاج الكندي – و هذا هو اسمها – يخبر صديقه ، أنه أبصر للكندي قصيدة ميمية ، يمدح فيها نفسه ، ويفتخر فيها بمعرفة سائر العلوم ، فبعد أن تأملها وجده قد أقام الدليل والبرهان على نفسه أنه قليل العقل والحياء والفضل والتوفيق ، وكثير المكابرة والبهتان ، فأخذه بالألفاظ اللغوية الغثة وعلى المعاني الباردة ، التي تشهد على رداءة طبعه ، فلو كان قد اقترف أي إثم أو أي سوء ، لكان أحسن مما نظمه .

ثم تساءل الوهراني عن أي شيء من الفضائل ظهر في شخصية الكندي ، حتى استحق عند نفسه هذا الكلام ، فكل من تأمل رسائله ، وشعره ، إلا وجد فيها الأخطاء التي لا تغتفر، والزلات التي لا يستهان بها ، وبدأ في تعداد أبيات قصيدته ، وينقد الواحدة تلو الأخرى .

حتى وصل الوهراني إلى آخر بيت من قصيدة التاج الكندي الذي اعتبره الوهراني الطامة الكبرى ، واعتبر الرد عليه لا يكون إلا بإحضار الكندي من طرف بعض السلاطين ومطالبته بجر القوس والمقاتلة بالسلاح ، وحل شكل من أشكال إقليدس وآخر للبتاني ، وأن يحل مسألة من النجوم وأخرى من الحساب ومسائل من الفرائض والفقه ، وحين يقول لا أعلم يصفع عند كل مسألة لا يعرفها و حينها يقال له : << عن أي شيء

---

(1) منامات الوهراني ،: 222 / 229 .

(2) لغوي وأديب ولد سنة 520 هـ ، وتوفي سنة 613 هـ وقيل سنة 597 هـ في دمشق ، كان أوحد عصره في فنون الآداب و علوم السماع ، ينظر : منامات الوهراني (الهامش) ،: 222 .

قلت سبقت إلى غايات كل فضيلة ؟ >> ، فيتوقع الوهراني رد الكندي بقوله إنه يعلم شيئا من النحو والتصريف لا غير ، فيعاد صفعه حتى يعمى ، وهكذا يكون جوابه وجزاءه في كل بيت من الأبيات التي نظمها .

2- البناء المعماري لرسالة الوهراني :

إن المتمعن في رسالة الوهراني بسبب قصيدة التاج الكندي ، يدرك أنها تنقسم إلى مقدمة و متن ، دون وجود خاتمة .

أ – المقدمة :

لقد افتتح الوهراني رسالته التي كتبها إلى بعض أصدقائه بسبب قصيدة التاج الكندي بمقدمة يخبرهم فيها برسالة الكندي ، و التي يفتخر فيها و يدعي كل دعوى بقوله : << عبد (1) مولاي فلان الأجل – أطال الله بقاءه – ينهي أنه أبصر اليوم للكندي قصيدة ميمية >> [2] .

ب – المتن :

لقد تناول الوهراني في متن رسالته تفصيل حكمه في حق الكندي وقصيدته الميمية بداية من قوله : << فأما دليله على قلة عقله (...) >> [3] ، إلى أن أكد حكمه هذا في آخر المتن قائلا : << و هذا البيت و الله من الشعر النحس الذي لو بقي في بطنه لأخذه القولنج زائدا على ما فيه من التدقنصرم و الرعونة المعجونة بالتبضرم و القحة و الاستخفاف

---

(1) أي الوهراني .

(2) ، (3) منامات الوهراني ،: 222 – 229 .

بلحية الممدوح و السلام >> [1] .

و الملفت للانتباه أن رسالة الوهراني بسبب قصيدة التاج الكندي بالصفة التي عرضها بها الوهراني ، و حاولنا رصد البنيات الأساسية المشكلة لمعمارها الكلي لم تكن سابقة في الأدب العربي و لكنها تتناص في هذا الإطار مع رسالة التربيع و التدوير للجاحظ .

3 – عرض رسالة التربيع و التدوير (2) للجاحظ (3) :

لقد كان الباعث على تأليف هذه الرسالة هو أن الكاتب " أحمد بن عبد الوهاب " افتخر بنفسه وعلمه ، حتى رأى نفسه أفضل من الجاحظ ذاته ، فضاق صدر الجاحظ بهذا الأمر ، و وضع هذه الرسالة للسخرية منه ، وفيها يسأله مائة سؤال مطالبا إياه بالإجابة ، وكان ما طرحه عليه يحيط بالعديد من جوانب الثقافة العامة التي عاشها الجاحظ في عصره .

بدأ الجاحظ رسالته برسم صورة كاريكاتورية لأحمد بن عبد الوهاب، تبعث على الضحك ، إذ وصف جسمه بطريقة ساخرة ، فهو مفرط القصر ، مربع الشكل ، جعد

---

(1) منامات الوهراني ،: 229 .

(2) لقد اعتمدنا على رسالة التربيع و التدوير التي ضمتها مجموعة من الرسائل (الرسائل الأدبية) ، جمعها و قدم لها و بوّبها و شرحها : علي أبو ملحم .

(3) هو (عمرو بن بحر بن محبوب و كنيته أبو عثمان ، لقب بالجاحظ لنتوء عينيه ، ولد بالبصرة في السنة 199 هـ / 775 ، بدأ تعلم القراءة و الكتابة في كُتّاب بلده و نهل من مجالس العلماء و حلقات المسجديين حتى غدا واسع العلم في علوم الدين و الدنيا ، و استطاع أن يشغل مواهبه و يتخذ من التأليف و الكتابة صناعة له إلى أن توفي العام 255 هـ / 868 م ، من أهم مؤلفاته : البخلاء و الحيوان و البيان و التبيين ، و رسائل متنوعة أهمها رسالة التربيع و التدوير) ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، 3 / 140 .

4 – البناء المعماري لرسالة التربيع و التدوير للجاحظ :

تنقسم رسالة التربيع و التدوير للجاحظ من حيث الهيكل العام إلى ثلاثة أقسام : مقدمة و صلب الكتاب ثم خاتمة ، رغم أن هذا التقسيم لا يبدو جليا في محتوى الكتاب عموما ، خاصة إذا علمنا أن << الرسالة مبنية على سنة الاستطراد التي عرفناها عند الجاحظ >> [1] .

أ – المقدمة :

لقد ضمت رسالة التربيع و التدوير مقدمة عرّف من خلالها الجاحظ خصمه أحمد بن عبد الوهاب ، و ذكر موضوع الرسالة دون الدخول في تفاصيل نبذه له و الدلائل الصريحة المعلنة على ذلك .

ب – المتن :

لقد ناقش الجاحظ في متن رسالته ادعاءات أحمد بن عبد الوهاب المتعلقة بشكل جسمه و سنه و ادعاءاته في العلم و الأدب ، مبطلا كلا منها بالأدلة ، كما أبدى الجاحظ رأيه في الحسد و المزح و الجد و العلم و طرح مجموعة من الأسئلة على خصمه ضمت مختلف المعارف .

ج – الخاتمة :

لقد ختم الجاحظ رسالته بتقديم عذره على إطالة الرسالة بقوله : << هذا جملة العذر

---

(1) شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه ،: 178 .

في هذه الرسالة ، و جملة الحجة فيما قدمنا من الافتتان و الإطالة >> [1] ، مبينا أن الصواب صعب الإدراك بعيد المنال بقوله : << فالصواب اليوم غريب و صاحبه مجهول ، فالعجب ممن يصيب و هو مغمور ، و يقول و هو ممنوع >> [2] ، و أخيرا أنهى خاتمة رسالته بحمد الله فقال : << و الحمد لله كما هو أهله و لا حول و لا قوة إلا به ، و هو حسبنا و نعم الوكيل >> [3] .

5 – عناصر التناص :

إننا نستشف من ثنايا ما جاء في رسالة الوهراني أنها تتضمن قسمين ، شكلت هيكلها العام ، تناصت في مجملها مع البناء الهيكلي لرسالة التربيع و التدوير للجاحظ ، و التي نعرضها فيما يلي :

أ – عنصر المقدمة :

إن المقدمة هي التي تؤطر النص و تمهد لِبثه نحو الآخر ، فهي بمثابة الجسر<< الذي تعْبُر عليه القراءة من الفضاء الممهد للنص >> [4] ، و المقدمة كبقية النصوص ما هي إلا تشكيل جديد لأطر سابقة و من ثم << يمكن أن يشكل خطاب المقدمة ، أو ما يقوم مقامه من الخطابات الأخرى البديلة ، دالا خاصا >> [5] ، موحيا بما سيأتي مثلما هو الأمر بالنسبة للوهراني الذي نجده في مقدمة رسالته عمد إلى إبلاغ أصدقائه بسبب كتابة الرسالة ، و

---

(1) رسالة التربيع و التدوير ،: 489 .

(2) ، (3) م . س ،: 490 .

(4) الطاهر روابنية ، شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي القديم ، مجلة السيميائية و النص الأدبي ،: 141 .

(5) م . س ،: 142 .

التي كان مفادها هو اطلاعه على قصيدة نظمها التاج الكندي ، يمدح فيها نفسه و يفتخر فيها بمعرفة سائر العلوم ، دون إقامة الدليل على ذلك ، و قد استهلها الوهراني بقوله : << عبد مولاي فلان الأجل – أطال الله بقاءه – ينهى أنه أبصر اليوم للكندي قصيدة ميمية >> [1]، إلى غاية قوله : << قليل العقل قليل الحياء قليل الفضل قليل التوفيق >> [2] .

بالموازاة مع ما ذكرناه ، بدأ الجاحظ رسالته بحديثه عن أحمد بن عبد الوهاب دون مناقشته لادعاءات خصمه ، و قد استهل متن رسالته بقوله : << كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ، و يدعي أنه مفرط الطول (...) كان كثير الاعتراض ، لَهجا بالمراء ، شديد الخلاف >> [3] .

و الملاحظ أيضا أن رسالة الجاحظ لم تبدأ بـ << المقدمة التقليدية التي عهدناها في كتب الجاحظ ، و هذا يدل على أنها حذفت ، و أن قسما من الكتاب بُتر >> [4] ، و أن المقدمة التي بين أيدينا ناقصة من البسملة و الحمد و ما شاكل ذلك ، إذ بعد عدة سطور مما جاء في بداية الرسالة نجد قوله : << بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك و أتم نعمته عليك >> [5] .

كما أن المقدمة في رسالة الوهراني قد شغلت قرابة الصفحة من مجموع صفحات الرسالة (6) ، في حين شكلت المقدمة في رسالة التربيع و التدوير حوالي صفحتين من الرسالة (7) ، و هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار حجم الرسالتين مما يوحي بالتقارب الحاصل بين مقدمة العملين الأدبيين ، و هذا يشكل في حدّ ذاته تناصا ، يدخل ضمن المعمار العام

---

(1) ، (2) منامات الوهراني ،: 222 .

(3) رسالة التربيع و التدوير ،: 431 .

(4) م . س ،: (هامش الرسالة لـ : علي أبو ملحم) ،: 491 .

(5) م . س ،: 433 .

(6) منامات الوهراني ،: 222 .

(7) رسالة التربيع و التدوير ،: 431 / 433 .

للإبداعين الأدبيين .

ب – عنصر المتن :

إن قراءتنا المتأنية لمضمون الرسالة التي كتبها الوهراني لأصدقائه بسبب قصيدة التاج الكندي من جهة ، و رسالة التربيع و التدوير من جهة أخرى ، جعلتنا نرى الشبه الكبير بين العملين الأدبيين في المتن ، و الذي يتضح لنا في ما يلي :

لقد استغل الوهراني متن رسالته في إقامة الدليل و البرهان على قلة عقل و حياء و فضل و توفيق خصمه ، بمناقشته له من خلال أبيات القصيدة التي نظمها ، و التي لا يرى الوهراني فيها قيمة تُذكر ، و مما قاله الوهراني في متن رسالته و يؤكد ما ذهبنا إليه ما يلي : << أما دليله على قلة عقله (...) و أما دليله على قلة عقله و حيائه (...) و أما دليله على قلة فضله (...) >> [1] .

و بالمقابل نلفي الجاحظ قد ناقش في متن رسالة التربيع و التدوير الادعاءات الباطلة لخصمه المرتبطة بهيأة أحمد بن عبد الوهاب ، و سنه و علمه ، كما عمل الجاحظ على تعريف الحسد و المزاح و الجد ، هذا فضلا عن الأسئلة المتنوعة التي طرحها الجاحظ على خصمه ، و مما جاء في متن الرسالة قوله : << (...) إنك لا تعرف الأمور ما لم تعرف أشباهها ، و لا عواقبها ما لم تعرف أقدارها ، و لن يعرف الحق من يجهل الباطل ... >> [2] ، و قوله أيضا : << ما هذا الغيظ الذي أنضجك ، و ما هذا الحسد الذي أكمدك ، و ما هذا الإطراق الذي قد اعتراك ، و ما هذا الهم الذي قد أضناك ؟ >> [3] .

فالوهراني إذا تأثر ببنية متن رسالة التربيع و التدوير للجاحظ في خصمه عبد الوهاب ، و حاكاها عبر متن رسالته في خصمه التاج الكندي ، بدءا من بنية المقدمة بما فيها الداعي إلى كتابة الرسالة و وصولا إلى المتن .

---

(1) منامات الوهراني ،: 222 .

(2) ، (3) رسالة التربيع و التدوير ،: 434

و نشير أيضا إلى أن المتن قد استغرق النسبة الأكبر من حجم الرسالتين ، حتى أن الوهراني قد اكتفى به دون أن ينهي رسالته بخاتمة ، و عليه فلن يكون هناك عنصر الخاتمة.

و يمكننا تلخيص مجمل التناصات التي رصدناها على مستوى البناء المعماري لرسالة الوهراني بسبب التاج الكندي مع رسالة التربيع و التدوير للجاحظ ، في الجدول التالي :

العمل الأدبي	عنصر الداعي	عنصر المقدمة	عنصر المتن	عنصر الخاتمة
رسالة الوهراني	1 – حصول الوهراني على قصيدة التاج الكندي و التي يدعي فيها الكمال 2 – محاولة الوهراني إبراز حقيقة خصمه	إبراز ادعاءات الخصم التاج الكندي	إقامة الدليل على ادعاءات الخصم الباطلة	
رسالة الجاحظ	1 – تطاول أحمد بن عبد الوهاب على الجاحظ و ادعائه الكمال . 2 – محاولة الجاحظ إبراز حقيقة خصمه	إبراز ادعاءات الخصم أحمد بن عبد الوهاب	إقامة الدليل على ادعاءات الخصم الباطلة	نشدان الصواب و الاعتذار عن السهو و التقصير

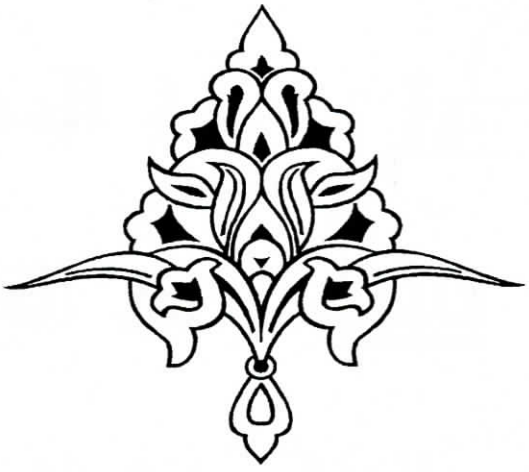
بناء على ما ذكرناه في صفحات هذا الفصل الذي خصصناه للتناص المعماري ، نخلص إلى إثبات عملية التناص بين الوهراني و من سبقه .

فالوهراني من خلال منامه الكبير حاكى المعري في المعمار العام لغفرانه بوضع مقدمة و عرض و خاتمة كان للمتن فيها الجزء الأكبر من التماثل الذي استوحيناه من العملين الأدبيين .

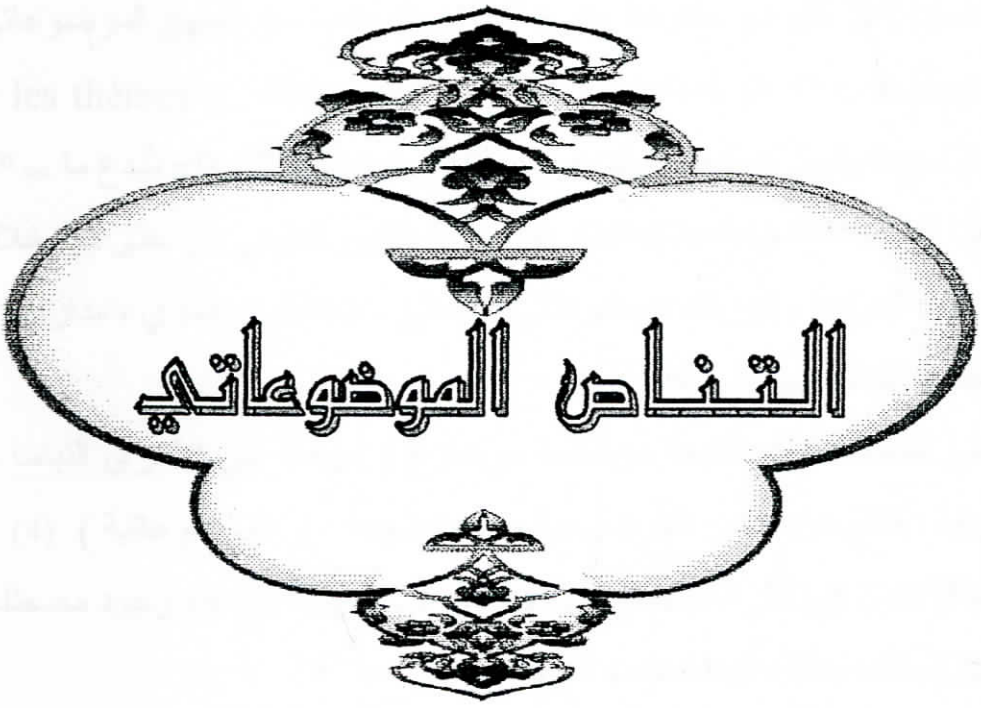
و من جهة أخرى ألفينا الوهراني مقلدا في مقاماته الثلاث للخطة الفنية التي أرساها الهمذاني في مقاماته بدءا من الاستهلال مرورا بالمتن و وصولا إلى الخاتمة .

و من جهة ثالثة تبدى لنا جليا تأثر الوهراني بالجاحظ حين ماثل بناءه المعماري لرسالته التي كتبها بسبب قصيدة التاج الكندي بنظيرتها التربيع و التدوير للجاحظ من حيث المقدمة و المتن .

و على هذا النحو ، فالوهراني لم يبتدع فن المنامات و لا المقامات و لا الرسائل ابتداعا كاملا ، لكنه نسج ما نسجه على منوال من سبقه ، و إن بدا في الظاهر أنه مختلف عنهم بعض الاختلاف ، و هو صنيع لم ينفرد به الوهراني ، و لكنه عادة جارية في تقليد الأشكال و النسج على المنوال ، و الفضل في ذلك للسابق على اللاحق ، و لمن أبدع المنوال على من حاكى و قلّد .



الفصل الثاني



القناص الموضوعاتي

- تمهيد في الموضوعة
- أولا – في المناهات
- ثانيا – في المقامات
- ثالثا – في الرسائل

تمهيد : في الموضوعة :

إن قضايا النقد كثيرة و متنوعة بتنوع المناهج المعتمدة ، و المنهج الموضوعاتي أو « thématique » [1] هو إحداها ، و فيه تكون الموضوعات « les thèmes » محور التحليل بحيث يكون << شغل الناقد هو تتبع أفكار محددة خلال نتاج مُبدع ما >> [2] ، و يتميز هذا الاتجاه النقدي بتعدد تسميته (3) من المنظور الغربي ، و حتى من خلال ترجمته إلى اللغة العربية ، فهو نقد موضوعاتي ، تيماتي ، تيماتيقي ، جذري ، مداري ... وفق تعدد النقاد و المترجمين إلى العربية .

و حتى المصطلحات النابعة من كلمة موضوع (عرفت هي الأخرى التباسا و تعددا فيما بينها ، فنتج عن ذلك : الموضوعية و المواضيعية ، و الموضوعاتية) (4) ، باعتبار المشكلة تكمن في نقل المصطلح من الأجنبية إلى العربية مع عدم وجود مصطلح في العربية يقوم مقامه بدقة ، لهذا تعددت الترجمات .

إلا أن الموضوعاتية الدالة على الموضوعات هي المقصودة في درسنا ، فهي نفسها التيمة باعتبار << التيمة théme هي الجذر لهذه الموضوعات >> [5] .

لقد ظهر هذا المنهج النقدي << في الخمسينات من القرن العشرين في النقد الفرنسي الذي تطور في ظل الألسنية و البنيوية و حاول أن يحافظ على استقلاله اتجاه المناهج النقدية التقليدية و الحداثية >> [6] .

---

(1) « qui a rapport au thèmes d' un mot » : nouveau dictionnaire pratique ، : (g _ z) ، p : 2864 .

(2) ينظر : سعيد علوش ، النقد الموضوعاتي ،: 22 .

(3) م . س ،: 42 .

(4) ، (5) ، (6) محمد عزام ، وجوه الماس البنيات الجذرية في أدب علي عقلة عرسان ، ينظر الموقع التالي على النات : www. a w u - dam.org

كما يُؤسس هذا المنهج على فكرة << الاهتمام بالأفكار باعتبارها مظاهر الوعي عند الكُتاب المدروسين >> [1]، فالعمل الإبداعي إذا ما هو إلا ترجمة لوَعي المُبدع .

إن هذا الحقل الأدبي ذو رؤية شمولية ، و على هذا الأساس فإن التيماتولوجيا << تستوعب " التيماتيك " و تتجاوزها محتوية في ذات الوقت الحقل التخصصي للآخر الموسوم اصطلاحا بالشكلانية >> [2] .

و من أهم مميزات هذا المنهج أنه (يتسم بالحرية و عدم التقيد بالنظرية النقدية ، و أنه يستوعب مختلف المناهج أو على الأقل يفيد من جوانب معينة منها ، كالمنهج التاريخي و النفسي و الاجتماعي و الفلسفة الوجودية و النقد الأسطوري و الديني و اللسانيات و المنهج البنائي) (3) و غيرها من المناهج الأخرى ، حتى إن << رواد هذا الاتجاه لا يخفون مسألة انفتاح ممارستهم النقدية على كل المناهج >> [4] .

يضاف إلى هذا ، إن الموضوعاتية تَعتبر العمل الإبداعي مُعبرا عن أفكار المُبدع الواعية و اللاواعية ، فـ << الموضوعة الأساسية التي ينطلق منها النص تنمى بوساطته >> [5] بطريقة صريحة أو ضمنية لتعكس في الأخير أفكار المبدع ، و تبرز هذه الموضوعة في هاجس مركزي << يكون عادة إما مفردة أو صورة ذات دلالة ، حيث تبدو كالقلب النابض >> [6] للعمل الأدبي بالاعتماد على الأبعاد المعرفية المتنوعة .

و يبدو أنه من الضروري أن نتعرف على الذين أرسوا هذا المفهوم و أدخلوه عالم

---

(1) سعيد علوش ، النقد الموضوعاتي ،: 24 .

(2) الأخضر بن عبد الله ، موضوعة جان دارك في الأدب العربي ، دكتوراه دولة – مخطوطة – ،: 429 .

(3) سعيد علوش ، النقد الموضوعاتي ،: 42 .

(4) حميد لحميداني ، سحر الموضوع ،: 25 .

(5) محمد مفتاح ، دينامية النص ،: 96 .

(6) عمار يزلي ، مقاربة موضوعاتية لدراسة الأهزوجة النسوية عن حرب التحرير ، مجلة دراسات جزائرية ،: 178 .

النقد ، رغم أن نقاد الأدب و منظريه << لا يتفقون على ممثلي هذا الاتجاه ، و بعضهم يضم هذا المنهج إلى كل المناهج التي تعتمد التأويل أو التفسير >> [1] ، و لعل (روبرت ماجيلولا في محاولته تحديد الأصول الفلسفية للنقد الموضوعاتي أشار إلى الرائدين الأوائل لهذا المنهج ، و قد حصرهم في : جان بيير رشار ، جان روسيه ، جان ستار روبنسكي ، إميل إستيجر ، جورج بوليه و رولان بارث في مرحلته المبكرة على أنه أضاف أسماء أخرى كجان بول سارتر و رومان أنجاردين و أدموند هوسرل) (2) .

و قد تجسد ذلك في ممارساتهم للتحليل الموضوعياتي لبعض الأعمال الأدبية فكانوا من وراء ذلك << يكشفون عن الموقع المهيمن الذي تحتله بعض التيمات >> [3] في العمل الإبداعي الواحد شعرا كان أم نثرا ، الأمر الذي دفع بالنقاد العرب المحدثين إلى سلوك نفس الطريق في ممارسة النقد الموضوعاتي في الأدب بعامة و الروائي منه بخاصة .

غير أن هذه الممارسة (لها جذور في الثقافة العربية القديمة ، فقد سبق للنقاد العرب و أن حاولوا حصر موضوعات الشعر و تتبعوها عبر الدواوين ، و لعل (أبا تمام (- 232 هـ) هو أول من حاول تقسيم الخطاب الشعري العربي إلى موضوعات أو أغراض من خلال تصنيفه الذي وسمه بالحماسة ، فكان بذلك قد فتح باب النقد حسب الموضوعات واسعا لمن جاء بعده من نقاد من أمثال قدامة بن جعفر في نقد الشعر و ابن رشيق في عمدته ، و إن لم يكن بالصفة نفسها و العمق نفسه الذي هو في النقد الموضوعاتي الغربي) (4) .

إن هذا التوجه الموضوعي الذي مارسه النقاد العرب القدامى ، امتد حتى العصر

---

(1) سعيد علوش ، النقد الموضوعاتي ، : 21 .

(2) ينظر : م . س ، : 23 .

(3) م . س ، : 22 ، عن : تودوروف ، نقد النقد ، : 129 .

(4) ينظر : مختار حبار ، شعر أبي مدين التلمساني ، : 65 .

الحديث ، إذ نلفي مجموعة من النقاد العرب المحدثين قد تناولوا بعض الأعمال الروائية و الشعرية بمقاربات موضوعية أو ممثلة بشكل من أشكال النقد الموضوعي و قد << تخلى أصحابها عن وضع مقدمات منهجية يحددون فيها تصورهم النظري >> [1] ، و بالتالي يكون من الصعب كشف الخلفيات النظرية المتربصة وراء التحليل .

و من أهم هؤلاء النقاد نجد << عبد الكريم حسن الذي وضع في هذا المنهج كتابا أسماه المنهج الموضوعي عام 1990 ، و وضع مرادفه الفرنسي thématique >> [2] ، يضاف إليها (فصلا تطبيقيا عن التشكيل الموضوعاتي في شعر أبي مدين التلمساني ضمن كتاب : شعر أبي مدين التلمساني الرؤيا و التشكيل) (3) .

و مهما كان هدف الدراسات السابقة التي تناولت النصوص الأدبية من الجانب الموضوعاتي ، فإنها تستقر على أن المنهج الموضوعاتي << ينطلق من الموضوع (...) ليروح متابعا مختلف تجلياته >> [4] .

لذلك سنقوم بالبحث عن الفكرة الأساسية التي يقوم عليها هذا العمل الأدبي و التي تمثل منه الجذر أو النواة ، على أن نتتبع أيضا مختلف الموضوعات الجزئية لهذه البنية العميقة الدالة ، رغم << إنه من الصعب أحيانا ضبط شبكة العلاقات التي يُقيمها الناقد بين مختلف التيمات الجزئية >> [5] التي تكون التيمة الرئيسة أو الكلية ، إضافة إلى أن << الأثر الأدبي للكاتب يُعبر عنه من خلال عدد لا حصر له من الرموز عن جذر واحد أو

---

(1) سعيد علوش ، النقد الموضوعي ،: 44 .

(2) محمد عزام ، وجوه الماس البنيات الجذرية في أدب علي عقلة عرسان ، ينظر الموقع التالي على النات : www. a w u - dam.org

(3) ينظر : مختار حبار ، شعر أبي مدين التلمساني ،: 57 / 116 .

(4) الأخضر بن عبد الله ، موضوعة جان دارك في الأدب العربي ،: 5 – 6 .

(5) سعيد علوش ، النقد الموضوعاتي ،: 34 .

فكرة مسيطرة >> [1] ، آخذين بعين الاعتبار التيمات الأساسية بما ينبثق منها من موضوعات جزئية و التي يكون لها حضور في نصوص الوهراني من جهة ، و في المصادر الدينية الإسلامية و في رسالة الغفران و في رسالة التربيع و التدوير و في مقامات الهمذاني من جهة أخرى ، محاولين إثبات تأثر الوهراني بالجانب الموضوعاتي منها .

أولا : في المناصات :

1 – التناص الديني :

لقد تنوعت الموضوعات التي تناولها الوهراني في مناماته ، لذلك انتقينا المنام الكبير نموذجا لبسط مختلف الموضوعات الرئيسة فالجزئية ، و التي تتحاور بشكل أو بآخر مع موضوعات من الأثر الديني و الأدبي على حد سواء .

فالعارف بالتراث العربي الإسلامي ، لا يكاد يقرأ منام الوهراني حتى يدفعه إلى التفكير في المرجعيات الدينية التي يكون الوهراني قد نهل منها، وأهمها القرآن الكريم والقصص الديني ، وبعض الأحاديث النبوية الشريفة ، كما لم تخل مناصات الوهراني من المرجعيات الأدبية .

و قد قسمنا التناص الديني إلى موضوعتين أساسيتين هما العروج و البعث ، و قسمنا موضوعة البعث بدورها إلى موضوعات جزئية لخصناها في الحشر و المغفرة و الشفاعة و العدل و حسن الظن بالله ، و إحصاء أعمال الإنسان ، و سنتعرف على كل منها فيما يلي :

---

(1) محمد عزام ، وجوه الماس البنيات الجذرية في أدب علي عقلة عرسان ، ينظر الموقع التالي على النات : www. a w u - dam .org

أ – موضوعة العروج :

لقد استهل الوهراني منامه الكبير – متحدثا عن نفسه – بقوله : << رأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت ، وكأن المنادي ينادي هلموا إلى العرض على الله تعالى >> [1] ، بمعنى أن روحه قد عرجت إلى العالم الآخر ، وهذه الفكرة في الأصل ليست من خيال الوهراني المحض ، بل لها أسس دينية إسلامية ، فهذه البداية التي اقترحها الوهراني ، نجد لها صورة أصلية في القرآن الكريم ، حيث يخبرنا ﷻ عن طريقة نوم البشر في قوله ﷻ : ﴿ الله يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [2]

فالله سبحانه و تعالى (يسلب النفس ما هي به حية ، ويتوفى الأنفس حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ، فيمسك الأنفس التي استكملت أجلها عنده والتي قضى عليها الموت الحقيقي ، فلا يردها إلى جسدها وهي الوفاة الكبرى و يرسل الأخرى النائمة) (3) .

و هذا الأمر يدل على أن روح النائم لا تبقى في دار الدنيا ، وهذا ما يؤكده الرسول ﷺ في قوله : << إِذَا نَامَ الإِنْسَانُ عُرِجَ بِرُوحِهِ حَتَّى يُؤْتَى بِهَا الْعَرْشَ ، فَإِذَا كَانَ طَاهِرًا، أُذِنَ لَهَابِالسُّجُودِ ، وَإِنْ كَانَ جُنُبًا لَمْ يُؤْذَنْ لَهَا بِالسُّجُودِ >> [4] ، ومن ثم فالوهراني ، قد حاكى ما يمرّ به البشر كلما استسلموا للنوم من المصدر الديني .

في حين تستوقفنا قصة الإسراء و المعراج كشاهد أساسي من شواهد مسألة عروج الروح إلى العالم الآخر باعتبارها الموضوعة الأصل التي ألهمت الأدباء على محاكاتها ،

---

(1) منامت الوهراني ،: 30 .

(2) الزمر : 42 .

(3) غسان حمد ن ، تفسير من نسمات القرآن ،: 490 .

(4) ابن القيم الجوزية ، الروح ، تحقيق محمد اسكندريلدا ،: 45 .

و لعل أول من حاكاها و أفاد من صورها هو المعري في غفرانه إذ << اعتمد في بناء صرحه الفكري على المصادر الإسلامية القرآنية و في مقدمة ذلك كله قصة الإسراء والمعراج >> [1] ، فأوجد المنوال و الطريقة .

إن قصة الإسراء والمعراج هي إسراء محمد رسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى و عروجه إلى السماوات السبع ، هذه المعجزة العظيمة خُصّ بها نبينا الكريم ﷺ ، في مرحلة كانت دعوته تشق فيها طريقها بين النجاح و الاضطهاد ، و قد جاءت هذه المعجزة تكريما لرسول الله ﷺ بعد صبره على الأذى الكبير والمحن الشاقة التي تعرض لها من قبل قريش و من والاهم و تجديدا لعزيمته ﷺ و لكافة المؤمنين ، لمواصلة درب الدعوة إلى الله تعالى ، و قد قال فيها ﷻ : ﴿ سُبْحَانَ الذِي أسْرَى بعَبْدِهِ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَام إلَى المَسْجِدِ الأقْصَى الذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِنَا إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ [2] .

و قد اختلف في تعيين زمن الإسراء و المعراج ، و (ذهب العلماء على أقوال شتى ، فقيل كان الإسراء في السنة التي أكرم الله فيها محمد ﷺ بالنبوة ، و قيل كان بعد البعثة بخمس سنين ، و ذهب آخرون إلى القول أنها كانت في ليلة السابع و العشرين من شهر رجب العام العاشر من النبوة ، و رجح آخرون أنها كانت قبل الهجرة بستة عشرة شهرا ، بينما حددها فريق آخر بأنها كانت قبل هجرة الرسول ﷺ بسنة و شهرين ، أي في محرم من السنة الثالثة عشر من النبوة ، في حين انتهى آخرون إلى أنها كانت قبل الهجرة بسنة أي في ربيع الأول من السنة الثالثة عشر من النبوة) (3) .

و مفاد القصة المعجزة (أن الرسول ﷺ أوتي بالبراق ، وهو دابة دون البغل و فوق الحمار أبيض اللون يضع خَطوَه عند أقصى طرفه ، فحُمل عليه و انطلق به جبريل عليه السلام

---

(1) عمر موسى باشا ، نظرات جديدة في غفران أبي العلاء ،: 291 .

(2) الإسراء : 1 .

(3) ينظر : صفي الرحمان المباركفوري ، الرحيق المختوم ،: 132 .

سرى البراق ليلا بالرسول ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ، فصلى رسول الكريم ﷺ في المسجد ركعتين ، وبعدها أتاه جبريل عليه السلام بإناءين ، أحدهما من مر والآخر من لبن ، فاختار النبي ﷺ اللبن ، فكان اختياره اختيار الفطرة .

ثم عرج بالرسول ﷺ في تلك الليلة من بيت المقدس إلى السماء الدنيا ، فاستفتح له جبريل عليه السلام ففتح له فرأى هنالك آدم أبو البشر عليه السلام ، و سلم عليه ، فرحب به و ردّ عليه سلام و أقر بنبوته ، و أراه الله أرواح الشهداء عن يمينه و أرواح الأشقياء عن يساره .

ثم عرج به إلى السماء الثانية ، و رأى فيها يحيى بن زكريا عليه السلام و عيسى بن مريم عليه السلام ، فلقيهما و سلم عليهما ، فردا عليه و رحّبا به و أقرا بنبوته ، ثم عرج به إلى السماء ثالثة ، و رأى فيها يوسف عليه السلام ، و سلم عليه ، فرحب به و رد عليه السلام و أقر بنبوته ثم عرج به إلى السماء الرابعة ، و رأى فيها إدريس عليه السلام ، و سلم عليه ، فرحب به و رد و أقر بنبوته ، ثم عرج به إلى السماء الخامسة ، و رأى فيها هارون بن عمران عليه السلام ، و سلم عليه ، فرحب به و رد عليه السلام و أقر بنبوته ، ثم عرج به إلى السماء السادسة ، و لقي فيها موسى عليه السلام ، و سلم عليه ، فرحب به و رد عليه السلام و أقر بنبوته ، فلما جاوزه بكى موسى فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : أبكي لأن غلاما بُعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ، ثم عرج به إلى السماء السابعة ، و لقي فيها إبراهيم عليه السلام ، و سلم عليه ، فرحب به و رد عليه السلام و أقر بنبوته .

بعدها رُفع الرسول الكريم محمد ﷺ إلى سدرة المنتهى والتي يقول فيها عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [1] .

ثم عُرج بالرسول ﷺ إلى الجبار جل جلاله ، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى وفرض عليه خمسين صلاة ، فرجع حتى مر على موسى عليه السلام

---

(1) النجم : 13 / 18 .

فقال له : بما أمرك ؟ قال : بخمسين صلاة ، فقال إن أمتك لا تطيق ذلك ، فاسأل الله يخففها ، و عاد الرسول ﷺ إلى ربه سائلا إياه هذا الفضل حتى استجاب له و خفف الله عدد الصلوات على عباده حتى صارت خمس صلوات في العدد وخمسين في الأجر .

و قد رأى رسولنا الكريم ﷺ ضمن هذه الرحلة أمورا عديدة ، منها أنه رأى أربعة أنهار في الجنة ، نهران ظاهران و نهران باطنان ، و رأى مالك خازن النار و شاهد أكلة أموال اليتامى و أكلة الربا و الزناة و النساء اللاتي يدخلن على الرجال ... .

و بعد هذه الرحلة المباركة ، رجع ﷺ من ليلته إلى مكة ، فلما أصبح في قومه أخبرهم بما أراه الله ﷻ من آياته الكبرى ، فصدقه المؤمنون بينما اشتد تكذيب الكفار له ، ثم قاموا يمتحنون الرسول ﷺ فسألوه نعت بيت المقدس و فيهم رجال رأوه ، أما رسول الله ﷺ فلم يكن قد رآه من قبل ، فجلاه الله له حتى عاينه فصار يصفه لهم بابا بابا و موضعا موضعا .

اقتنع المشركون بوصف الرسول ﷺ لبيت المقدس لكنهم أرادوا امتحانه مرة أخرى ، فسألوه أن يخبرهم عن عيرهم القادمة من الشام في مسراه و رجوعه ، فأخبرهم بعدد جمالها و أحوالها و أن جملا أورق يتقدمها و عن وقت قدومها ، فخرجوا ينشدونها و كانت آية أخرى لصدق نبوة محمدﷺ مما زاد المؤمنين إيمانا ، إلا الذين نفروا و أبوا و فضلوا الضلال على الهدى) (1) .

و هكذا كانت معجزة الإسراء و المعراج سندا للرسول ﷺ في دعوته لتوحيد الله و عبادته ، و تأكيدا على قدرة الله تعالى و تأييدا للمؤمنين الذين صبروا و احتسبوا ، و تمثل من جهة أخرى صورة أصلية لموضوعة عروج الروح للوهراني – ومن قبله المعري –

---

(1) ينظر : البخاري ، صحيح البخاري ، 4 / 247 – 250 و ابن هشام ، السيرة النبوية ،: 2 / 35 – 44 و محيي الدين الطعمي : موسوعة الإسراء و المعراج المسماة : تطريز الديباج بتهافت الإسراء و المعراج – كل الكتاب يتحدث عن الإسراء و المعراج – محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، الإسراء و المعراج المسمى : الفضل الفائق في معراج خير الخلائق ،: 213 / 298 .

فتكون بالنسبة للوهراني تناصا مباشرا صريحا ، دون أن نقصي إمكانية تأثر الوهراني و إفادته مما جاء عن العروج في غفران المعري فيكون بذلك تناص التناص و هذا وارد أيضا .

و نحن نتناول موضوعة العروج ، يجب أن نشير إلى حقيقة ثابتة قد تتبادر إلى أذهاننا ، فالنائم عند استسلامه للنوم قد يرى خيرا أو شرا ، فقد تكون رؤيا من عند الله أو أباطيل الأحلام من الشيطان ، و في كل الأحوال تعتبر رؤيا النائم ليوم القيامة واردة بما فيها الحساب و الصحائف و الصراط و ما يتصل بذلك ، إذ (ثبت الكثير من هذه الرؤى للصحابة و التابعين في تفسير الأحلام الكبير المسمى " منتخب الكلام في تفسير الأحلام ") (1) ، و بنفس الطريقة التي طالعنا بها الوهراني .

و مما جاء فيه أيضا أن أبا عبد الله التستري قال : << رأيت في منامي كأن القيامة قد قامت ، و قمت من قبري فأتيت بدابة فركبتها ثم عرج بي إلى السماء >> (2) ، و قول محمد بن مسروق : << رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت و الخلق مجتمعون إذ نادى مناد : الصلاة جامعة ، فاصطف الناس صفوفا >> (3) .

و يؤول ابن سيرين هذه الرؤيا بقوله : << قال الله تبارك و تعالى : ﴿ وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ (4) ، فمن رأى كأن القيامة قد قامت في مكان فإنه ، يبسط العدل في ذلك المكان لأهله فينتقم من الظالمين و ينصر المظلومون لأن ذلك يوم الفصل و العدل >> (5) .

---

(1) ينظر : ابن سيرين ، تفسير الأحلام الكبير ،: 25 ، 26 ، 58 ، 59 .

(2) م . س ،: 25 .

(3) م . س ،: 58 .

(4) الأنبياء : 47 .

(5) ابن سيرين ، تفسير الأحلام الكبير ،: 58 .

ب – موضوعة البعث :

لقد تصور الوهراني نفسه و قد بُعِثَ مثلما تبعث الأموات فكل المشاهد التي سطرها في منامه الكبير وقعت بعد بعثه ، والوهراني في هذه النقطة ، ما هو إلا مقلد، ومحاك لما ورد في الدين الإسلامي مختصرة في قوله ﷻ : ﴿ وَأَنَّ السَاعَةَ آتِيَـةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ الله يَبْعَثُ مَنْ فِـي القُبُور ﴾ (1) .

و من ثم تعد هذه الموضوعة من أهم ما نقف عنده في هذه الجزئية من البحث ، و هي تتشظى بدورها إلى موضوعات جزئية حصرناها في الحشر و المغفرة و الشفاعة و العدل و حسن الظن بالله و إحصاء أعمال الإنسان .

و المراد بالبعث هنا هو << المعاد الجسدي وإحياء العباد في يومي المعاد و النشور >> (2) ، و يكون إحياء العباد (بالنفخ في الصور لعودة الأرواح إلى الأجساد مصداقا لقوله ﷻ : ﴿ وَ نُفِخَ في الصّور فصُعِق مَنْ في السَمَوَاتِ وَ مَنْ في الأرْض إلاّ مَنْ شَاءَ الله ثُم نُفِخَ فيهِ أخْرى فَإذا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (3) ، إذ سيأتي يوم يُبيد الله فيه الحياة و الأحياء مصداقا لقوله ﷻ : ﴿ كُل مَنْ عَلَيْهَا فَان وَ يَبْقَى وَجْهُ ربّكَ ذو الجَلال وَ الإكْرَام ﴾ (4)

ثم يأتي وقت يعيد الله العباد و يبعثهم فيوقفهم بين يديه و يحاسبهم على ما قدّموه من أعمال ، ليلاقي العباد ما لا يسع ذكره من أهوال و لِيُساق العباد بعدها إلى دار القرار بما قدم العبد ، فإما الجنة جزاء للمتقين و إما جهنم للكافرين) (5) .

---

(1) الحج : 7 .

(2) عمر سليمان الأشقر ، القيامة الكبرى ،: 51 .

(3) الزمر : 68 .

(4) الرحمن : 26 – 27 .

(5) ينظر : عمر سليمان الأشقر ، القيامة الكبرى ،: 17 .

هذا اليوم هو يوم القيامة الذي ورد في (سبعين آية كريمة من آيات الذكر الحكيم و بأسماء مختلفة) (1)، فهو اليوم الآخر لأنه لا يوم بعده من قول الله ﷻ : ﴿ وَ لَكِنَّ البرّ مَنْ آمَنَ بالله وَ اليَوْم الآخِرِ وَ المَلائِكَةِ وَ الكُتب وَ النَبيينَ ﴾ (2) ، و هو يوم البعث أيضا من الآية الكريمة : ﴿ وَ قَالَ الَّذِينَ أوتُوا الْعِلْمَ وَ الإيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَاب اللهِ إلَى يَوْم البَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ (3) ، و يسمى بالساعة أيضا بدليل الآية : ﴿ يَا أيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوارَبَّكُمْ إنَّ زلْزلَةَ السَّاعةِ لَشَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ (4) .

و كثيرة هي الأسماء التي تدل على هذا اليوم ، و التي يمكن ذكر أشهرها فيما يلي : (القارعة و يوم الخروج و يوم الفصل و يوم الدين و الصاخة و الطامة الكبرى و يوم الحسرة و الغاشية و يوم الخلود و يوم الحساب و الواقعة و الوعيد و يوم الآزفة و يوم الجمع و الحاقة و يوم التلاقي و يوم التناد و يوم التغابن) (5) .

و يستفاد من مجموع الآيات الكريمة الواردة في اليوم الآخر<< أن هذا العالم يبدأ بفناء عالمنا هذا، وتبدل السماء والأرض ثم نشأة الآخرة ، فيبعث الناس جميعا وترد إليهم الحياة مرة أخرى بأن يجمع أجزاءهم ويعيد الأرواح إليها >> (6)، و قد << اختص الخالق

---

(1) ينظر : عمر سليمان الأشقر ، القيامة الكبرى ،: 20 .

(2) البقرة : 177 .

(3) الروم : 56 .

(4) الحج : 1 .

(5) ينظر : عمر سليمان الأشقر ، القيامة الكبرى ،: 20 / 30 و ينظر : النجم : 57 ، 58 ، الشورى : 07 ، الحاقة : 1 ، 2 ، ق : 34 ، البقرة ، 39 ، ص (السورة) : 26 ، الواقعة : 1 ، ق : 20 ، عبس : 33 ، النازعات : 34 ، القمر : 46 ، مريم : 39 ، الغاشية : 01 ، النبأ : 17 ، السجدة : 25 ، الإنفطار : 14 – 19 ، الصافات : 20 ، الحاقة : 08 ، الصافات : 21 ، المرسلات : 38 .

(6) ينظر : نقرة التهامي ، عقيدة البعث في الإسلام ، : 120 .

تبارك وتعالى وحده بعلم الساعة فهو لا يكشفه إلا عند قيامها >> [1] .

إن هذه الأطر العامة المنبثقة من الدين الإسلامي ، استلهمها الوهراني و أفاد منها واستعملها في تجسيد منامه الكبير ، فأغنت فكره و أخصبت خياله و وسّعت مداه ، ولقد تعددت المشاهد في إطار اليوم الآخر ، وما رافقها من أحداث وأهوال من حساب وعقاب ومغفرة وثواب ، شكلت في جزئياتها موتيفات محددة ، و مما ينضوي تحت موضوعة البعث ما خلصنا به من موضوعات جزئية كانت كالآتي :

- الحشر (حشر العباد يوم القيامة) :

إن المتمعن في منام الوهراني يدرك أن هناك علاقة وطيدة بين العديد من المواقف التي أدرجها الوهراني في منامه من جهة ، وبين مواقف أشارت إليها المصادر الإسلامية ، والخاصة بيوم الحشر من جهة أخرى ، منها هول الموقف الذي يتعرض له العبد قبل دخوله الجنة أو ولوجه النار و هو جزء لا يتجزأ من البعث الموضوعة الأم .

فالوهراني ذكر في منامه أنه بعدما بعثه الله تعالى من قبره ، بلغ أرض المحشر :

<< فخرجت من قبري أيَمّمُ الداعي إلى أن بلغت أرض المحشر >> [2] .

و عند العودة إلى القرآن الكريم و السنة النبوية نجد أن الله ﷻ (وعد عباده بيوم يجمع فيه الخلائق جميعا و يحشرهم و يستوي في ذلك الأولون و الآخرون على حد سواء من قوله ﷻ : ﴿ قُلْ إنّ الأوّلِينَ وَ الآخِرِينَ مَجْمُوعُونَ إلى ميقات يَوْم مَعْلُوم ﴾ [3]) (4).

و قدرة الله تحيط بعباد الله و تأتي بهم من كل أوب (فلا يشذ منهم أحد ﴿ أيْنَ مَا

---

(1) شاكر عبد الجبار ، ماذا بعد الموت ؟ ،: 54 .

(2) منامات الوهراني ،: 23 .

(3) الواقعة : 50 .

(4) عن صفة حشر الخلائق تفصيلا ينظر : عمر سليمان الأشقر ، القيامة الكبرى ،: 65 – 67 و أبو أنس البنكاني ، تنبيه الأنام بما في الأقوال و الأفعال من الآثام ،: 163 – 166 .

تَكُونُوا يَأتِ بِكُمْ الله جَمِيعًا إنّ الله عَلى كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1] ، و يحشر الله تعالى العباد على أرض غير الأرض) (2) .

و قد حدثنا عنها و عن صفتها رسول الله ﷺ في الصحيحين ، إذ ثبت عنه قوله ﷺ : << يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْض بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ (3) كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ (4) >> [5] .

كما ورد أن << عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : << يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا (6) >> ، فقالت : يا رسول الله النساء والرجال جميعا ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال : ﷺ<< يَا عَائِشَةُ الأمْرُ أَشَدّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إلَى بَعْض >> >> [7] .

ثم يواصل الوهراني قوله وقد أنساه عظم الموقف جميع ما قاساه من شدة الأهوال ، بقوله : << فخرجت من قبري أيمم الداعي إلى أن بلغت أرض المحشر ، وقد ألجمني العرق و أخذ مني التعب و الفرق ، و أنا من الخوف على أسوإ حال >> [8] ، وما هذا إلا صورة جلية لوصف المصادر الدينية لهول هذا الموقف ، بما فيه من تعب و خوف و تصبب للعرق .

ففي هذا الموقف المهول والخطب الجليل ، (يجتمع حر الشمس و وهج أنفاس الخلائق و تزاحم أجسامهم ، فيفيض العرق منهم سائلا حتى يستنقع على و جه الأرض ثم

---

(1) البقرة : 148 .

(2) ينظر : عمر سليمان الأشقر ، القيامة الكبرى ،: 56 / 67 .

(3) خالصة البياض .

(4) الدقيق النقي من الغش و النخال .

(5) العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ،: 11 / 372 .

(6) غرلا : غير مختنين .

(7) البخاري ، صحيح البخاري ،: 19 / 463 .

(8) منامات الوهراني ،: 23 ،24 .

على الأبدان على قدر مراتبهم و منازلهم عند الله ﷻ بالسعادة و الشقاء ، حتى يبلغ من بعضهم العرق كعبيه ، و بعضهم حقويه (1) ، و بعضهم إلى شحمتي أذنيه ، و منهم من يكاد أن يغيب في عرقه و منهم من يتوسط العرق من دون ذلك منه) (2) .

و يطالعنا الوهراني و هو في أرض المحشر بقوله مخاطبا الحافظ العليمي : << يا كافر القلب أما ترتدع ؟ أما ترعوى ؟ أما ترى السماوات تنفطر مثل فطاير المزة في الكوانين >> (3) .

و الوهراني في هذا لم يأت بجديد ، (فموران السماء و انفطارها يعد من معالم أهوال يوم القيامة كقبض الأرض و طيّ السماء و دك الأرض و نسف الجبال و تفجير البحار و تسجيرها و تكوير الشمس و خسوف القمر و تناثر النجوم) (4) .

ففي يوم القيامة تضطرب السماء ، ثم تنفطر و تتشقق – كما ذكر الوهراني – بحكم قوله ﷻ : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ (5) ، و قوله ﷻ : ﴿ إذا انْشَقَّت السَّمَاءُ فَكَانَت وَرْدَةً كَالدِّهَان ﴾ (6) .

- المغفرة :

لقد جاء في المنام الكبير للوهراني – وهو في أرض المحشر – موقف يدعونا إلى

---

(1) الحقو : الخصر ومعقد الإزار من الجنب .

(2) ينظر : عمر سليمان الأشقر ، القيامة الكبرى ،: 115 / عن : المحاسبي : التوهم و الأهوال ،: 05 .

(3) منامات الوهراني ،: 26

(4) ينظر : عمر سليمان الأشقر ، القيامة الكبرى ،: 100 / 112 .

(5) الإنشقاق : 1 – 2 .

(6) الرحمن : 37 .

الرجوع مرة أخرى للمصادر الدينية مجسدة تحت موضوعة البعث ، فها هو الوهراني يصف الفرحة العارمة التي عمت جانبا من المحشر ، فالجموع تصفق مستبشرة والحجاج وصحبه يرقصون وسط الحضور ، طمعا في رحمة الله ﷻ و مغفرته بعد أن غفر الله لعبدين من عباده (1) .

وفي ذلك يقول الوهراني على لسان أحد الحضور الذين شهدوا فرحة هؤلاء : << فأما الثلاثة (2) : فعبد الرحمن بن ملجم المرادي و الشمر بن ذي جوشن الضبابي و الحجاج بن يوسف الثقفي و الشيخ الكبير أبو مرة إبليس فجار الخلائق ، و هم مجرمو هذه الأمة .

و أما الفرح الذي ألهاهم عن توقع العقاب حتى استفزهم السرور و رقصهم الطرب مع ما كانوا عليه من رجاحة العقول ، و نزاهة النفوس و ثبات الجأش فهو الطمع في رحمة الله تعالى بعد اليأس منها لعلمهم بما اجترحوا من العظائم و إنما قوى أطماعهم كون البارئ – جلت قدرته – غفر اليوم للفقيه المجير و المهذب النقاش ، فخذوا رحمكم الله بحظكم من هذه البشرى و الفرح و السرور >> (3) .

إن المتدبر لهذا المقطع من كلام الوهراني ، يدرك أنه مستوحى من معاني آيات قرآنية كريمة وأحاديث نبوية شريفة ، والتي فيها يبشرنا الله تعالى بسعة رحمته و مغفرته اللامتناهية ، على سبيل التفاؤل ، مما يدعونا لاستحضار الآية الكريمة : ﴿ وَ اكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (4) .

---

(1) هما المهذب بن النقاش والفقيه اللذان حضرا مع الوهراني يوم الحشر .

(2) سبق و أن ترجمنا لهذه الشخصيات أثناء عرضنا لمنام الوهراني الكبير .

(3) منامات الوهراني ،: 36 ، 37 .

(4) الأعراف : 156 .

كما أن من صفات الله ﷻ أنه غفور رحيم ، وقد ورد هذا في العديد من آيات الذكر الحكيم كقوله ﷻ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (1) ، كما إن الله غفار ذنوب من يشاء من قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (2)

كما أخبرنا رسولنا ﷺ عن رحمة الله الواسعة فقال :<< لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي >> (3) .

و قد عمد الوهراني إلى جعل الحجّاج بن يوسف الثقفي أحد هؤلاء الذين تعمهم مغفرة الله ﷻ ، فلعله اطلع على ما قاله الحجّاج في مرض موته :

<< يا رب قَدْ حَلَفَ الأعْدَاءُ وَ اجْتَهَدُوا ❁❁❁ أيْمَانَهم أنّي مِنْ سَاكِنِي النّار

أ يَحْلِفون عَلى عَمَيَاءَ وَيْحَهُمْ ❁❁❁ مَا ظنّهُم بعَظِيم العَفو غفّار>> (4)

- الشفاعة :

بعد رحمة الله الواسعة بعباده ، نجد الوهراني يذكرنا بشفاعة سيد المرسلين محمد ﷺ ، فبعد أن وصف قدوم موكبه ﷺ في أصحابه و أهل بيته و هو مقبل من المقام المحمود ، قاصدا الحوض أظهر لنا الناس من حوله و هم << يضجون بالبكاء و يشيرون إليه بالأيدي و يستغيثون عليه من كل مكان >> (5) ، فيدخل الجميع في شفاعته .

من خلال المقطع المذكور يتبين لنا كيف استغل الوهراني حقيقة دينية ، و المتمثلة

---

(1) الزمر : 53 .

(2) النساء : 116 .

(3) زكريا عميرات ، الأحاديث القدسية الصحيحة ،: 113

(4) البيتان لسفيان العكلي ، ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان ،: 1 / 348 .

(5) منامات الوهراني ،: 48 .

في الشفاعة ، والمقصود بها شفاعة النبي ﷺ في إخراج المؤمنين من النار ، و قد وردت في المصادر الدينية الإسلامية ، فعن هذا الموقف يقول ﷻ : ﴿ يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إلا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلا ﴾ (1) ، وقوله أيضا : ﴿ قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَمَوَاتِ وَ الأرْض ثُمَ إلَيْهِ تُرْجَعُونْ ﴾ (2) .

و قد ورد في صحيحي مسلم والبخاري أحاديث كثيرة تتحدث عن شفاعة رسول الله ﷺ يوم القيامة ، و يشغل الحديث منهما صفحات ، (فحينما يشتد البلاء بالناس في الموقف يرغب المؤمنون إلى الأنبياء ليخلصوهم من هذا الموقف العظيم و أهواله ، فيأتون آدم عليه السلام فيعتذر ، فيطلبون الشفاعة من نوح عليه السلام فيأبى و يعتذر، و كل رسول يحيلهم إلى من بعده من أولي العزم من الرسل ، و الآخر يدفعها إلى من بعده حتى يأتوا سيدنا محمدا ﷺ فيقول : << أنا لها >> ، فينطلق الرسول ﷺ و يستأذن من ربه فيؤذن له ، فيحمد الله و يمجده و يسأله في أمته فيستجيب له ، ذلك أن الله أعطى كل نبي دعوة في أمته فلا ترد و قد استعجل كل نبي تلك الدعوة في الدنيا أما الرسول الأكرم ﷺ فترك دعوته إلى ذلك الموقف الذي تحتاج فيه أمته إلى دعوته) (3).

و قد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : << لِكُلِّ نَبِيٍ دَعْوَةٌ دَعَا بِهَا فِي أمَّتِهِ وَ خَبَأتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ >> (4) .

- العدل :

لقد استلهم الوهراني موضوعات جزئية أخرى تضاف إلى ما سبق ، إذ يطالعنا في

---

(1) طه : 109 .

(2) الزمر : 44 .

(3) ينظر : عمر سليمان الأشقر ، القيامة الكبرى ،: 175 / 183 .

(4) مسلم ، صحيح مسلم ،: 1 / 130 .

منامه الكبير بفكرة طالما نستحضرها في مواقف عسيرة خصوصا ، حينما يكثر الظلم و الاستبداد في دار الدنيا ، فكيف به و هو في الآخرة أين لا يظلم أحد ؟

فهاهو الوهراني يعتبر نفسه عبدا مظلوما بعدما رفض أحدهم رد ما في ذمته له من مال كان قد أخذه منه في الدار الفانية ، و ها هو يطالب بحقه مخاطبا إياه : << أريد الساعة آخذ من حسناتك بعشرة دنانير ما يساوي خمسة عشر دينارا >> (1) .

فرد عليه أحد الحضور باستهزاء : << أ من أوراده بالليل أو تهجده بالقرآن في الأسحار أو من صيام الاثنين و الخميس أو من مواصلته الثلاثة أشهر ، يعطيك من حجاته حجة مبرورة >> (2) ثم أردف قائلا : << ما أنت رجل غريب من هذا الرجل و لا أنت بجاهل به ، جميع ما وجد في صحيفة حسناته خمس قراطيس صدقة بيدك لابن الجليس الجبروني (...) و هي موقوفة إلى الآن (...) و وجدوا له ثمانين صلاة في ستين سنة منها ثلاثون بغير وضوء و الخمسون مثبتة له ، خذها بارك الله لك في جميعها بخمسين قرطاسا >> (3) .

و رغم ذلك فهي لا تكفي كونها لا تعادل مظلمة الوهراني الذي رد عليه قائلا : << لم يبق إذا إلا أن أحط من سيئاتي على سيئاته بقيمة عشرة دنانير >> (4) ، ظانا أن المسألة قد تمت لصالحه ، فإذا بأحد الملائكة يخاطبه بحمية و غضب : << الرجل مغفور له لا تناط به >> (5) و يحاول بذلك حرمان الوهراني من حقه ، حينها يصيح الوهراني بأعلى صوته : << دعوة مظلوم يا كريم >> (6) .

فالوهراني يعلم أن دعوة المظلوم مستجابة ، ويعلم أن الله ﷻ ليس بغافل عن كل ظالم أو صاحب مظلمة لقوله ﷻ : ﴿ وَ لا تَحْسِبَنَّ الله غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظالِمُونَ إنَّمَا يُؤخِرُهُمْ لِيَوْم تَشْخَصُ فِيهِ الأبْصَارُ ﴾ (7) .

---

(1) (2) ، (3) ، (4) ، (5) ، (6) منامات الوهراني ،: 38 ، 39 ، 40 .

(7) إبراهيم : 42 .

إنه يوم القيامة حين (يقتص الله سبحانه و تعالى بالعدل للمظلوم من ظالمه حتى لا يبقى لأحد عند آخر مظلمة ، فيوفّي أجور عباده كاملة غير منقوصة : ﴿ ثمّ توفّى كلّ نفس ما كسبت و هم لا يظلمون ﴾ (1) ، و في موضع آخر يقول الحق تعالى : ﴿ إنّ الله لا يظلم مثقال ذرّة ﴾ (2) ، كما لا يؤخذ بجريرة غيره فالضال يجني على نفسه بما قدم و المهتدي يجني ثمار صلاحه بدليل قوله ﷻ : ﴿ مَنْ اهْتدَى فإنّمَا يَهْتدِي لِنَفْسِهِ وَ مَنْ ضلّ فإنّمَا يَضِلّ عَلَيْهَا وَ لا تزرُ وَازرَة وزرَ أخْرَى وَ مَا كُنّا مُعَذبينَ حَتى نَبْعَث رَسُولا ﴾ (3)) (4).

و الوهراني من خلال المقطع المذكور آنفا ، يركز على صورة طالما نبهنا إليها رسولنا الكريم ﷺ ، و حذرنا من الوقوع فيها بقوله : << مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلُمَةٌ لأخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلّلْ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَ لا دِرْهَمٌ ، إنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أخَذَ مِنْهُ بقَدْر مَظْلُمَتِهِ ، و إنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أخَذَ مِنْ سَيِّئات صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ >> (5) .

كما يخبرنا رسولنا الكريم ﷺ أن المدين الذي مات و للناس في ذمته أموال – مثلما صور الوهراني ذلك – فإن أصحاب الأموال يأخذون بمقدار ما لهم عنده ، إذ ثبت عن الرسول ﷺ أنه قال : << مَنْ مَاتَ وَ عَلَيْهِ دِينَارٌ أوْ دِرْهَمٌ قَضَى مِنْ حَسَنَاتِهِ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَ لا دِرْهَمٌ >> (6) ، و هي صورة طبق الأصل لما ورد في منام الوهراني .

كما نجد رسولنا الكريم ﷺ يحث المسلم على الامتناع عن ظلم أخيه المسلم في دار الدنيا بقوله ﷺ : << المُسْلِمُ أخُو الْمُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَ لا يُسْلِمُهُ وَ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أخِيهِ

---

(1) البقرة : 218 .

(2) النساء : 40 .

(3) الإسراء : 15 .

(4) ينظر : عمر سليمان الأشقر ، القيامة الكبرى ،: 238 / 246 .

(5) البخاري ، صحيح البخاري ،: 5 / 101 .

(6) ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ،: 5 / 537 .

، كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَلَى مُسْلِمٍ كُرْبَةً ، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ الْقِيَامَةِ ، وَ مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ >> (1) .

فالملاحظ إذا أن الوهراني قد استلهم جزئية العدل من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف لتكون له مساعدة في تمثل موضوعة البعث ، فالوهراني قرأ قراءة واعية كل الشواهد الدينية التي ذكرناها واستوعبها دون أن يصرح بها ، ثم أعاد صياغتها بطريقته الخاصة .

- حسن الظن بالله :

يطالعنا الوهراني هذه المرة بمعنى آخر بنى عليه جزءا من منامه الكبير إذ ذكرنا بحسن الظن بالله ﷻ قائلا : << أنا رايح إلى رب كريم ، ورجائي به جميل وظني به حسن >> (2) ، قال هذا و هو في يوم الحشر و قد بعث من قبره .

فعند رجوعنا للقرآن الكريم و في أكثر من موضع ، نجد الله ﷻ يؤكد على هذه الحقيقة الدينية منها قوله تعالى : ﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (3) ، وقوله أيضا : ﴿ وَ يُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَالظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (4) ، كما استند الوهراني أيضا على حديث رسول الله ﷺ حين قال : << لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلا وَ هُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ >> (5) .

---

(1) البخاري ، شرح الباري بشرح صحيح البخاري ،: 5 / 97 .

(2) منامات الوهراني ،: 47 .

(3) الصافات : 87 .

(4) الفتح : 29 .

(5) مسلم ، صحيح مسلم ،: 8 / 96 .

- إحصاء أعمال العبد :

حينما التقى الوهراني و صاحبه الحافظ العليمي بمالك خازن النار ، حاولا نفي ما اقترفاه من آثام في دار الدنيا ، ظانين في ذلك أن مالك خازن النار قد يغفل عن شيء من سيئاتهما ، فإذا بمالك يكشف عن فضائحهما ومخازيهما وقبائح مساوئهما، حتى التي كانت خفية عن عباد الله ، فيندهش الوهراني وصاحبه ، من علم هذا الملك بما اقترفاه ، فها هو الوهراني يخبرنا عن موقفه هو و صاحبه لمّا سمعا ذلك من مالك خازن النار قائلا : << فلما سمعنا ذلك خرسنا وأبلسنا وعلمنا أن الناقد بصير لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها >> [1] .

إن ما ورد على لسان الوهراني ، ما هو إلا صورة واضحة لموضوعة وردت في القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة ، (فالملك الشهيد يسجل على الإنسان كل ما فعله من خير أو شر في حياته الدنيوية ولا يُغفل شيئا من ذلك كله ، ولو كان مثقال ذرة) (2)، وهو ما يؤكده ﷻ في قوله : ﴿ وَ وُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَ يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الكِتَاب لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلا أَحْصَاهَا ، وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبَّكَ أَحَدًا ﴾ [3] .

كما أن الله ﷻ أنذر عباده مخاطبا رسوله الكريم ﷺ حيث قال ﷻ : ﴿ وَلا تَحْسِبَنَّ الله غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظالِمُونَ إنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْم تَشْخَصُ فِيهِ الأبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسَهُمْ لا يَرْتَدّ إلَيْهِمْ طرْفُهُمْ وَأفْئِدَتُهُمْ هَوَاء وَأنْذِرِ النَّاسَ ﴾ [4] .

---

(1) منامات الوهراني ،: 31 .

(2) ينظر : محمد كامل حسن المحامي ، الملائكة ،: 44 / 46 .

(3) الكهف : 49 .

(4) إبراهيم : 42 ، 43 ، 44 .

و(يكون إلزام العبد عمله من خير أو شر بمثابة الطوق المحكم حول عنقه ، لا يفارقه أبدا) (1) حيث قال ﷻ : ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ، اقْرَأْ كِتَابَكَ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (2) ، حينها يتذكر كل فرد ما عمله ولا يجد أي سبيل للإنكار ، وهذا المعنى أيضا هو المقصود من قوله ﷻ : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (3) ، وهو الأمر الذي حدث للوهراني وصاحبه .

إنطلاقا من كل ما سبق ، نخلص إلى أن الوهراني قد تأثر تأثرا فعليا بمجموعة من الموضوعات الدينية تلخصت في العروج و البعث و ما انبثق عنهما من موضوعات جزئية ، بدت لنا جلية المعالم عبر صفحات منامه الكبير .

2 – التناص الأدبي :

لقد كان الأثر الأدبي بارزا في موضوعات المنام الكبير للوهراني ، و خصوصا موضوعة الغفران الإلهي و موضوعة الشفاعة النبوية كما تصورهما المعري في غفرانه

أ – الغفران الإلهي :

تحت هذا العنوان سنرصد التقاطع الموضوعاتي للغفران بين أبي العلاء المعري و الوهراني ، عبر موضوعة الغفران الإلهي .

ففي المنام الكبير تحدث عن مغفرة الله ﷻ لعبدين من عباده كانا قد ظلما نفسيهما ، و أساءا العمل في الدار الفانية ، قائلا :<< لم يولد في الإسلام مولود قط أرق دينا من هذين

---

(1) ينظر : محمد كامل حسن المحامي ، الملائكة ،: 44 / 46 .

(2) الإسراء : 13 ، 14 .

(3) ق : 22 .

الرجلين و لا أقل خيرا منهما ، و إذا غفر لهما فما عسى أن تكون ذنوب الحجاج و أصحابه في جنب ذنوب هذين أن يكون ذلك إلا كالشعرة البيضاء في الثوب الأسود >> [1] ، فالله ﷻ منّ على الحجاج و صحبه بالمغفرة رغم ما اقترفوه من ذنوب .

وهي نفس الموضوعة التي طالعنا بها المعري ، ففي رسالة الغفران يصور لنا أبو العلاء قصرين مبثوثين في رياض الجنة ، كانا لشاعرين جاهليين هما زهير بن أبي سلمى (2) ، و عبيد بن الأبرص (3) ، << فيعجب من ذلك و يقول هذان ماتا في الجاهلية و لكن رحمة ربنا وسعت كل شيء ، و سوف ألتمس هذين الرجلين فأسألهما بما غفر لهما >> [4] ، كما أن المعري كان كلما التقى في جنة الغفران بشخصية يعرفها إلا و سألها : (بم غفر لك ؟ أو ما في معناها) (5) .

و من ثم فهذا التحاور بين المقطعين يؤكد أثر الغفران المتّبع عند المعري في موضوعات الوهراني ، و الاختلاف يكمن في أن الوهراني لم يستفسر عن سبب نيل الغفران و يبرّر ذلك برحمة الله الواسعة ، و بالتالي فقد بنى أبو العلاء المعري غفرانه على فكرة << التوبة الإنسانية تتلوها الشفاعة فالمغفرة إن قبلت الشفاعة >> [6] من وصف للجنة والنار و موقف الحشر ، بينما بنى الوهراني موضوع منامه على الحساب والمغفرة

---

(1) منامات الوهراني ،: 37 .

(2) أحد فحول الشعر في الجاهلية ، و هو أحد أصحاب المعلقات الشهيرة في الأدب العربي ، ينظر : ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ،: 57 .

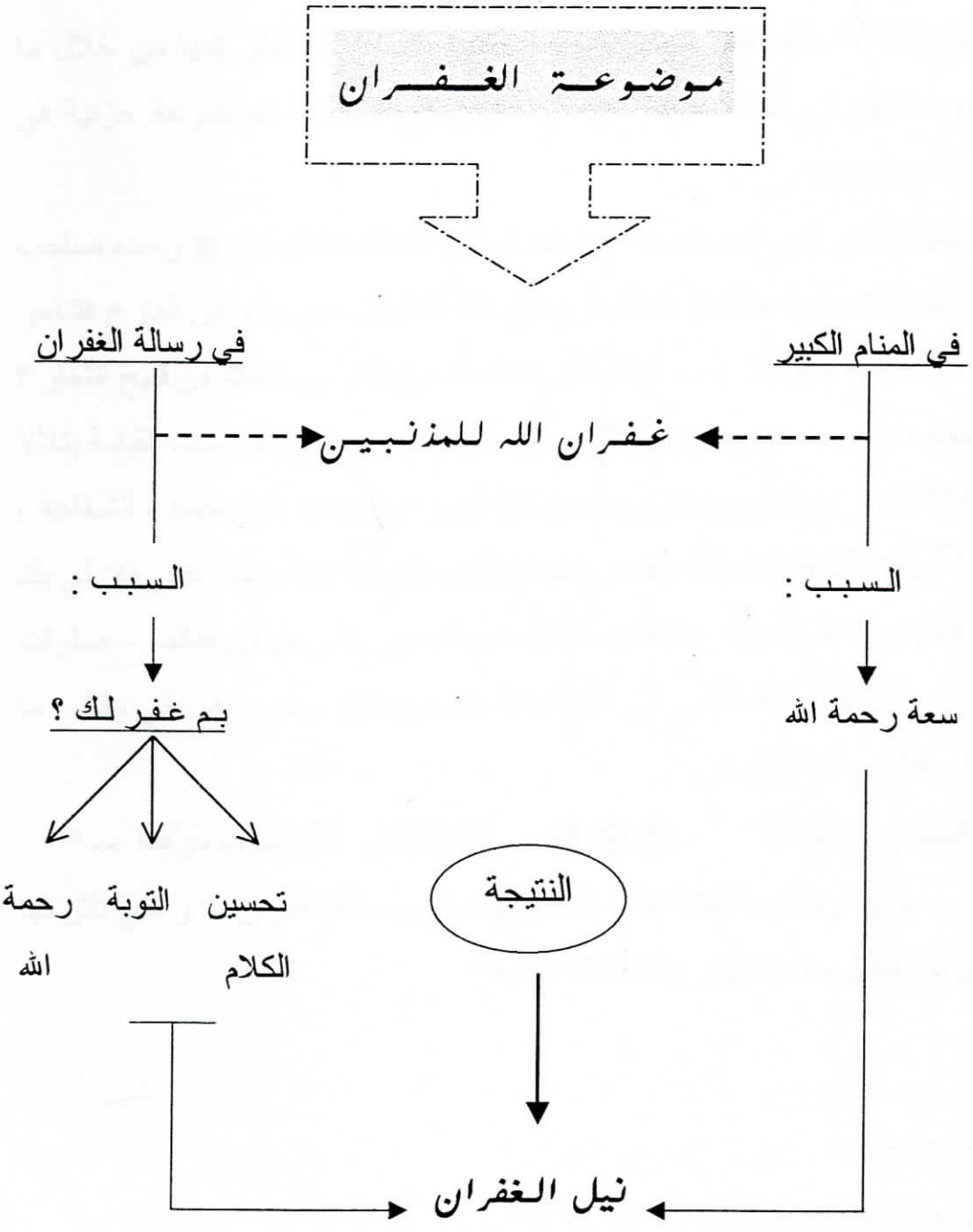
(3) شاعر من بني أسد بن خزيمة بن مدركة ، عمّر طويلا حتى قتله المنذر بن ماء السماء ، ينظر : ابن قتيبة ، الشعر و الشعراء ، 143 .

(4) أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ، تحقيق : عائشة عبد الرحمن ،: 182 .

(5) لقد تكرر الأمر في العديد من صفحات الرسالة من ذلك : ينظر : المعري ، رسالة الغفران ،: 182 ، 183 ، 185 ، 186 ...

(6) عمر موسى باشا ، نظرات جديدة في غفران أبي العلاء ،: 195 .

و الثواب ، وما يحمل كل عنصر من جزئيات ، و إن يكن المصدر الديني عند هذا وذاك ، فلمسات الغفران جلية في المنام الكبير ، من خلال توظيف الوهراني لهذه الموضوعة التي طرقها المعري ، و نمثل لذلك بالخطاطة التالية :



ب – موضوعة الشفاعة :

إننا نجد موضوعة الشفاعة في منام الوهراني ، رغم أنه لم يول اهتماما كبيرا لموضوعة الشفاعة مثلما فعل مع موضوعة الغفران ، إلا أنه أشار إليها من خلال ما ذكرناه من مقاطع في أثناء حديثنا عن أثر القرآن في الشفاعة كموضوعة جزئية في موضوعة البعث (1) .

بالمقابل نلفي نفس الموضوعة في غفران أبي العلاء ، فالرسول ﷺ وحده صاحب الشفاعة ، من ذلك مشهد يطالعنا به المعري في جنة الغفران حين رأى ابن القارح الشاعر الأعشى ، و خاطبه متسائلا : << كيف كان خلاصك من النار وسلامتك من قبيح الشنار ؟ >>(2) ، فأجابه : << سحبتني الزبانية إلى سقر ، فرأيت رجلا في عرصات القيامة يتلألأ وجهه تلألأ القمر ، والناس يهتفون به من كل أوب : يا محمد ، يا محمد ، الشفاعة ، الشفاعة ! ! نمت كذا ونمت بكذا ، فصرخت في أيدي الزبانية : يا محمد أغثني فإن لي بك حرمة ! فقال : يا علي ، بادره فانظر ما حرمته ، فجاءني علي بن أبي طالب – صلوات الله عليه – وأنا أعتل كيف ألقى في الدرك الأسفل من النار ، فزجرهم عني وقال : ما حرمتك ؟ ، فقلت : أنا القائل :

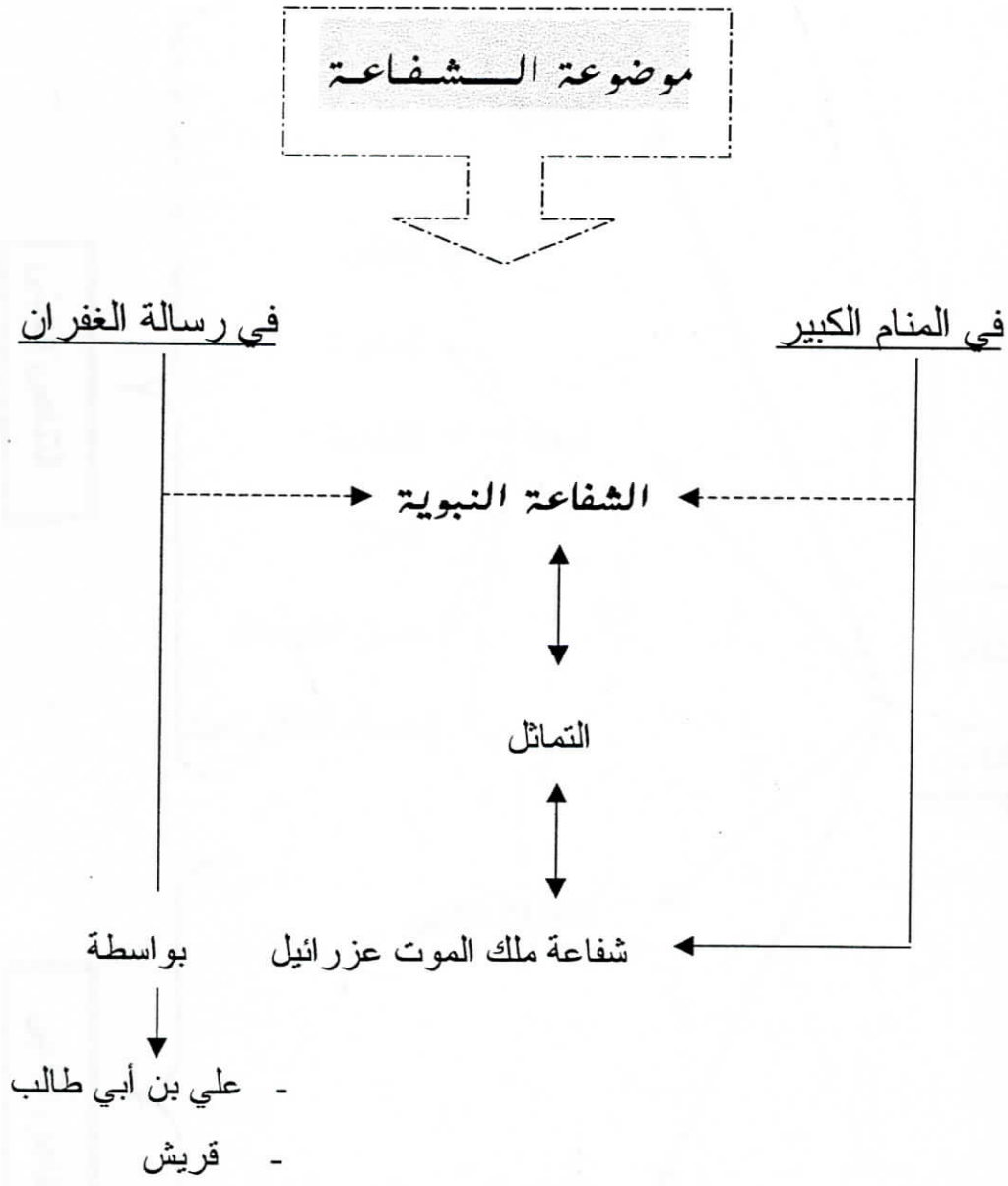
ألا أيّهَذا السَائلِي أيْنَ يَمّمْتَ ❁❁❁ فَإنّ لهَا فِي أهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا >>(3)

و سنمثل لموضوعة الشفاعة – كما وردت في رسالة الغفران – و التي تأثر بها الوهراني من خلال منامه الكبير بالخطاطة التالية :

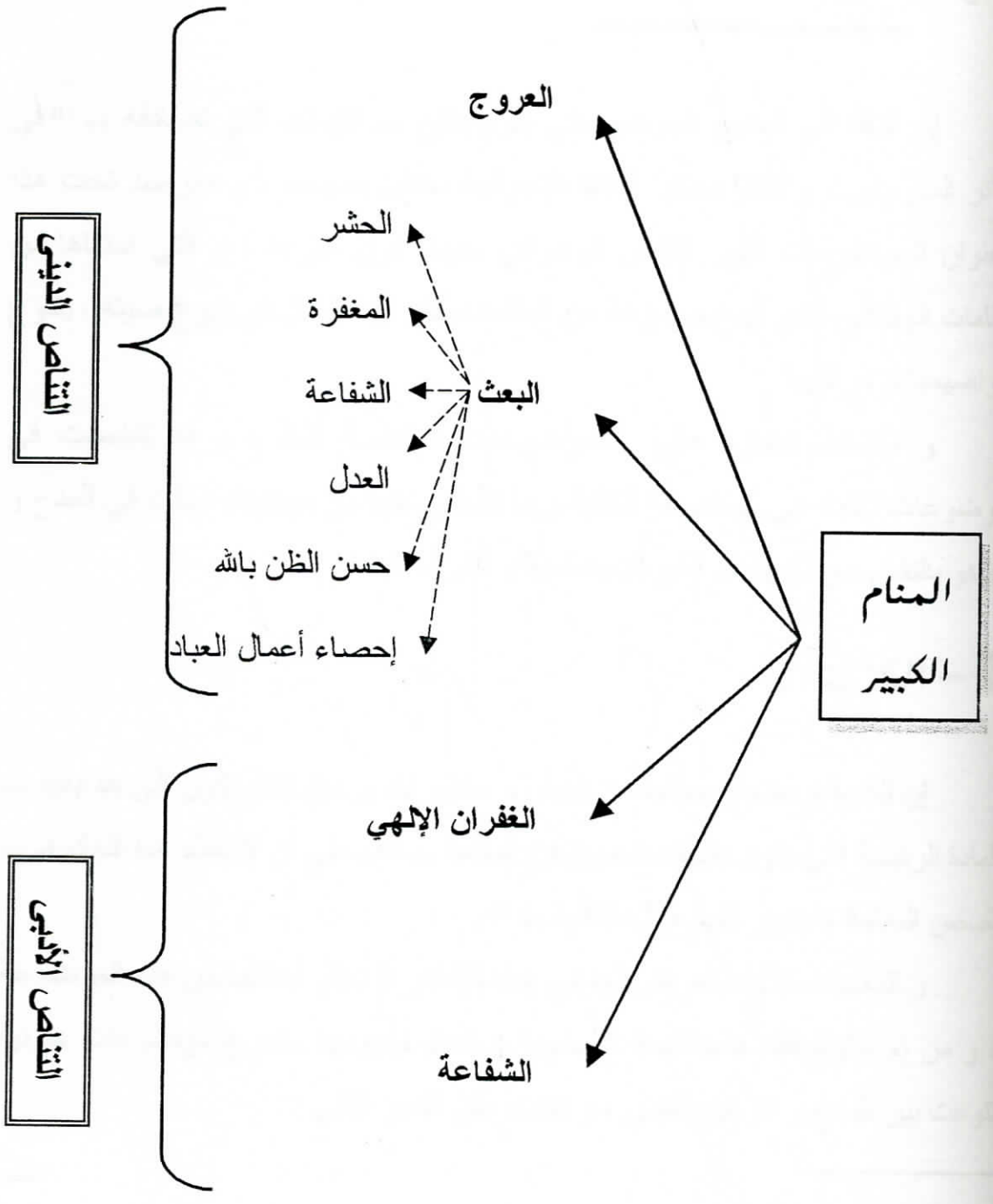
---

(1) ينظر هذا الفصل : 93 ، 94 .

(2) ، (3) رسالة الغفران ،: 178 .



و يمكننا توضيح ما ذكرناه ، حول التيمات العامة و الجزئية المتناصة التي وظفها الوهراني في منامه الكبير من أثر ديني و أثر أدبي و ما تحمله كل موضوعة أساسية من موضوعات جزئية عن طريق الخطاطة الشاملة التالية :


المنام الكبير
العروج
البعث
الحشر
المغفرة
الشفاعة
العدل
حسن الظن بالله
إحصاء أعمال العباد
التناص الديني
الغفران الإلهي
الشفاعة
التناص الأدبي

ثانيا : في المقامات :

إن الناقد في المنهج الموضوعاتي يقوم بتتبع << التيمات التي تصادفه >> [1] في الأثر المدروس ، و لكننا بحكم أداتنا الإجرائية سنتقيد بمنهجنا ، و سنرصد تحت هذا العنوان الموضوعات التي تناص الوهراني معها دون غيرها ، و التي استقاها من مقامات الهمذاني الذي أبدع مجموعة من المقامات كان لها الفضل في ذيوع صيته ، بتنوع مواضيعها و مراميها .

و سنسلط الضوء على الموضوعات المتناصة فقط ، و قد تلخصت في موضوعات ثلاث هي موضوعة الكدية و ما تشظى عنها من موتيفات تمثلت في المدح و الزهو بالنفس ، و ثانيها نقد القيم الاجتماعية و آخرها الهجاء .

1 – الكدية :

إن الكدية و ما دار حولها من أخبار و مغامرات و حيل تكاد تكون إلى حد بعيد << المادة الرئيسة التي يقوم عليها مضمون فن المقامة >> [2] ، على أن لا نُعَمّم هذا الحكم فـ << قصص المقامة لا تدور كلها حول الكدية >> [3] .

و المقامات التي سنعرض لها في هذا الإطار لا تخلو أهدافها من هذه الموضوعة ، و من ثم ستستوقفنا هذه التيمة الأساسية و تحت مفهومها سندرج موضوعات جزئية تنوعت بين المدح و الزهو بالنفس ، و كانت على النحو الآتي :

---

(1) سعيد علوش ، النقد الموضوعاتي ،: 72 .

(2) عبد الملك مرتاض ، فن المقامات في الأدب العربي ،: 313 .

(3) يوسف نور عوض ، فن المقامة بين المشرق و المغرب ،: 09 .

أ – المدح :

لقد مثل المدح مادة رئيسة تناولها الأدباء عبر مختلف العصور فعمدوا إلى التنويه بفضائل الممدوح ، و ذكر ما يتحلى به من مناقب إشادة بذكره و رفعا لشأنه ، و كثيرا ما يكون ذلك من وراء الرغبة في التكسب إضافة إلى الإعجاب بشخصية الممدوح ، و الوهراني تناول هذا الموضوع في مقاماته الثلاثة ، و لم يكن في ذلك مبتكرا بل مقلدا لما ألفاه في مقامات الهمذاني .

فقد ورد عن الوهراني قوله واصفا دخوله على أحد أعيان المدينة ، مفصحا بذلك عن ممدوحه : << ... إلى أن دخلت في هذا الأوان إلى جلال الدين صاحب الديوان ، فرأيت شخصا كثير الإنصاف كامل الأوصاف :

و لَيس عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَر ❁❁❁ أنْ يَجْعَلَ العالمَ في واحدِ

فأغناني بخيره ، وأمدني بميره ، و لم يحوجني إلى غيره >> [1] ، و أضاف مادحا : << نجم ذكاء يتألق ، و بحر علم يتدفق ، مروءته ظاهرة ، و أفعاله طاهرة >> [2] .

كما نجد الوهراني قد أفصح عن ممدوحيه في مقامته البغدادية بادئا بصلاح الدين الأيوبي ، وكيف أجمع الناس على تقليده الحكم قائلا : << فاتفق أهل الحل ، وأرباب العقد والحل بعد النظر في الأواصر والاختبار للعناصر على تقليدها لابن أخيه الملك الناصر(3) لما جُبل عليه من حميد الأوصاف ، وإيثار العدل و الإنصاف ، و ما اجتمع فيه من أخلاق الملوك ، و تواضع الصعلوك ، و ما خص به من شهامة الجَنَان ، و سماحة النفس و البنان >> [4] .

---

(1) ، (2) منامات الوهراني ،: 09 .

(3) هو صلاح الدين الأيوبي .

(4) منامات الوهراني ، 05 .

بالمقابل ، فإن المتمعن في مقامات بديع الزمان لا شك من أنه سيجد : << كثيرا من المقامات تدور حول فكرة المدح و تعالجها >> [1] ، ولا سيما في الملكية و الناجمية و النيسابورية ، و يظهر ذلك من خلال التماثل الظاهر المعتمد على تيمة المدح بين مقامات الهمذاني و نظيراتها للوهراني .

و كمثال على ذلك ، نتوقف عند بديع الزمان الذي أفصح عن ممدوحه في المقامة الناجمية في حوار قال فيه الإسكندري مخاطبا عيسى بن هشام : <<ما أختار عليكم صحبا ، و لقد وجدت فناءكم رحبا ، و لكن أمطاركم ماء والماء لا يروي العطاش ، قلنا : و أي الأمطار يرويك ، قال : مطر خلفي (2) ، وأنشأ يقول (3) :

سِجِسْتَانُ (4) أيَتُهَا الرَّاحِلَةَ ❁❁❁ وَ بَحْرًا يؤمّ المُنى ساحلَه

سَتَقْصِدُ أرْجَانَ(5) إنْ زُرْتَهَا ❁❁❁ بوَاحِدَةٍ مَائَة كَامِلَة

و فَضْل الأمِير علَى ابْن العَمِيدِ ❁❁❁ كَفَضْل قُرَيْش علَىَ بَاهِلَة(6) >> [7]

و في مقامته الملوكية ذكر ممدوحيه قائلا : << سألني عن أكرم من لقيته من الملوك فذكرت ملوك الشام و من بها من الكرام ، و ملوك العراق و ما بها من الأشراف و أمراء الأطراف ، و سقت الذكر إلى ملوك مصر فرويت ما رأيت ، فحدثته بعوارف ملوك اليمن ولطائف ملوك الطائف ، و ختمت مدح الجملة بذكر سيف الدولة>> [8]

---

(1) عبد الملك مرتاض ، فن المقامات في الأدب العربي ،: 355 .

(2) يقصد الأمير خلف .

(3) معنى الأبيات : اقصدي أيتها الراحلة بلد الأمير خلف لنيل المنى ، و سنقصد أرجان لزيارتها ، من هبات الأمير خلف ، و ستتمنى شيئا واحدا ، فتعطى مائة .

(4) بلد الأمير خلف .

(5) بلدة من بلاد فارس .

(6) أدنى قبيلة في العرب .

(7) مقامات الهمذاني ،: 290 .

(8) م . س ،: 346

، ثم أردف بوصف ممدوحه قائلا : << إن بعثت بالدراهم و الذهب أيسر ما يهب و الألف لا يَعُمُّهُ إلا الخَلف >> [1] .

و بالتالي يمكن اعتبار المدح أحد الموتيفات التي تناولها الوهراني تحت موضوعة الكدية مقلدا في ذلك الهمذاني ، و اتضح لنا أيضا من خلال ما انتقيناه من مقاطع ذلك التقارب بين الأديبين ، و يبقى السبق طبعا للهمذاني .

ب – الزهو بالنفس :

لقد تجسدت موضوعة الكدية في موضوعة جزئية أخرى وسمناها بالزهو بالنفس لما ألفيناه من فخر و اعتزاز و زهو في مقامات الوهراني و التي أتى فيها صنيع بديع الزمان في مقاماته .

و نستدل على ما ذكرناه بما قاله الوهراني في مقامته البغدادية ، إذ يظهر مفتخرا متكسبا واضح المرامي ، محاولا نيل المكانة الرفيعة عند صلاح الدين الأيوبي و من والاه طامعا في نوالهم ، و يظهر ذلك في استهلاله لمقامته قائلا : << ما مررت بأمير إلا حللت ساحته و استمطرت راحته ، و لا بوزير إلا قرعت بابه ، و طلبت ثوابه و لا بقاض إلا أخذت سيبه و أفرغت جيبه >> [2] ، ثم يضيف الوهراني : << فتقلبت بي الأعصار ، و تقاذفت بي الأمصار ، حتى قربت من العراق ، و سئمت من الفراق ، فقصدت مدينة السلام [3] >> [4] .

---

(1) مقامات الهمذاني ، 346 .

(2) منامات الوهراني ،: 1 .

(3) (أبو جعفر المنصور هو الذي سمى بغداد مدينة السلام و هو الذي بناها بين سنة 136 هـ و سنة 145 هـ) ، ينظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد أو مدينة السلا م 1 / 87 .

(4) منامات الوهراني ،: 1 .

و هو نفس المعنى الذي قصده الهمذاني في مقامته الناجمية : << أنا في الشرق أذكر و في الغرب لا أنكر، فما مَلِك إلا وطئت بساطه ، و لا خَطبٌ إلا خرقت سماطه (1) >> [2] ، كما عبر عن ذلك في مقامته النيسابورية أيضا حين قال على لسان الإسكندري الذي أوضح وجهته ، و أبدى قصده لعيسى بن هشام : << ... أما إني أريد كعبة المحتاج ، لا كعبة الحجاج ، و مشعر الكرم ، لا مشعر الحرم ، وبيت السبي (3) ، لا الهدي (4) ، و قبلة الصِّلات ، لا قبلة الصلاة >> [5] .

فمن خلال المقطين يتضح لنا إمعان الهمذاني و الوهراني من بعده في الكدية بكثرة الزهو بنفسيهما لقدرتهما على التفوق في صنعتهما و الحصول على الدرهم في كل الأحوال .

2 – نقد القيم الاجتماعية :

في كثير من الأحايين نجد الأديب يتناول قضية من قضايا المجتمع بالنقد ، فيتطرق لموضوع يهم حياة الإنسان اليومية ، كمحاربة الانحلال الخلقي و نبذ الجهل و الحث على الإصلاح عموما ، فيرصد الأديب موضوعا له صلة وثيقة بحياة الناس الاجتماعية ، و يجسدها في عمله الأدبي .

الأمر الذي نعثر عليه في مقامة الوهراني في شمس الخلافة ، فقد انتقد مجتمعه و سخر من بعض الذهنيات المتخلفة ، إذ انتزع الوهراني من واقعه صورة ناطقة بالحياة

---

(1) سمط الجنود التي تتقدم الملك في سيره .

(2) مقامات الهمذاني ، 290 .

(3) تساق إليه السبايا التي يغنمها الجيش في الحروب .

(4) ما يساق إلى الكعبة من الإبل و البقر و الشاء للنحر في مواطن معلومة .

(5) م . س ، : 302 .

ظاهرة التفقه في الدين بغير علم ، و ما شمس الخلافة إلا رمز لهذه الفئة من ، فقد أرادت زوجته أن تضعه على رؤوس المنابر وهو لا يفقه من أمره شيئا ، و لم ينجح شمس الخلافة في اعتلائها ، فيوجد من حذا حذوه وأصبح يرأس الجماعة ن معرفة بالفقه .

ر نتمثل لهذه التيمة بما ورد في هذه المقامة ، إذ لما أجمعت المرأة العجوز على جها – شمس الخلافة– و بعدما وصفت له بعض الحروف و رسمها ، خالت ته المفيد الذي به يتفقه و يترأس الجموع فقالت : << ... فاحفظ هذا الكلام و قد مفتي العراق و الشام ، و احذر مخالفتي و اعتزالي ، و اعلم أن بهذا الفصل تقدم >> [1] ، فالفقه في نظرها ، ما هو إلا << نفاق و زعاق ، وتلويث وجه الخصم >> [2] .

ر يطالعنا الوهراني كذلك على لسان نفس العجوز كيف يحكم بعض الأفراد على س بظاهرهم ، في قولها ناصحة زوجها الإسكافي << إذا جلست فتربع ، و لا تتقنبع ر أكمامك ، و أظهر للناس أعلامك ، فإن الغريب ابن ثوبيه ، و المُقيم ابن جَدَيْهِ م استشهدت بأبيات شعرية تجسد بجلاء نقد الوهراني لظاهرة تفقه الجهّال :

الِبَ العلِمِ مِن كِـتابٍ	❁❁❁	وَ مِنْ مُعِيد و مِن مَفْـهَـم
ن هَـذا تَـرى فـقِـيـهًا	❁❁❁	فـوسّع الـثَـوْبَ ثـم عَـمّـمْ
سْ مِنَ الثوْبِ طيْلسَانًا	❁❁❁	و اعْـقُـده مِن المَنْـكِـبَيـن
عُدْ مَعَ القوْم في جَلال	❁❁❁	لا بالبُـخَـاري وَ لا بـمُسْلِم
سِيَـاحًا وَ نَـقْضُ كُـمَ	❁❁❁	و عَقْد لا لا وَ جَمْع لَمْ لَمْ

ات الوهراني ،: 100 .

س ،: 101 .

س ،: 100 .

عِندهم عُلومًا ❁❁❁ أكْثَرَ مِن لا و لا أسْلَـم >> [1]

قابل نجد موضوعة نقد القيم الاجتماعية جلية عبر سطور مقامات الهمذاني من رد في مقامتيه القردية و الحلوانية ، فأما المقامة الأولى (2) ، فينقد الهمذاني من دتين سيئتين ، تمثلتا في : << ثقل عمال الحمامات و من في حكمهم و إسرافهم ف و السخف >> [3] ، ويتضح ذلك من خلال ما ذكره الهمذاني حول مبادرة أحد مام بتلطيخ جبين عيسى بن هشام فور دخوله للحمام كي يظفر بزبون ، و إقبال عليه رغم ما قام به الأول ، وهذا في قوله:<< ... دخلته و دخل على أثري رجل قطعة طين فلطخ بها جبيني، و وضعها على رأسي ثم خرج و دخل رجل آخر ني دلكا>> [4] .

ا وقف الهمذاني عند عادة سيئة أخرى وُسِم بها مجتمعه ، إذ نَقَدَ<<من طرف ات المشعوذين التي يجتمع الناس حولها في الأسواق ، و الشوارع ليضيعوا بثا >> [5] من خلال مقامته القردية ، فنجده يتساءل بطريقة غير مباشرة عن راء ترك المصالح ، و الانسياق وراء حلقات سخيفة، و الإقبال عليها ، بروح ما في ذلك من انحطاط للذوق ، و منهم من << يلوي الطرب أعناقهم ، ويشق شداقهم >> [6] ، بدعوى أن منظر القراد و هو يلاعب قرده مدعاة للضحك .

ا فالظاهرة الاجتماعية التي نقدها الوهراني ، تعبر عن وعيه و محاولته فضح ت السيئة و العيوب البشرية ، و في نفس الإطار وجدنا بديع الزمان الهمذاني قد

ات الوهراني ،: 101 .

ت الهمذاني ،: 261 / 263 .

الملك مرتاض ، فن المقامات في الأدب العربي ،: 244

ت الهمذاني ، 261 .

الملك مرتاض ، فن المقامات في الأدب العربي ،: 321 .

ات الهمذاني ، 261 .

تناول موضوعة نقد القيم الاجتماعية في مقاماته قبل تناول الوهراني لذلك ، مما يدل على تناص الوهراني بموضوعات مقامات الهمذاني و تحاوره معها .

3 – الهجاء و القذف :

يعتبر الهجاء من الموضوعات التي عالجها الأدباء في مختلف العصور و هو << فن الشتم والسباب ، وهو نقيض المدح >>[1] و يعمد النقاد إلى تقسيم الهجاء (ثلاثة أقسام هي : الهجاء الشخصي و الهجاء الأخلاقي و الهجاء السياسي) (2) .

أما الأول فيكون مثاره على وجه العموم المنازعات الفردية و الخلافات التي تنشأ عن تعارض المصالح كما يعتمد على << مهاجمة الأفراد ... و هو في معظم الأحيان متأثر بالأهواء الشخصية ، بعيد عن العدل و الإنصاف >>[3] .

و قد يعتمد فيه الهجاءون على الصفة الخلقية للفرد المهجو كـ << إبراز العيوب الجسمية و العاهات الظاهرة كالقبح و الدمامة و طول الأنف و الوجه و اللحية و جحوظ العينين ... >>[4] .

وثاني أنواع الهجاء هو الهجاء الأخلاقي ، الذي يكون موضوعه هو << الجرائم الأخلاقية أو الدينية و المفاسد الاجتماعية و العادات القبيحة و العيوب الإنسانية على وجه العموم >>[5] ، و يعتبر هذا النوع << دعوة للإصلاح و حربا شعواء على الشر و الرذيلة ، لما فيه من نقمة صريحة و ظاهرة على المفاسد الأخلاقية كالبخل و الجبن و الغدر و الكذب >>[6] ، و ما إلى ذلك من الرذائل و الخلال المنحطة .

---

(1) ، (2) محمد محمد حسين ، الهجاء و الهجاءون ، 5 .

(3) ينظر : م . س ، : 23 .

(4) راجي الأسمر ، أروع ما قيل في الهجاء ، 08 .

(5) محمد حسين ، الهجاء و الهجاءون ، 24 .

(6) راجي الأسمر ، أروع ما قيل في الهجاء ، 08 .

و آخر أنواع هذا الغرض الأدبي هو الهجاء السياسي الذي يكون القصد من ورائه هو الدفاع عن الوطن ، إذ يقوم على << العصبية للوطن ، فيهاجم كل ما يُؤذيه أو يُهدد كيانه >> [1] ، بكل ما في ذلك من غضب و حماسة .

هذا الفرع من الأدب كان موضوعا من مجموع المواضيع التي أسس عليها الوهراني مقاماته ، بل وصل فيها الهجاء غايته في البذاءة بكثير من التفصيل و التصريح ، دون تحفظ ، و لا مراعاة للقيم الدينية ، و ما الوهراني في هذا النطاق إلا مقلدا لمن سبقه من المقاميين ، إذ إنناً<< نجد كثيرا من المقامات تتناول هذه الفكرة و تكلفُ بها >> [2] .

و لنتعرف على مَجلى المحاكاة بين الوهراني و الهمذاني ، لا بد من رصد هذه الموضوعة في الأثرين الأدبيين معا ، إذ نجد ذلك شاخصا في مقامة الوهراني في شمس الخلافة ، أثناء وصفه لبطل المقامة على لسان عيسى بن حماد الصقلي قَصْد التشنيع به ، فبدأ هجاءه له بقوله : << رأيت معي في الحارة رجلا ثقيل الإشارة ، نبطي الشكل و العبارة ، يأخذه التيه و يدعه ، و يرفعه الإعجاب و يضعه >> [3] ، و أضاف : << بان لي من خلال ألحاظه و فلتات ألفاظه أن الرجل يقطينة ... قد جمع بين الجفا و غلظ القفا >> [4]

بل وصل الأمر بالوهراني إلى تصوير هجاء هذا الرجل لنفسه مخاطبا زوجته : << يا هذه اعلمي أني كنت في بلدي إسكافيا ، و أصبحت في مرحاضك كنافا فكيف لي بالمدارس و أنا كالطلل الدارس ، و من أين لي بالخير ، و أنا مثل حمار العُزير ! و الله ، ما أفَرق بين الحروف و قرون الخروف >> [5] ، و تمادى في هجائه لنفسه فقال : << يا هذه و الله ، ما أرجو من المدرسة نفعا ، و إني أخاف أن يقتلوني صفعا ، فدعيني من اقتحامك و إقحامك و وفريني على لطم أرحامك >> [6] .

و ختم الوهراني هذه الصورة الهجائية بموقف أهل العلم و العامة من هذا الفقيه

---

(1) راجي الأسمر ، أروع ما قيل في الهجاء ،: 137 .

(2) عبد الملك مرتاض ، فن المقامات في الأدب العربي ،: 350 .

(3) ، (4) ، (5) ، (6) منامات الوهراني ،: 97 – 98 – 99 – 100 .

المُدّعي ، فرماه على لسانهم بقوله : << ... حتى جاء وقت المناظرة ، فحينئذ برز بالوجه الوقاح ، و أرهج المدرسة بالصياح ، و أخذ يقول نوعا من الهذيان ، و ضربا من الباذنجان ، فوقع الناس في البلاء و علموا أنه دلو من الدلاء ، و تحققوا أن الرجل كالسطل لا يصلح إلا للإصطبل (1) ، فخرجت هيبته من صدورهم ، و نبذوه وراء ظهورهم >> [2] .

و يُطالعنا الوهراني في آخر المقامة بما ورد من تقاذف بين شمس الخلافة، و زوجته قائلا : << لقد رأيتهما يوما يشالقها و تشالقه ، و يخالفها و تخالفه ، و يقول لها : ألست تعلمين يا حيافة ، أني لقبت من أجلك بزوج العلافة ، فلعن الله الأشفار و الأظفار ، و ما تحويه الأخصار من حانوت العطار >> [3].

بالمقابل ، نجد الهمذاني قد تناول موضوعة الهجاء في كثير من مقاماته منها المقامات التالية : الشامية و الرصافية و الدينارية .

ففي المقامة الدينارية (4) يورد بديع الزمان الهمذاني هجاء فيه الكثير من البذاءة و سلاطة اللسان ، يصف لنا فيه طريقة التباري في الشتم بين الإسكندري ، و أحد الشحاذين من أجل نيل دينار عيسى بن هشام ، فقال على لسان الإسكندري شاتما مكديا آخر : << يا برد العجوز(5) ، يا كربة تموز (6) ، يا وسخ الكوز (7) يا درهما لا يجوز (8) ، يا حديث

---

(1) الأصح : الإسطبل .

(2) منامات الوهراني ،: 101 .

(3) م . س ،: 102 .

(4) مقامات الهمذاني ،: 329 / 337 .

(5) أيام في آخر الشتاء ، يشتد فيها البرد .

(6) تموز اسم من أسماء الأشهر الرومية (جويلية) ، فيه قيظ شديد .

(7) ما تتقزز منه النفس .

(8) الدرهم المغشوش .

يا حديث المغنين (1) ، يا سَنة البؤس (2) ، يا كوكب النحوس ، يا وطء الكابوس (3) ، يا تخمة الرؤوس(4) ، يا أم حبين (5) ، يا رمد العين ، يا غداة البين (6) ... يا بريد الشؤم ، يا طريد اللؤم ، يا ثريد الثوم ، يا سنة الطاعون ، يا بغي العبيد ، يا آية الوعيد (7) ، يا كلام المعيد ، يا أقبح من حتى في مواضع شتى ، يا دودة الكنيف ...

و قال الآخر : يا قراد القرود ، يا لبود (8) اليهود ، يا عدما في وجود ، يا نكهة (9) الأسود ، يا كلبا في الهراش (10) ، يا قردا في الفراش ... يا دخان النفط ، يا صنان الإبط ، يا زوال الملك ، يا هلال الهُلك (11) ، يا وحل الطريق ، يا ماء على الريق >> [12]

إن هذه المقامة إذا ، تعبر بوضوح شديد عن ولوع الهمذاني بالذم و الشتم ، و الهجاء بكثير من التصريح و التفصيل ، و هو ما لاحظناه على مقامات الوهراني أيضا .

إذا فالموضوعات التي تناولها الوهراني مشتركة ، إلا أن السبق انفرد به الهمذاني و نوضح مجمل التناصات المتعلقة بالجانب الموضوعاتي في مقامات الهمذاني ، بالخطاطة التالية :

---

(1) انقطاع لذة الطرب عند السامع عند تكلم المغني .

(2) سنة الجدب و الشدة .

(3) ما يقع على الإنسان في الليل ، فلا يستطيع معه أن يتحرك .

(4) ما يصيب الرأس عند فساد الطعام .

(5) العظاية .

(6) التي يبين فيها الأحبة و يغيبون .

(7) مما يخزي سامعه .

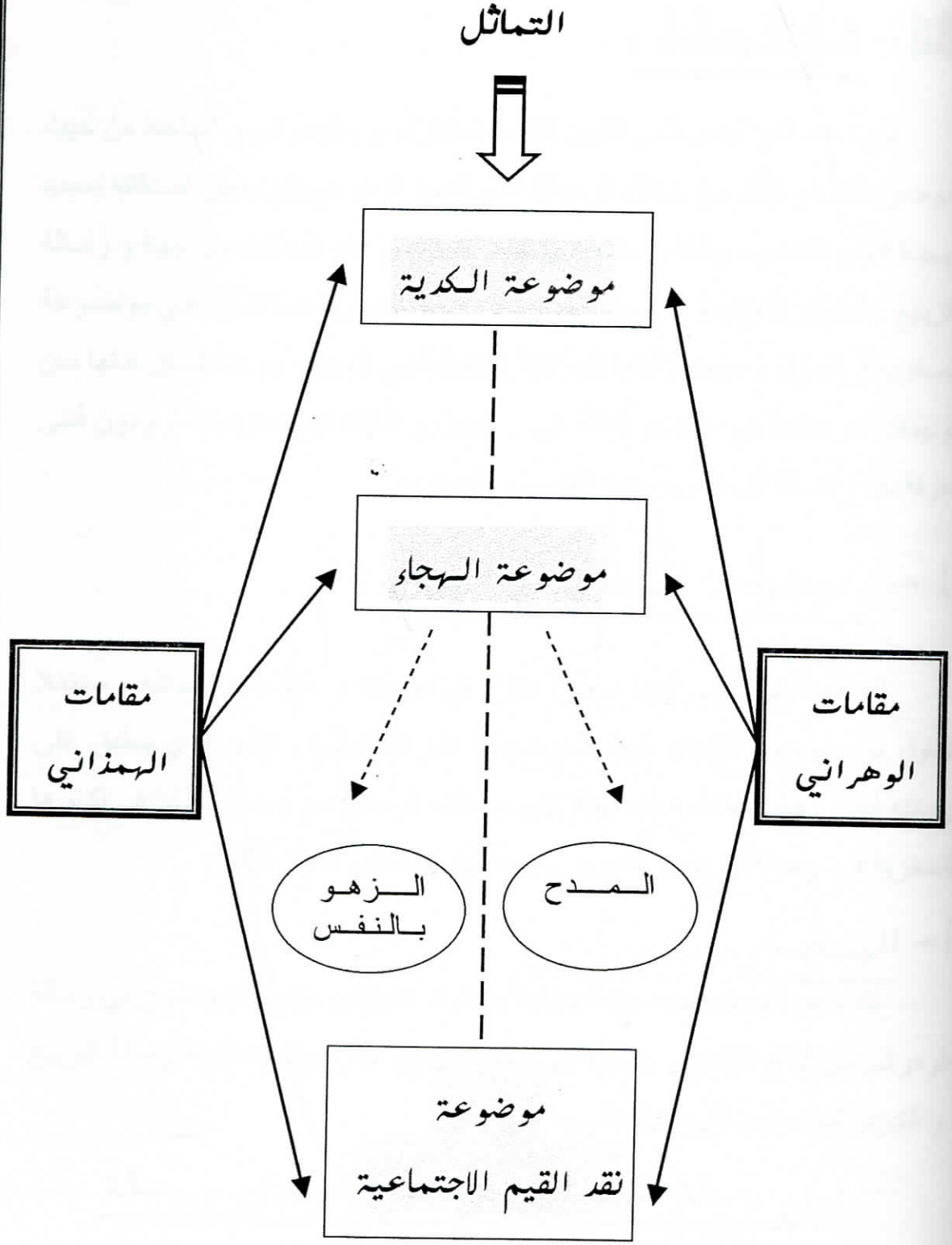
(8) اللبود بفتح اللام هو القراد .

(9) ريح الفم .

(10) مواثبة الكلاب و التحرش بعضها ببعض .

(11) الهُلك بالضمة الهَلاك .

(12) مقامات الهمذاني ،: 330 (مع الهوامش) .


التماثل
موضوعة الكدية
موضوعة الهجاء
مقامات الهمذاني
مقامات الوهراني
الزهو بالنفس
المدح
موضوعة نقد القيم الاجتماعية

ثالثا : في الرسائل :

نقف عند آخر جنس أدبي لنتبين القاسم المشترك بين الوهراني و الجاحظ من حيث الموضوعات ، و ذلك من خلال الرسالة التي كتبها الوهراني إلى بعض أصدقائه بسبب قصيدة التاج الكندي ، وكذا رسالته إلى مجد الدين بن عبد المطلب من جهة و رسالة التربيع والتدوير للجاحظ من جهة موازية ، و قد حصرنا هذا التأثر في موضوعة السخرية و الهزل و موضوعتها الجزئية المتمثلة في الهجاء ، و ما انبثق عنها من مونيمات أدرجناها في عناصر ثلاثة هي : الجهل و ادعاء فهم صنوف العلوم دون أدنى معرفة بها ، إضافة إلى تشويه جسم الخصم و العبث به .

1 - موضوعة السخرية و الهزل :

لقد ألفينا الوهراني أديبا ساخرا هازلا في مناماته و مقاماته و رسائله ، مستغلا لتناول من سبقه من الأدباء لهذه الموضوعة عبر تشظياتها ، الأمر الذي ينطبق على رسائله أيضا ، فقد طغت هذه التيمة على مختلف الرسائل ، و وجدناه مقلدا في أكثرها للسخرية في رسالة التربيع و التدوير ، و سنتتبع ذلك على النحو التالي :

أ- الهجاء

لقد ظهر الهجاء كموضوعة جزئية بما تولد عنها من مونيمات بوضوح في رسالة الوهراني في التاج الكندي و رسالته إلى مجد الدين بن عبد المطلب مقارنة برسالة التربيع و التدوير للجاحظ و التي نتبينها في ما يلي :

- بين رسالة الوهراني في التاج الكندي و رسالة التربيع و التدوير للجاحظ :

- الجهل :

لقد كان هدف الوهراني من كتابة رسالته هو إبراز الصورة الحقيقية للكندي صاحب القصيدة الميمية ، الذي انحطت مهابته من صدور المصريين بعدما نظم قصيدته ، ورسالته جاءت تأكيدا لحكم المصريين عليه ، فها هو الوهراني يُذكرنا بقوله : << فقامته و هامته اثبتن في صدور المصريين مهابة و جلالة سترتا على كثير من جهله حتى سمعوا هذه الأشعار القبيحة و رأوا عقله مُصورا فيها ، فعلموا منها قيمة نفسه و مقدار حسه ، فانحط بها إلى أسفل السافلين >> [1].

بالمقابل ، كان هدف الجاحظ من وضع رسالته ، هو كشف قناع أحمد بن عبد الوهاب وإبداء جهله أمام الجميع ، إذ قال في مستهل رسالته : << كان ادعاؤه لأصناف العلم على قدر جهله بها (...) مع إضلال الحجة و الجهل بموضع الشبهة ، و الخطرفة عند قصر الزاد ، و العجز عند التوقف و المحاكمة مع الجهل بثمرة المراء >> [2] .

و قوله أيضا : << ... فلما طال اصطبارنا حتى بلغ المجهود منا ، و كدنا نعتاد مذهبه و نألف سبيله ، رأيت أن أكشف قناعه ، و أبدي صفحته للحاضر و البادي و سكان كل ثغر و كل مصر ، بأن أسأله عن مائة مسألة أهزأ فيها و أعَرّف الناس مقدار جهله >> [3] .

- ادعاء فهم صنوف العلم دون أدنى معرفة بها :

إن هذه المونيمة التي تناولها الوهراني هي نفسها التي طرقها الجاحظ في التربيع و التدوير من خلال هجائه لأحمد بن عبد الوهاب .

---

(1) منامات الوهراني ،: 223 / 224 .

(2) رسالة التربيع و التدوير ،: 431 .

(3) م . س ،: 432 .

فقد استغل الوهراني القصيدة التي نظمها التاج الكندي ليسوقها مساق الهجاء مثيرا للضحك حينا ، و شافيا غليله من منافسه أحايين أخرى ، و يتضح ذلك من قوله أنه اطلع على قصيدة التاج الكندي ، فتأملها تأمل المنتقد و من ثمّ << وجده قد أقام الدليل و البرهان على نفسه أنه قليل العقل ، قليل الحياء، قليل الفضل ، قليل التوفيق >> (1) .

و فضلا عن هذا فقد أعطى الدلائل على اتصال هذه الخصال السيئة ، والنقائص الذميمة بشخصية خصمه ، فقال : << أما دليله على قلة عقله ، فإن الرجل العاقل لا يفتخر بما يعلم فضلا عما لا يعلم ، و أيضا ، فإن كل نوع من العلوم ليس له آخر ، و لا يدعي الإحاطة به إلا رجل جاهل ، و قد قال هذا في هذه القصيدة : سَبَقْتُ إلى غايات كل فضيلة >> (2) ، و أضاف : << و أما دليله على قلة عقله و حيائه فيقول النبي ﷺ : إذا لم تستح فافعل ما شئت ، و كون هذا المذكور قد ادعى معرفة كل شيء من جميع العلوم بمحضر من جماعة هو يعلم أنهم يعلمون أنه لا يعلم شيئا البتة ، و هذا دليل على قلة عقله و حيائه ، و كثرة مكابرته و بهتانه >> (3) .

و استشهد الوهراني على قلة فضله فقال : << و أما دليله على قلة فضله فهو ما صدر منه في هذه القصيدة من الألفاظ اللغوية الغثة ، و القوافي القلقة ، و المعاني الباردة التي تشهد بظلم حسه ، و رداءة طبعه ونحسه في هذا الفن >> (4) ، و تساءل : << فما أدري أي شيء ظهر عنه من الفضائل حتى استحق على نفسه هذا الكلام ؟ >> (5) .

بالمقابل تظهر هذه المونيمة من خلال وصف الجاحظ لخصمه بادعاءاته الكاذبة و فهم صنوف العلم و محاولته التعالي على العلماء و انتسابه للأدب دون طائل .

وقد ظهر هذا في العديد من مواضع رسالة التربيع و التدوير ، منها قوله:<< لا ينطق عن فكر و يثق بأول خاطر ، و لا يفرق بين اعتزام الغمر و استبصار المحق >> (6) .

---

(1) ، (2) ، (3) ، (4) ، (5) منامات الوهراني ،: 222 ، 223 ، 244 .

(6) رسالة التربيع و التدوير ،: 432 .

و إلى جانب هذه الخصال الذميمة فهو << يعدّ أسماء الكتب و لا يفهم معانيها ، و يحسد العلماء من غير أن يتعلق منهم بسبب >> [1] ، و بعد كل هذه النقائص التي اجتمعت في أحمد بن عبد الوهاب فهو<< ليس في يده من جميع الآداب إلا الانتحال لاسم الأدب>> [2] .

من هذا المنطلق تتراءى أمامنا صورة أحمد بن عبد الوهاب كما رسمها الجاحظ مطابقة لما فعله الوهراني بالتاج الكندي – كما رأيناها – ، فالوهراني وصف التاج الكندي من الناحيتين الخُلُقية و العقلية ، ثم أقام الدليل على كل ما ذكر، ليرجع بعد ذلك إلى ذكر أوجه الخلل في قصيدة التاج الكندي ، واصفا ما فيها من ركاكة و فتور و حس غير مقبول ، و ما جرته له من مثالب .

إن كل هذه الصفات الذميمة و الخلال القبيحة يسري في أوصالها الهجاء المنطوي على روح السخرية من الآخر ، و هي تناقض ما ادعاه خصم الوهراني وخصم الجاحظ على حد سواء ، فالوهراني من خلال توظيفه لهذه المونيمة ، ما هو إلا مقلد لما جادت به قريحة الجاحظ في التربيع والتدوير .

– بين رسالة الوهراني إلى مجد الدين بن عبد المطلب و رسالة التربيع و التدوير للجاحظ :

إن التماثل بين رسالة الوهراني إلى مجد الدين بن عبد المطلب ، و رسالة التربيع والتدوير، لا تخرج عن موضوعة السخرية و الهزل و لا عن موتيفة الهجاء ، إلا أن الوهراني استلهم من الجاحظ الهجاء المنصب على تشويه هيئة الخصم ، و شكل جسمه فقط دون أخرى :

---

(1) ، (2) رسالة التربيع و التدوير ،: 432 .

- تشويه جسم الخصم و العبث به :

يطالعنا الوهراني في رسالته ، كيف انشق الحائط من أمامه وخرج منه<< شخص عجيب الصورة ، ليس له رأس و لا رقبة البتة ، و إنما وجهه في صدره ، و لحيته في بطنه مثل بعض الناس >> [1] ، و يقصد به هجاء القاضي الفاضل (2) الذي عاصر الوهراني ، و عُرف بفن الكتابة ، و بلوغه مبلغا لم يصله أحد آنذاك ، و يُقال أن القاضي الفاضل كان << ذميم الخلقة ، و كانت له حدبة ظاهرة خلف ظهره ، و كان يسترها بالطيلسان حتى لا تظهر للناس >> [3] .

هذا الأمر سهل للوهراني العبث بشكل جسم خصمه، فصوره تصويرا كاريكاتوريا ، إذ وقف على عيوبه الجسدية ، فضخمها ، و أعطاها بعدا مَهُولاً ليلفت النظر بها ، فلا ينفك قارئها عن الضحك حيالها ، فكونه بلا رأس و لا رقبة يوحي بالغرابة الباعثة على الضحك فضلا عن كون الوجه في الصدر ، و اللحية في البطن الذي يوحي بالقصر ، فإذا كان محل الوجه المذيل باللحية هو الصدر و البطن على التوالي من دون الرأس ، فهذا دليل على تشويه صورة الخصم كلية ، فبدا لنا غريبا عن عالم الإنس و النموذج البشري السوي مما يدل على تمكنه من الهجاء اللاذع .

بينما في رسالة الجاحظ التي يهجو فيها أحمد بن عبد الوهاب نجده يقول : << كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر و يدعي أنه مفرط الطول و كان مربعا و تحسبه لسعته

---

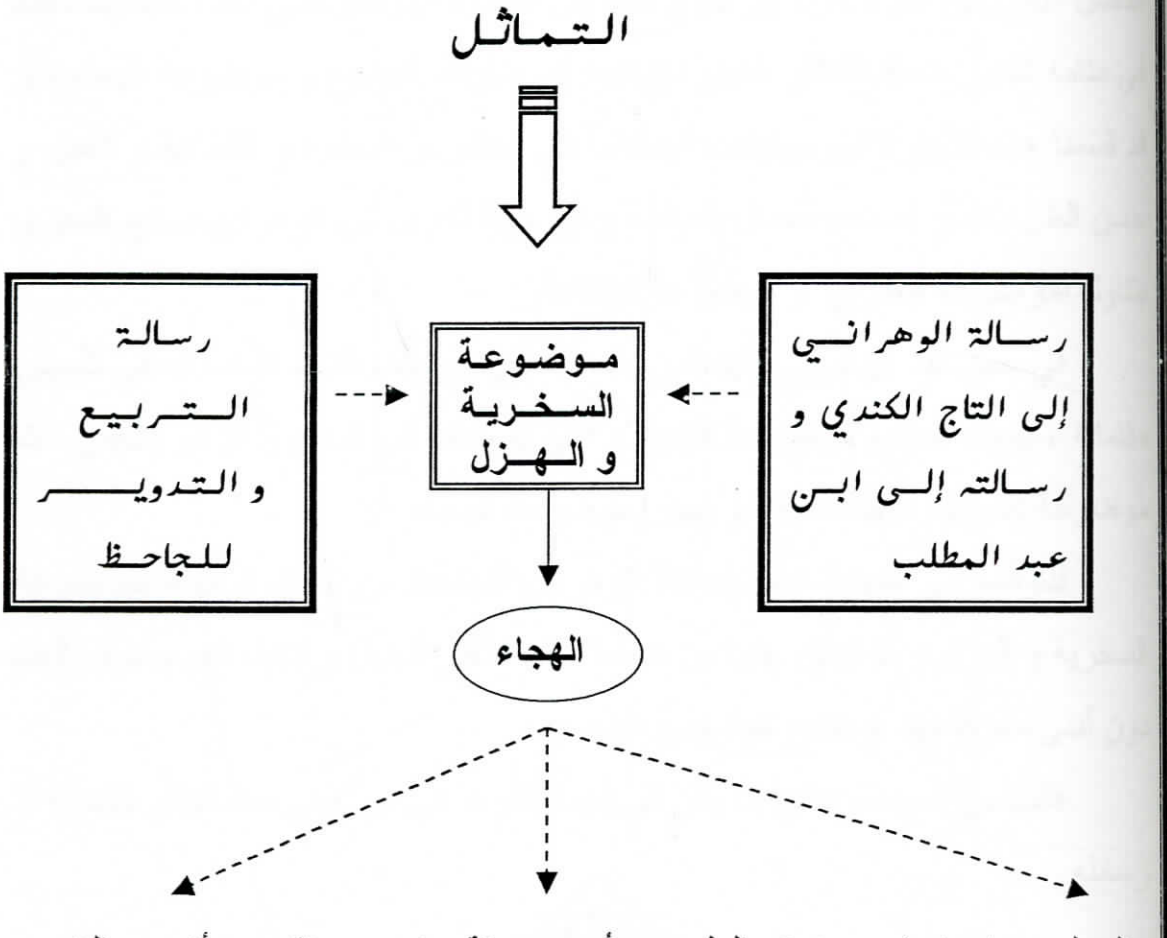
(1) منامات الوهراني ،: 153 .

(2) هو عبد الرحيم البيساني ، ولد في عسقلان ، حضر إلى مصر في عهد الحافظ (544/524 هـ) و تتلمذ على يد أشهر الكتاب ، كان كاتبا في ديوان الإنشاء ، حتى وفد أسد الدين شيركوه ، فقربه منه و اتخذه كاتبه ، إلى أن اتخذه صلاح الدين الأيوبي وزيرا و مُشيرا و كاتبا ينظر : شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه في الأدب العربي ،: 368 / 375 .

(3) شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه في النثر العربي ،: 1 / 75 .

جفرة ، و استفاضة خاصرته مدورا ، و كان جعد الأطراف قصير الأصابع ، و هو في ذلك يدعي السباطة و الرشاقة ، و إنه عتيق الوجه ، أخمص البطن ، وكان طويل الظهر ، قصير عظم الفخذ >> [1] .

و من ثم فلقد ألفينا موضوعة الهجاء مشتركة بين أعمال الوهراني و الهمذاني معا ، و بالتالي فالمتأخر حاكى المتقدم ، و الوهراني ما كان إلا مقلدا لما جاء به الجاحظ ، و نوضح هذا التماثل التيمي بالخطاطة التالية :



---

(1) رسالة التربيع و التدوير ،: 431 .

و أخيرا ، و كخلاصة يمكن أن نخرج بها من هذا الفصل ، نقول أنه تبدى لنا جليا مدى تأثر الوهراني بالموضوعات الدينية و الموضوعات التي سبق إليها المعري و الهمذاني و الجاحظ على حد سواء ، من خلال التماثل الصريح الذي نمذجنا له بمقاطع مختلفة من منامات الوهراني و مقاماته و رسائله و من الأعمال الأدبية التي حاكاها موضوعاتيا .

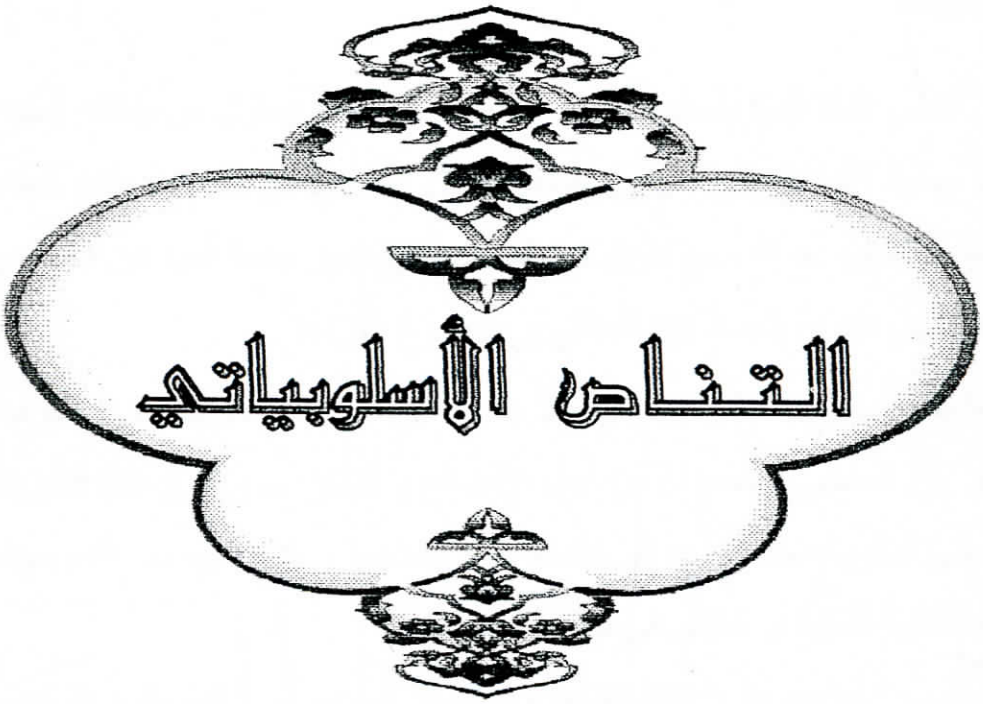
و خلصنا أيضا إلى أن الوهراني لم يقلد الهياكل الفنية فقط – و التي تتبعناها في الفصل الأول من الدراسة – بل تعدى ذلك إلى الجانب الموضوعاتي أيضا ، بحيث نجده في منامه الكبير محاكيا للأثر الديني بتوظيفه لموضوعة العروج و موضوعة البعث ، و قد قسمنا هذه الأخيرة إلى موتيفات أجملناها في الحشر و المغفرة و الشفاعة و العدل و حسن الظن بالله و إحصاء أعمال العباد ، و من جهة أخرى أتى الوهراني صنيع المعري بتناوله لموضوعة الغفران و موضوعة الشفاعة .

في حين قلد الوهراني الهمذاني باتخاذه لموضوعات ثلاث أساسا له في تأسيس مقاماته ، بحيث استلهم موضوعة الكدية و التي قسمناها إلى المدح و الزهو بالنفس ، ثم موضوعة نقد القيم الاجتماعية ، و أخيرا موضوعة الهجاء .

لنتوقف في النهاية عند محاكاة الوهراني للجاحظ من خلال توظيفه لموضوعة السخرية و الهزل و ما انبثق عنها من هجاء ، مُجَسِّداً في الجهل و ادعاء فهم صنوف العلم دون أدنى معرفة بها و تقبيح هيأة جسم الخصم .

فالتناص الموضوعاتي إذا بائن في أعمال الوهراني سواء في مناماته أو مقاماته أو رسائله .

الفصل الثالث



- تمهيد في الأسلوب

أولا – في المقامات

ثانيا – في المقامات

ثالثا – في الرسائل

تمهيد : في مفهوم الأسلوب :

يعتبر النص فعلا أدبيا يشمل مختلف المعارف الإنسانية يحاول من خلاله المبدع أن يحقق << عملية الإبلاغ التي يتم من خلالها تبادل المفاهيم من متحدث ينتج خطابا موجها إلى متحدث إليه >> [1] ، مع فارق في السمات التي تميز جنسا أدبيا عن آخر ، و بالتالي ينتج تواصل فكري يتجسد بين المتلقي و موضوع القراءة .

فبعدما يختار الأديب فنا أدبيا بعينه لا بد له من أن ينتقي طريقته في ممارسة الكتابة للتعبير عن المعاني المقصودة من أجل الإيضاح و التأثير << و تبرز هذه الطريقة في اعتماده على أسلوب محدد و عوالم خاصة يقوم بإنتاجها و يتميز بها >> [2] ، سواء أعاد التجربة الكتابية نفسها أو خاض في تجربة أخرى .

و الأسلوب " le style " لغة كما جاء في لسان العرب هو (الطريق و الوجه و المذهب) (3) ، و قد يتسع مفهوم الأسلوب لـ << يشمل مناحي الحياة المختلفة ، كطريقة اللباس و الهندام و الأكل و المعاش و المسكن و ترتيب أثاث البيت و هلم جرا >> [4] .

و من ثم << دخل استخدام مصطلح الأسلوب في الدراسات البلاغية و النقدية بوصفه نظاما و قواعد عامة >> [5] ، و أصبحت الأسلوبية " stylistique " تسعى إلى << تجاوز حدود الجملة إلى تحليل مجموع الخطاب الأدبي تحليلا موضوعيا يركز على

---

(1) بشير أبرير ، السيمياء و تبليغ النص الأدبي ، مجلة : السيميائية و النص الأدبي ،: 10 .

(2) سعيد يقطين ، إنفتاح النص الروائي ،: 123 .

(3) ينظر : ابن منظور ، لسان العرب : مادة (سلب) .

(4) مختار حبار ، شعر أبي مدين التلمساني ،: 117 .

(5) أحمد درويش ، الأسلوب و الأسلوبية ، مجلة : فصول ،: 60 .

وصف الظواهر النصية أي الوقائع الأسلوبية و كيفية تشكيلها ثم تأويلها بما يتلائم و طبيعة النص >> [1] .

و هكذا كثر تردد مصطلح الأسلوب في مختلف الدراسات الأدبية و اللغوية الحديثة << و على نحو خاص في علوم النقد الأدبي و البلاغة و علم اللغة >> [2] على أن حصر الظاهرة الأسلوبية بشكل دقيق بات صعبا نظرا لتعدد الدراسات الأسلوبية و تنوعها ، فلقد أصبح من المتعذر رصدها جميعا .

رغم ذلك يمكن محاولة حصرها في (محاور ثلاثة : منها ما ذهبت إلى تحديد مفهوم الأسلوبية من منطلق الباث و أخرى حاولت تقنينها و حصرها من جهة المتلقي le récepteur و ثالثة حاولت إعطاءها مفهوم الحياد بوصفها كيانا مغلقا و ذلك بتحديدها من جهة الرسالة le message) (3) .

فأما الدراسات التي جعلت (الباث و المرسل منطلقا لها ، فهي التي اعتمدت غالبيتها على فكرة الباحث الفرنسي بيفون Buffon (1788 م –)) (4) ، و المختصرة في قوله : << Le style est l'homme même أي الأسلوب هو الإنسان نفسه >> [5] ، و قد عمد بيفون إلى الربط بين << الرؤية و التعبير و جعل من طريقة التعبير مرآة عاكسة لطريقة التفكير و مبرزة للشخصية الفردية >> [6] .

في حين أعطت دراسات أخرى الأولوية (للمرسل إليه أو المتلقي و في هذا الإطار يعتبر ريفاتير Riffatere أحد منظري هذا التيار بمجموعة من المقالات استمد

---

(1) نور الدين السد ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ،: 35 .

(2) أحمد درويش ، الأسلوب و الأسلوبية ، مجلة فصول ،: 60 .

(3) ينظر : عبد السلام المسدي ، الأسلوب و الأسلوبية ،: 57 – 79 ، 88 .

(4) مختار حبار ، شعر أبي مدين التلمساني ،: 117 .

(5) دولا كروا Delacroix الأسلوبية ، ترجمة وائل بركات ،: 66 .

(6) مختار حبار ، شعر أبي مدين التلمساني ،: 117 – 118 .

فيها أفكاره من نظرية التواصل) (1) و التي أقر من خلالها بأن الأسلوب هو << الوسيلة التي يُراقِب من خلالها مُنتج رسالةٍ إنشاءها ، مع إنعاش يقظة المتلقي بوساطة تأثيرات غير متوقعة >> (2) ، و ريفاتير في طرحه هذا يستحضر<< مفهوم القارئ ليشكل مع الأسلوبية ثنائية (المنبه و الاستجابة) في علاقة تفاعلية بينهما >> (3) ، باعتبار الاستجابة المقصودة تكون من طرف المتلقي الذي لا يمكن الاستغناء عن حضوره ، كون عملية التلقي تكتسب أهميتها من << التلازم القائم بين الكتابة الإبداعية و القراءة النقدية >> (4) .

و نأتي إلى مذهب آخر يعنى بتحديد مفهوم الأسلوبية و الذي (يضبطه من جهة خط الرسالة ، فهو يولي الاهتمام الكبير بالرسالة دون أدنى اهتمام بمنابعها باعتبارها كيانا مستقلا في ذاته) (5) .

و لن نتجاوز هذه النقطة دون أن نشير إلى أن مفهوم الأسلوب من هذا المنطلق ، يتقاطع مع تراث العربية البلاغي في إطار أسلوبية الانزياح أو ما يسمى بالعدول و ذلك في << ذهابهما إلى ما يميز النص الأدبي عن غيره من النصوص لا يرجع إلى قائله و لا إلى متلقيه و لا حتى إلى مضمونه أو معانيه بل يرجع إلى ما فيه من عدول و انزياح عن المعيار>> (6) .

و مهما كان من اختلاف للآراء ، تبقى الدراسات الأسلوبية من المجالات الخصبة للدراسة من خلال الكشف عن الخصائص الأسلوبية للنص ، إذ يهتم علم الأسلوب بالناحية الشكلية للنص بمراعاة << طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي سيسلكها الأديب لتصوير ما

---

(1) مختار حبار ، شعر أبي مدين التلمساني ،: 129 .

(2) دولا كروا Delacroix ، الأسلوبية ، ترجمة وائل بركات ،: 74 .

(3) مختار حبار ، شعر أبي مدين التلمساني ،: 129 .

(4) بلواهم محمد ، علم العلامات و النص الأدبي (سلطة القاريء) ، مجلة : السيميائية و النص الأدبي ،: 74 .

(5) ، (6) مختار حبار ، شعر أبي مدين التلمساني ،: 133 .

في نفسه أو لنقله إلى سواه >> [1] ، كما << يبرز خلال عملية التلقي >> [2] .

بعد عرضنا الموجز لهذه الاتجاهات النقدية الأسلوبية ، و بعد تمعن في نصوص الوهراني ، نجد أن الاتجاه الأسلوبي الذي يناسب درسنا هو اتجاه " العدول و الانزياح " نظرا لكون النصوص المدروسة بالدرجة الأولى نصوص بلاغية تمتاز بالصياغة و التدبيج ، فلا الباث و لا المتلقي يمكن أن يكونا منطلقا لدراستنا الأسلوبية في هذا الجزء من البحث ، و ستظهر مطابقة المنهج الذي اخترناه وفق نصوص الوهراني أثناء ممارستنا التطبيقية عبر صفحات هذا الفصل .

و من جهة أخرى فإن محاكاة اللاحق للسابق و تقليده لا تقتصر على ما مر بنا من قواسم مشتركة – معمارية و موضوعاتية – بل يتجلى << حضور النص الغائب في النص اللاحق (...) حتى في الصور البلاغية (...) و قد يتعدى إعجاب اللاحق بالسابق المحاكاة ، إلى الرغبة في التجاوز و إظهار التفوق على السابق >> [3] .

و على هذا الأساس ، فإننا سنركز على الأساليب التناصية المهيمنة – فقط – و التي أطّرت كل فن أدبي من مجموع الفنون الثلاثة التي طرقها الوهراني و هي المنام و المقامات و الرسائل ، فكان الأسلوب القصصي هو أول ما شد انتباهنا أثناء رصد التناص الأسلوبياتي بين المنام الكبير و رسالة الغفران ، بينما ألفينا أسلوب الاستشهاد و الاقتباس و التضمين و التلميح و أسلوب الاحتفال بالبديع هما ما ميّزا مقامات الوهراني مقارنة بمقامات الهمذاني ، في حين وجدنا الأسلوب الساخر الهزلي المفرط (المبالغ فيه) هو السمة الأسلوبية البارزة بين رسائل الوهراني و رسالة التربيع و التدوير للجاحظ .

و نشير إلى أننا اتبعنا نظام التمثيل لا الحصر ، و فرقنا بين المنامات و المقامات و الرسائل ليكون العمل أكثر وضوحا و أكثر دقة ، متبعين منهجية البحث ، فكانت كالتالي :

---

(1) أحمد الشايب ، الأسلوب ،: 44 .

(2) صلاح فضل ، علم الأسلوب و صلته بعلم اللغة ، مجلة : فصول ،: 47 .

(3) محمد عزام ، النص الغائب ، ينظر الموقع التالي على النات : www. a w u - dam.org

أولا : في المناصات :

إن المبدع من خلال محاولته لإنتاج خطاب موجه للآخر ينتبه إلى خصائص النص الأدبي ، و ما يميز جنسا أدبيا عن آخر ، و يعد السرد أهم ما يشكل هذا النص الأدبي مهما كان ، ولعله هو نفسه الأسلوب المهيمن على منام الوهراني الكبير و الذي استلهمه من السرد القصصي الذي تميزت به رسالة الغفران للمعري .

و السرد << من الناحية الأدبية لا يتشكل في نوع أدبي معين ، فالملحمة قص و المقامة قص ، و القصة القصيرة قص و الرواية قص كذلك >> (2) ، و يتشكل << ضمن أنواع نصية و ضمن أنواع أدبية >> (3) ، باعتبار السرد هو << الكيفية التي تروى بها القصة ، و ما تخضع له من مؤثرات ، بعضها متعلق بالراوي و المروي له ، و البعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها >> (4) ، وكثيرا ما تكون الغاية من وراء تحليل الخطاب السردي هي << تحديد المميزات اللسانية و السيميائية و ذلك بدراسة وحداته الخارجية المشكلة >> (5) لهذا الخطاب .

و سنتناول في هذا الجزء مختلف تقنيات السرد التي تأثر بها الوهراني و حاكاها انطلاقا من غفران المعري بحيث نبدأ من الشخوص مركزين على الشخصية المحورية أو شخصية البطل ثم الشخوص المتفاعلة ، و بعدها نتعرض إلى بنية الحدث وصولا إلى دلالات الزمان و المكان ، لنتحدث فيما بعد عن الحوار فالمواقف و أخيرا النهاية ، و كل

---

(1) جمال كديك ، السيميائيات السردية بين ا لنمط السردي و ا لنوع الأدبي ، مجلة السيميائية و النص الأدبي ،: 278 .

(2) م . س ،: 289 .

(3) حميد الحميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ،: 45 .

(4) نور الدين السد ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ،: 155 .

هذه العناصر القصصية متواجدة في عمل المعري و الهمذاني معا ، نظرا لكون << الأجناس الأدبية يتميز بعضها عن بعض ، في طبيعة بنيتها و مكوناتها الأساسية >> [1] .

1 – التناص القصصي في المنام :

تحت هذا العنوان سنبرز أهم العناصر القصصية المتناصة التي شكلت أسلوب القص في المنام الكبير للوهراني و التي حاكى فيها المعري من خلال :

أ – الشخوص :

إن تشكل النص السردي مهما كان توجهه مرتبط بالشخصية ، فوظيفة الحدث لا تؤتى به وحده ، << و إنما بإيجاد العلاقة بينه و بين الشخصية التي يسند إليها الحدث >> [2] ، بل تتعدى ذلك إلى جميع العناصر المجسدة للفعل الأدبي فـ<< المكان هو مكان الشخصية و الزمن هو زمن الشخصية ، و كل فضاء النص هو فضاء الشخصية >> [3] .

فالشخوص << هم الذين تدور حولهم الأحداث ، و هم الذين يقومون بها >> [4] ، و ليس من السهل على الناقد إدراكها ، فهي تمثل أمامه << جهازا ضخما من الأفكار والعواطف و الهواجس و اللّواعج و التطلعات و المطامح و القابلية العجيبة للصيرورة في أي مسار غير منتظر و لا مألوف >> [5] .

أما و نحن ندرس جانب التأثير و التأثر ، فسينحصر الأمر – فقط – في ما تشابه بين

---

(1) مختار حبار ، شعر أبي مدين التلمساني ،: 165 .

(2) عبد الحميد بورايو ، منطق السرد ،: 62 .

(3) سعيدي محمد ، حركية الشخصية في الرواية الجديدة ، مجلة : تجليا ت الحداثة ،: 151 .

(4) محمد زغلول سلام ، النقد الأدبي الحديث ،: 113 .

(5) عبد الملك مرتاض ، تحليل الخطاب السردي ،: 11 .

الشخصيات التي وظفها الوهراني في منامه من جهة ، و الشخصيات التي وظفها المعري في غفرانه من جهة أخرى و كانت على النحو التالي :

- الشخصية المحورية / البطل: (الوهراني / المعري) ، (العليمي / ابن القارح)

لا بد لكل نص سردي من شخصية محورية رئيسة أو بطل يُبنى عليه الحدث ، فالبطل هو << الشخصية التي يستند النص إلى تجربتها في تقديم الوقائع >> (1) .

و يبرز هذا التنظير على مستوى المنام و الغفران معا ، فتصوُر كل من الوهراني و المعري لعمليهما الأدبيين لم يأت صدفة و لم يأت دون شخوص رئيسة عملت على بدء السرد و الحكي ، فالوهراني أعنت نفسه في تقليب مضمون الرسالة في ذهنه حائرا في فحواها مستغربا من موقف صاحبه منه ، حتى أغفى و نام و من ثم تصور أن القيامة قد قامت و أنه بُعث إلى يوم الدين .

الأمر الذي نلمسه عند المعري الذي أعمل خياله بجعل رسالة ابن القارح سببا في تصوره لصاحبه و قد غـُفر له ، ثم تطور هذا الأمر لتنتج عنه رحلة خيالية كاملة .

فابتداء من هذه النقطة المشتركة أخذت الأحداث في التطور و بدأت الشخوص تتراءى أمام القارئ ، أي انطلاقا من شخصية المعري في الغفران و الوهراني في المنام ، و بالتالي فشخصية الوهراني هي عماد المنام الكبير مثلما شخصية المعري هي أساس الغفران الإلهي .

أما حينما ندخل في تفاصيل الرحلة المتخيلة سواء في المنام أو في الغفران ، نجد كلا من الأديبين قد استعان بشخصية رئيسة أعطى لها الدور الأكبر طيلة فترة الحكي ، و الملاحظة المنهجية التي لا بد منها هي أن الوهراني قد تأثر بالمعري في هذه النقطة من السرد أيضا .

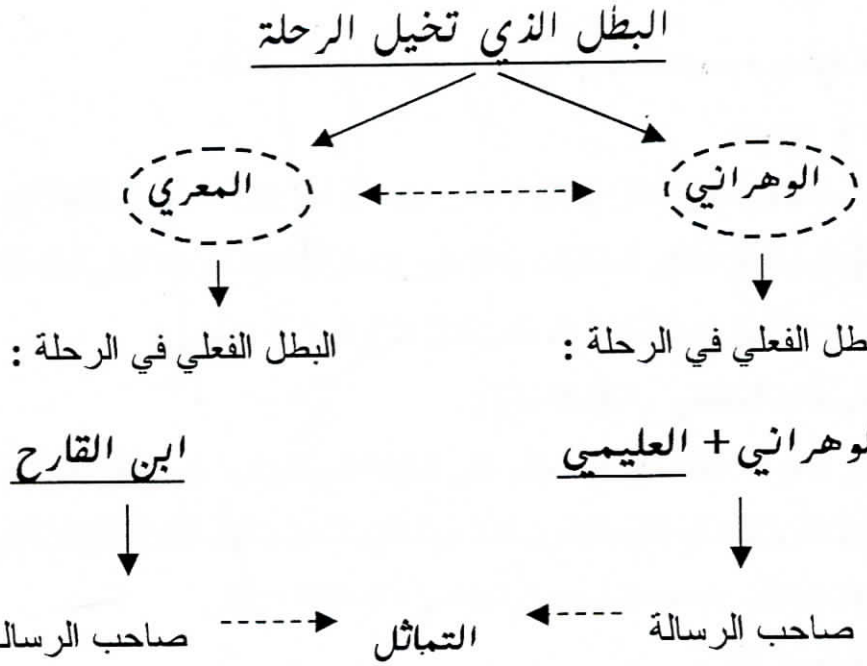
---

(1) لؤي حمزة عباس ، سرد الأمثال ، ينظر الموقع التالي على النات :

www. a w u - dam.org

فأما الوهراني فقد تصور نفسه بطلا هو و الحافظ العليمي (1) ، فشهدا معا مواقف من أهوال القيامة ، و تحادثا مع شخصيات كثيرة طيلة مدة الحكي ، و وقفا على العديد من الأحداث ، و العليمي هو أيضا صاحب الرسالة التي تلقاها الوهراني ، و التي كانت سببا في رحلته المتخيلة .

بالمقابل جعل المعري من ابن القارح (2) ، أهم شخصية في غفرانه ، فهو الذي زار جنة الغفران و التقى بندماء الفردوس من شعراء و أدباء و علماء ، و حضر المجالس الأدبية ، و هو الذي روى قصة حشره و ما كان من شفاعة أهل البيت له ليراح من هول الموقف و أشجانه ، و هو نفسه الذي جعله المعري يطأ جحيم الغفران ، و يلقى إبليسا و شعراء النار و يناقشهم في بعض المسائل اللغوية و القضايا الأدبية ، ثم جعله المعري يعود إلى الجنة و يُـقبِل على جنة الفردوس ، و أخيرا ابن القارح هو صاحب الرسالة التي من أجلها ألّـف المعري غفرانه ، و نلخص هذه النقطة في الرسم التوضيحي التالي :



---

(1) ، (2) سبقت الترجمة لهذه الشخصية .

- الشخصيات الثانوية :

إلى جانب الشخصية المحورية يحاول المبدع أن يجتلب شخوصا أخرى مساعدة<< لا يميزها حضور خاص و لا يعتني النص بصفاتها >> [1] ، فكان ما وجدناه مشتركا بين الوهراني و المعري هو توظيفهما لشخوص من عالم الملائكة (2) ، إذ شكلت شخصيات ثانوية في منام الوهراني و غفران المعري .

فأما الوهراني فوظف الملائكة في منامه الكبير ، فبعد ما تصور الوهراني كأن القيامة قد قامت و خرج من قبره إلى أرض المحشر ، هناك التقى بمالك خازن النار (3) ، و قد ظهر ذلك في قوله : << و إذا نحن بمالك خازن النار قد هجم علينا و قبض على أيدينا ، و رمى السلسلة في رقابنا ، و سحبنا إلى النار ، فارتعنا لذلك ارتياعا عظيما >> [4]

بالمقابل اختار المعري شخصية رضوان خازن الجنة (5) ، إذ يطالعنا أبو العلاء

---

(1) لؤي حمزة عباس ، سرد الأمثال ، ينظر الموقع التالي على النات :

www. a w u - dam.org

(2) الملائكة حسب ما ورد في الذكر الحكيم (جنس من خلق الله ﷻ ذات أجسام لطيفة نورانية) و فيهم يقول ﷻ : ﴿ الْحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَ ثُلاثَ وَ رُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فاطر : 1 .

ينظر : محمد كامل حسن المحامي ، الملائكة ،: 11 .

(3) (خازن النار يقال له مالك ، و هو المقدم على الخزنة الموكلين بها تبعا لقوله ﷻ : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ الزخرف : 77 / 78) ينظر : محمد كامل حسن المحامي ، الملائكة ،: 31 .

(4) منامات الوهراني ،: 28 .

(5) (لقد ائتمن الله ﷻ خازنا على الجنة و قد سمى كبير هذه الخزنة رضوان و هو اسم مشتق من الرضا) ينظر : ابن قيم الجوزية ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ،: 87 .

على لسان ابن القارح أنه لما انتفض من قبره أقام في الموقف زهاء شهرين لقي المَلك رضوان خازن الجنة ، فانصرف إليه آملا أن يريحه من هَوْل الموقف بنظمه قصائد في هذا المَلك الكريم إذ نجده يقول : << زينت لي النفس الكاذبة أن أنظم أبياتا في رضوان خازن الجنان (...) ثم ضانكت الناس حتى وقفت منه بحيث يسمع و يرى ، فما حفل بي ، و لا أضنه أبه لما أقول (...) ثم دنوت منه ، ففعلت كفعل الأول ، فكأني أحرك ثبيرا و ألتمس من الغضرم (1) عبيرا >> [2] ، و هذا ممّا يدل على التماثل في اختيار الشخوص الثانوية بين الوهراني و المعري.

ب – الحدث :

إن النص مهما كان توجهه ، فإن مؤلفه يعتمد على الحدث باعتباره المادة الخام التي تشكل نقطة البداية في خلق عمله الأدبي ، و الذي يكون مجسدا في فكرة أساسية ، تلخص اتجاها أو تنم عن هدف ، يظهر للمتلقي عن طريق القص الذي يوسم بأنه << عملية أداء و رواية >> [3] للحدث نفسه ، الذي يلخص في كونه << اقتران الفعل بالزمن ، و هو عنصر الحركة و التشويق >> [4] ، فيتشكل حينئذ المسار الحكائي للفعل الأدبي .

و لا تخرج نصوص الوهراني عن هذا الإطار ، إذ جسدت عمله الأدبي مجموعة من الأحداث ، و سنرصد ما تناصت منها مع غفران المعري الذي حاكاه الوهراني ، و تمثل في الحدث الاستهلالي – نقطة البداية – ، الحدث التوهمي و الحدث الديني – من الغفران – :

---

(1) ما تشقق من ملاع الطين الأحمر و الجص .

(2) رسالة الغفران ،: 249 .

(3) روبرت شولز ، السيمياء و التأويل ،: 07 .

(4) محمد زغلول سلام ، النقد الأدبي الحديث ،: 111 .

- الحدث الاستهلالي – نقطة البداية – :

لقد قام الوهراني بالإفصاح عن تلقيه رسالة من صاحبه العليمي إذ يقول : << وصل كتاب مولاي الشيخ الإمام الحافظ الفاضل الخطيب المصقع الأمين (...) >> [1] ، ثم وصف الكتاب بقوله : << فلما فضّ ختامه وحط لثامه ، أبصر خطا أجمل من رياض الميطور(2) ، ولفظا أرق من نسيم الروض الممطور>> [3] .

بالمقابل ، فقد أفصح المعري عن تلقيه رسالة من صاحبه ابن القارح و عن ذلك يقول :<< وقد وصلت الرسالة >> [4] ، ثم وصف الرسالة مثلما فعل الوهراني إذ نلفيه يقول مباشرة بعد الإشارة إلى ورودها : << ... التي بحرها بالحكم مسجور ، ومن قرأها مأجور ، إذ كانت تأمر بتقبل الشرع وتعيب من ترك أصلا إلى فرع >> [5] .

إذا يعتبر هذا الحدث بداية مشتركة لتعدد الأحداث و تنوعها سواء في المنام الكبير أو بالنسبة لرسالة الغفران .

- الحدث التوهمي :

لقد بدأ الوهراني قصة الحشر بعد نهوضه من قبره : << فخرجت من قبري أيمّم الداعي إلى أن بلغت أرض المحشر >> [6] .

بالمقابل بدأ المعري يروي قصة الحشر على لسان ابن القارح بعد نهوضه من قبره

---

(1) منامات الوهراني ،: 17 .

(2) قرية من قرى دمشق ، م ، س ،: 17 .

(3) م . س ،: 17 .

(4) رسالة الغفران ،: 21 / 70 .

(5) م . س ،: 21 / 70 .

(6) منامات الوهراني ،: 23 .

قائلا : << أنا أقص عليك قصتي : نهضت من الرَيْم (1)، و حضرت حرصات (2) القيامة >> [3] .

و بالتالي تعد هذه البداية شبيهة بالبداية التي ألفيناها في المنام الكبير ، أي أن الوهراني تأثر تأثرا واضحا بأبي العلاء في هذا الإطار .

- الحدث الديني المشترك :

لقد وضح لنا الوهراني الحالة السيئة التي آل إليها بعد بلوغه أرض المحشر : << ... إلى أن بلغت أرض المحشر ، و قد ألجمني العرق و أخذ مني التعب و الفرق (...) و أنا رجل ضعيف النفس خوار الطباع >> [4]، مما يدل على أن المعري و الوهراني من بعده حاولا تصوير الموقف المهول (5) والعبد واقف في دهشة لما يجري عليه من سعادة بنيل الجنة أو شقاوة بالخلود في نار جهنم .

بالمقابل بين لنا المعري الحالة السيئة التي آل إليها ابن القارح بعد بلوغه أرض المحشر بقوله على لسان بطل رحلته ابن القارح : << ... فطال علي الأمد ، و اشتد الظمأ و الومد – شدة الحر (6) – و سكون الريح و أنا رجل مهياف أي سريع العطش >> [7] .

من جهة أخرى ، ذكر الوهراني إقبال الرسول ﷺ في أصحابه و أهل بيته و الناس

---

(1) القبر .

(2) كل بقعة ليس فيها بناء .

(3) رسالة الغفران ، 248 .

(4) منامات الوهراني ،: 23 / 24 .

(5) الشرح المفصل للحشر ورد في فصل : التناص الموضوعاتي ،: 89 / 91 .

(6) ورد الشرح هكذا في المتن .

(7) رسالة الغفران ،: 238 / 239 .

من حوله << يضجون بالبكاء و يشيرون إليه بالأيدي ، و يستغيثون عليه من كل مكان >> [1]

بالمقابل ، واصل ابن القارح روايته لقصة حشره ، و حكى كيف رأى العباد يستنجدون برسول الله ﷺ و طمعهم في شفاعته ﷺ (2) يحذوهم ، و يتضح لنا ذلك من خلال وصفه قائلا : << ... و الناس يهتفون به من كل أوب : يا محمد ، يا محمد ، الشفاعة الشفاعة ! نَمُتّ بكذا و نَمُتّ بكذا ، فصرخت في أيدي الزبانية : يا محمد أغثني فإن لي بك حرمة ! >> [3] .

- الحدث البيّنة :

في المنام الكبير للوهراني طلب أمير المؤمنين البينة و الدليل على ولاء الوهراني و صاحبه له ، و إن كانت لهما ثقة تشهد ببراءتهما ، فاستجار الوهراني بالشريف بن العباس النقيب قاضي قضاة مصر في أيام الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، كي يثبت حسن نيتهما و ولائهما له ، و حينما نودي على القاضي ليتبينوا صحة كلام الوهراني و صحبه ، لم يُجب أحد من الحضور ، فوقع العليمي صاحب الوهراني على الأرض مغشيا عليه .

بالمقابل حاول ابن القارح دخول الجنة ، لكنه اعتُرض في طريقه إليها و طلب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب البينة منه و الدليل على صحة توبته في الدار الفانية ، بعدما سقط منه الكتاب الذي ذكرت فيه التوبة ، فاستجار ابن القارح و هو في الموقف بعبد المنعم بن عبد الكريم قاضي حلب في زمان شبل الدولة ، كان قد عرفه في دار الدنيا

---

(1) منامات الوهراني ،: 48 .

(2) الشرح المفصل للشفاعة ورد في فصل : التناص الموضوعاتي ،: 93 / 94 .

(3) رسالة الغفران ،: 137 .

فنودي عليه فلم يجب أحد ، فصرع ابن القارح و سقط على الأرض .

لتتعدد المواقف فيما بعد و تختلف و لكننا وقفنا على أهم الأحداث التي تناص معها الوهراني بشكل واضح و التي تمثلت خصوصا في أحداث الرواية التي طالعنا بها ابن القارح بعدما بُعث إلى يوم الدين و خرج من قبره ليُيَمّم أرض المحشر .

ج – الحيز المكاني :

يعتبر الحيز المكاني عنصرا رئيسا يلتحم مع مكونات الفعل الأدبي ، فالحدث << لا ينتظم خارج حدود فضاء معين مهما اختلفت نوعيةُ هذا الفضاء أو تباينت المساحة التي يشغلها >> [1] .

و قد << يحيل على موقع جغرافي بعينه من الأرض ، كأن يكون بلدا أو مدينة أو قرية أو حيا أو شارعا أو بناية أو جبلا أو حقلا ... >> [2] ، و قد يكون أيضا << مفهوما مكانيا دون أن يكونه على الحقيقة بالمفهوم الجغرافي الصميم >> [3] .

من هذا المنطلق حصرنا الأمكنة المتناصة في منام الوهراني مع رسالة الغفران في : أرض المحشر و الحوض النبوي و الجنة و المطّلع – جبل الأعراف – و قد كانت كالآتي :

- أرض المحشر :

لقد دارت أحداث المنام الكبير كله على أرض المحشر و ها هو الوهراني يستهل منامه الكبير بذكره للحيز المكاني الذي سيشهد أحداث منامه بقوله بعدما نهض من قبره :

---

(1) لؤي حمزة عباس ، سرد الأمثال ، ينظر الموقع التالي على النات :

www. a w u - dam.org

(2) ، (3) عبد الملك مرتاض ،: الأدب الجزائري القديم ،: 166 .

<< خرجت من قبري أيَمّمُ الداعي إلى أن وصلت أرض المحشر >> [1] .

بالمقابل ، فقد صور لنا المعري ابن القارح و قد بُعث من قبره بقوله : << لما نهضت أنتفض من الرّيم و حضرت عرصات القيامة >> [2] ، أي أنه وطأ أرض المحشر (3) ، كما نلفي رواية ابن القارح لقصة حشره كانت انطلاقا من أرض المحشر ، و قد صرح المعري بذلك و بنفس التسمية في قوله على لسان ابن القارح : << و كنت قد رأيت في المحشر شيخا لنا كان يدرس النحو في الدار العاجلة >> [4] ، و هذا كله يؤكد مدى تأثر الوهراني بالمعري حتى في اختيار مسرح أحداثه .

- الحوض النبوي :

هناك مكان يسترعي الاهتمام وظفه الوهراني في منامه الكبير ، وجعله محور أحداث كثيرة ، إنه الحوض النبوي الشريف ، و قد سبقه إلى ذلك المعري في غفرانه ، فقد قال الوهراني عن الحوض ، طامعا في الشرب من مائه : << (...) قد تعبنا يا فلان من المحاورة والوقوف واشتد بنا العطش والظمأ هل لك أن تأتي الحوض فنمت عنده بالعلم والقرآن لعلهم يسقونا شربة لا نظمأ بعدها أبدا >> [5] ، وبعد جُهد جهيد ، و بعد مواقف عديدة (6) ، تمكن الوهراني من الارتواء من ماء هذا الحوض ، حتى أن الوهراني لما

---

(1) منامات الوهراني ،: 23 .

(2) رسالة الغفران ،: 248 .

(3) عن أرض المحشر يقول الرسول ﷺ : << يُحْشرُ الناسُ يَوْمَ القِيَامَة عَلى أرْض بَيْضاءَ عَفْرَاء (بيضاء إلى حمرة غير ناصعة البياض) كَقَرْصَة النقي (قرص الدقيق النقي من الغش و النخال) لَيْسَ فِيهَا عَلم لأحد >> ينظر : عبد الملك علي الكليب ، أهوال القيامة ،: 41 .

(4) رسالة الغفران ،: 254.

(5) منامات الوهراني ، : 42 .

(6) دامت في المنام الكبير ما قدره - 15 - صفحة ، م . س ،: 42 / 58 .

استيقظ من نومه قال:<< (...) فانتهيت من نومي خائفا مذعورا ولذة ذلك الماء في فمي (...) >> [1] .

و يقابله قول المعري على لسان ابن القارح : << هممت بالحوض فكدت لا أصل إليه ثم نغبت منه نغبات لا ظمأ بعدها >> [2] .

على أن نشير أن الحوض النبوي (مَكْرَمة كبيرة خص الله بها خاتم النبيين محمد ﷺ ، اشتملت بعض الأخبار من الكتاب و السنة على وصفه) (3).

- الجنة :

لقد جعل الوهراني العالم الآخر مسرحا تدور فيه أحداث منامه ، فنجده يذكر الجنة و يصفها مثلما وصفها المعري قبله ، رغم اختلاف زاوية الرؤية التي تميز الواحد عن الآخر .

---

(1) رسالة الغفران ،: 257 .

(2) م . س ،: 60 .

(3) نهر في الجنة تَرد عليه أمة رسولنا الكريم ﷺ يدعى " الكوثر " ، وهو المذكور في سورة الكوثر في قوله ﷻ : << إنَّا أعْطيْنَاكَ الكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ انْحَرْ ② إنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبْتَرْ >> ، وفي صفة هذا النهر – الحوض – قال أنس : << أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه متبسما ، فقال له : يا رسول الله لم ضحكت ؟ فقال : << آيَة أنْزِلَت عَليّ آنِفا >> وقرأ : << بسْم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم إنَّا أعْطيْنَاكَ الكوْثَرَ >> حتى ختمها ثم قال : << هلْ تَدْرُونَ مَا الكَوْثر ؟ >> قالوا الله ورسوله أعلم ؟ قال : << إنَّهُ نَهْرٌ وَعَدنيه رَبّي عزَ وَ جلّ في الجَنّة عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ عَلَيْهِ حَوْضٌ تَرِدُ إلَيْهِ أمّتي يَوْمَ القِيَامَةِ ، آنِيَتَه عَدَدَ نُجُوم السّمَاء >> >> ينظر : البخاري ، صحيح البخاري ،: ج 19 / 463 .

وقال رسول الله ﷺ عنه أيضا : << الكَوْثرُ نَهْرٌ في الجَنّة حَافَتَاهُ مِنْ ذهَب وَ مَجْرَاهُ عَلَى الدُر وَ اليَاقُوتِ ، تُرْبَته أطْيَب مِنْ المِسْكِ وَ مَاؤه أحْلَى مِنَ العَسَلِ وَأبْيَض مِنَ الخلج >> : ينظر : غسان حمدون ، تفسير من نسمات القرآن ،: 658

فأما الوهراني ، فنجده في فقرة واحدة يصف الجنة وهو على جبل الأعراف إذ قال لصاحبه : << (...) اطلع بنا إلى جبل الأعراف لنشرف منه على أهل الموقف و نتفرج على بساتين الفردوس ، فتستريح صدورنا وترجع إلينا أرواحنا في ذلك المكان (...) ، ومتى رأينا أشجارها وأنهارها و فاتنا دخولها ، تضاعفت علينا الحسرات والأحزان وعظمت المصيبة بالحرمان >> (1) .

بالمقابل فقد وصف المعري الجنة وصفا دقيقا في رسالته بدت لنا مشاهدها مباشرة ، أي وصفا لما تراه العين ، ومما قاله عن شجر الجنة أنه : << لذيذ اجتناء ، كل شجرة منه تأخذ ما بين المشرق إلى المغرب بظل غاط (2) ليست في الأعين كذات أنواط (3) >> (4) ، وعن أنهار الجنة يقول : << وتجري في أصول ذلك الشجر أنهار تختلج من ماء الحيوان و الكوثر يمدها في كل أوان من شرب منها النغبة (5) فلا موت قد أمن هنالك الفَوتُ و سَعُدٌ (6) من اللبن متخرقات (7) >> يضاف إليها << أنهار من عسل مصفى ما كسبته النحل الغادية إلى الأنوار ، ولا هو في موم (8) متوار >> (9) .

إذا ، فكل من الوهراني و المعري قد اشتركا في إبراز هذا الحيز المكاني الذي لا نعلم عنه إلا ما ورد في القرآن العظيم و السنة النبوية الشريفة ، لكن وجب أن نشير إلى

---

(1) منامات الوهراني ،: 31 / 32 .

(2) واسع مبسوط : أبو العلاء المعري ، رسالة الغفران ،: 140 .

(3) شجرة كانت تعبد في الجاهلية ، م . س ،: 140 .

(4) م . س ،: 140 .

(5) الجرعة ، أبو العلاء المعري ، م . س ، (الهامش) : 141 .

(6) النهر الصغير ، م . س ،: (الهامش) : 141 .

(7) المتسع ، م . س ، (الهامش) ، : 141 .

(8) الشمع ، م . س ، (الهامش) ، : 256 .

(9) م . س ،: 153 .

أن المعري قد استفاض في وصف الجنان بالنظر إلى حجم الرسالة ، فجعل العالم الذي يقصده في منامه هو الجنة والجحيم .

فإذا قارنا هذا الوصف بما ورد في المنام الكبير ، نجد أن الوهراني لم يعن فيه بنفس الوصف الدقيق الذي ألفيناه عند أبي العلاء ، ولعل السبب في ذكر ذلك هو أن مشاهد الجنة في المنام كانت من أعلى الجبل فقط ، كما أن الوهراني اكتفى بما قبل الجنة والجحيم أي فترة الحساب ، بما فيها العقاب والثواب ، اللذان بهما يُحدد مصير العبد ، فيسير إلى الجنة أو إلى النار ، و رغم هذا كله فالعلاقة واضحة في توظيف الجنة بين الأديبين .

- المطّلع / جبل الأعراف :

لقد ورد ذكر الوهراني لجبل الأعراف في قوله لصاحبه : << (...) اطلع بنا إلى جبل الأعراف لنُشرف منه على أهل الموقف و نتفرج على بساتين الفردوس >> [1] .

و يقابله ذكر المعري للمكان نفسه ، و هو الذي يفصل بين الجنة و النار و وسمه بالمطّلع ، في حين تناوله الوهراني مركزا على جبل الأعراف ، و المعنى الأول لا يختلف عن الثاني .

فالمعري تناوله بالذكر حين تحدث عن الخنساء و هي في طرف الجنة تشاهد أخاها صخرا و النار تضطرم في رأسه إذ قال متحدثا عن ابن القارح : << ... فإذا هو بامرأة في أقصى الجنة قريبة من المطّلع إلى النار >> [2] .

و القارئ لسورة الأعراف يلحظ أن آياتها تصور لنا (كيف ضُرب بين أهل الجنة و النار سور شاهق ضخم يمنع معه وصول أحد الفريقين إلى الآخر ، بحيث يطّلع أهل

---

(1) منامات الوهراني ،: 31 / 32 .

(2) رسالة الغفران ،: 309 .

الأعراف على الجنة و النار معا) (1)، مثلما صور ذلك المعري و الوهراني من بعده .

د – الحيز الزماني :

يعد الزمن << ضابطا للفعل ، و به يتم و على نبضاته يسجل الحدث وقائعه >> [2] ، و عند دراسة هذه الخاصية السردية يمكننا << الوقوف ما أمكن على الكيفيات التي يعرض بها السرد انتظامها داخل مجرياتها >> [3] نظرا لكون << الزمن الأدبي نفسه ، و إلى يومنا هذا لم يستطع النقاد و المحللون الحداثيون وضع نظرية زمنية تضبط حركته فلا يعدوها >> [4] ، و إنما اقتصرت على << اجتهادات متقدمة لمحاولة مدارسة الأعمال السردية من حيث زمنها الذي تشمله >> [5] ، و في إطار التناص السردي سندارس الزمن من الناحية التناصية بين المنام الكبير و رسالة الغفران ، رغم أن الزمن في أعمال الوهراني ظهر بتقنيات متنوعة طمحت إلى تجسيد الزمن الماضي و الحاضر و الغائب ، فوجدنا الزمن غير المدرك – ما بعد الخروج من القبر – صفة مشتركة بين العملين الأدبيين استهلها المعري و حاكاها الوهراني .

فقد تخيل الوهراني أنه نام ، و في أثناء ذلك رأى فيما يرى النائم أن القيامة قد قامت و أنه خرج من قبره ، و هنا يبدأ زمن المنام (6) ، و هو زمن غير مدرك أيضا .

بالمقابل ، فقد روى ابن القارح قصة حشره بعد نهوضه من القبر، و هنا يبدأ زمن

---

(1) ينظر : محمد علي الصابوني ، قبس من سور القرآن الكريم ،: 31 و الإمام القرطبي ، صحيح التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة ، تحقيق : أبو عبيدة الجمّال ،: 127 /128 .

(2) محمد زغلول سلام ، النقد الأدبي الحد يث ،: 113 .

(3) عبد الجليل مرتا ض ، البنية الزمنية في النص الروائي ،: 34 .

(4) ، (5) عبد الملك مرتاض ، الأدب ا لجزائري القديم ،: 182 .

(6) منامات الوهراني ،: بدءا من ص 23 .

الرواية (1) ، وهو زمن لا يدرك ، و لم تصفه أية تجربة إنسانية تذكر .

هـ – الحوار :

يعتبر الحوار إحدى السمات البارزة في العمل القصصي إذ << يتصل برسم الشخصيات>> [2] ، و يعبر عنها ، و لقد طبعت سمة الحوار منام الوهراني و رسالة الغفران معا ، بل نكاد نقول إنها سمة بارزة ومشتركة بينهما ، فلقد استغل كل من الأديبين الحوار المعبر في جل صفحات عمليهما الأدبيين ، وجعلاه سببا من أسباب حيوية السرد فيهما .

كما أن الحوار ساهم في رسم شخصيات المنام و الغفران معا و عمل على إبراز أحاسيسها الدفينة و غير الظاهرة ، وخلق نوع من الاندماج بين الشخصيات التي تسيّر الأحداث ، ومن ثم فإن الحوار قد ساهم إلى حد بعيد في تطوير أحداث غفران المعري ومنام الوهراني .

فأما ما رأيناه متشابها بصورة ملفتة للانتباه ، فتمثل في الحوار الذي دار بين الوهراني و صاحبه مع يزيد بن معاوية في المنام الكبير من جهة ، و بين ابن القارح و أمير المؤمنين ، في غفران المعري من جهة أخرى .

على أن نشير إلى أن ما سنورده كنموذج عن التماثل في الحوار بين المنام الكبير للوهراني و رسالة الغفران للمعري ، كَوّن في حد ذاته موقفا مشتركا يدعونا إلى الجزم الأكيد أن ابن محرز قد تأثر بأبي العلاء في هذا الأمر أيضا ، و نعرضه بالتقابل في ما يلي :

---

(1) رسالة الغفران ،: بدءا من ص 238 .

(2) عبد الملك مرتاض ، فن المقامات في الأدب العربي ،: 462 .

في المنام الكبير يقول زيد بن معاوية : << من بَيّنَتكم ؟ >> ، فقال له : القاضي صدر الدين عبد الملك بن درباس قاضي مصر يشهد لنا ، فقال يزيد : أحضروه فإن هذا القاضي الكردي من عجائب الزمان ، فيقول : ابعث معي رجلا من جلاوزتك – شرطي – يساعدني عليهم، فبعث معه رجلا شاميا فصعد على نشز من الأرض و أقبل الشامي يصيح بأعلى صوته : يا عبد الملك بن درباس قاضي قضاة مصر في أيام الملك الناصر صلاح الدين ، فلم يجبه أحد فوقع على الأرض مغشيا عليه من شدة العطش >> [1] .

بالمقابل : في الغفران قال أمير المؤمنين : << لا عليك ، أ لك شاهد بالتوبة ؟ >> فقلت : نعم ، قاضي حلب و عدولها . فقال : بمن يعرف ذلك الرجل ؟ فأقول : " عبد المنعم بن عبد الكريم " قاضي حلب – حرسها الله – في أيام شبل الدولة ، فأقام هاتفا يهتف في الموقف : يا عبد المنعم بن عبد الكريم قاضي حلب في زمان شبل الدولة ، هل معك علم من توبة عليّ بن منصور ابن طالب الحلبي الأديب ؟ فلم يجبه أحد فأخذني الهلع و القل – أي الرعدة – ثم هتف الثانية فلم يجبه مجيب فليح بي عند ذلك – أي صرعت على الأرض – >> [2] .

نلاحظ من خلال هذين المقطعين كيف حاكى الوهراني المعري في جعل الحوار بين زيد بن معاوية و بطل المنام محاكيا للحوار الذي دار بين أمير المؤمنين و بطل الغفران على التوالي (البطل و الآخر) ، باستخدام صيغة الماضي : (قال ، أقام ، صرعت) ، (قال ، بعث ، أقبل ، وقع) ، و النفي أيضا : (لم يجبه / لم يجبه) محاولا بذلك تقليد المشهد العلائي في رسالته ، مما يدل على تأثر الوهراني البالغ بمواقف الغفران عموما و حواراته خصوصا .

و أخيرا ، يبقى أن نؤكد أنه من خلال كل ما ذكرناه حول التناص القصصي في منام الوهراني الكبير ، يتضح لنا كيف استطاع الوهراني اتباع منهج المعري ليس فقط في

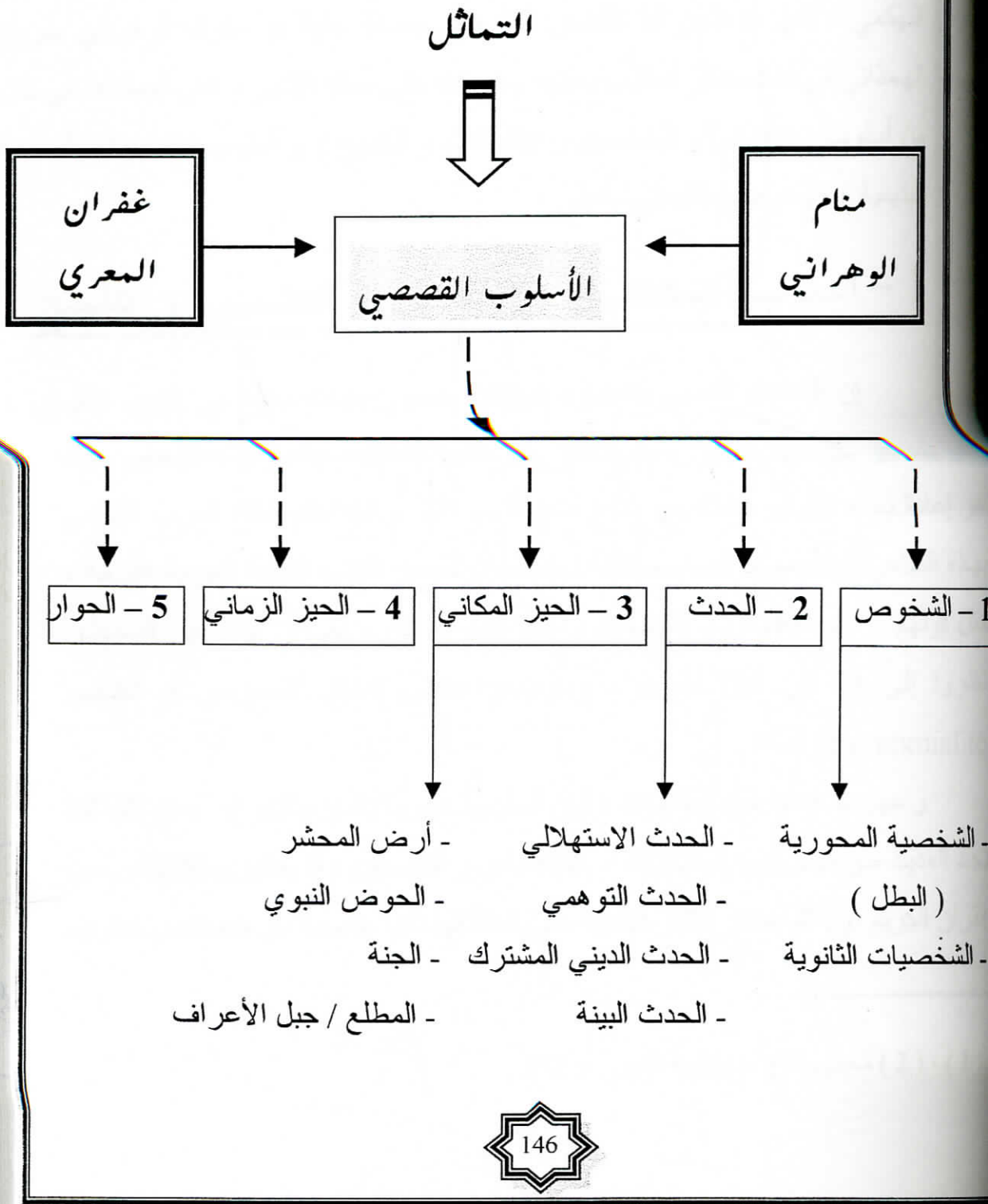
---

(1) منامات الوهراني ،: 52 .

(2) رسالة الغفران ،: 256 / 257 .

الأساليب المتبعة من طرف المعري – و التي مرت بنا في هذا الفصل – فحسب ، بل تعدى الأمر ذلك إلى العناصر القصصية المكونة للغفران ، من شخوص و أحداث و بيئة و حوار ، مما يؤكد مرة أخرى تأثر الوهراني بالمعري و انقياده نحو أساليبه في غفرانه .

و يمكننا تلخيص ما مر بنا في هذا الجزء من الفصل بالخطاطة التالية :



ثانيا : في المقامات :

إن مقامات الوهراني لا تخلو من الأساليب المتنوعة كأسلوب الاقتباس و التضمين و أسلوب الاحتفال بالصنعة البديعية و الأسلوب الهزلي الضاحك و الأسلوب الساخر التهكمي ، لكن ما ظهر لنا كتناص أسلوبياتي بصفة جلية هو سلوك الوهراني طريق الهمذاني في استحضار أساليب بعينها ، هيمنت على عمله الأدبي و التي أجملناها في كل من أسلوب (الاقتباس و التضمين و الاستشهاد و التلميح) و أسلوب (الاحتفال بالصنعة البديعية) ، و نوضح ذلك في ما يلي :

1 – أسلوب الاستشهاد و الاقتباس و التضمين و التلميح :

إن التداخل النصي باعتباره عمليات حضور بنيات سابقة في النص الأصلي ، متواجد عبر كل فعل إبداعي ، << فالنظر إلى النص كإنتاجية ، يعني أن نعتبره من حيث هو إعادة بناء لأقوال جاءته من مناح متعددة >> [1] ، و قد اهتم النقاد العرب القدامى بهذه الظاهرة ، فأسموها أسماء مختلفة نجدها مبثوثة عبر الكتب النقدية العربية القديمة ، مثل قولهم : << الاقتباس و التضمين و السرقات ... الخ ، على أن الدارسين المحدثين نظروا إلى هذا في آفاق أخرى ، و وضعوا مفهوم تداخل النصوص أو التناص intertextualitè >> [2] .

و حين نتحدث عن المقامات ، فإن أسلوبها عموما يتميز بالتنوع ، من ذلك أننا نجد العديد من الأساليب المشتركة ، كالاقتباس و التضمين ، إذ يعتبر << الاقتباس من القرآن الكريم أولا ثم سائر الآثار الأدبية على اختلافها ثانيا خاصية من خصائص أسلوب

---

(1) ، (2) محمد مفتاح ،: دينامية النص ،: 152 .

المقامات >> [1] ، و الذي اعتبر << أثرا طبيعيا من آثار حالات نجمت عن القراءة الكثيرة و الحفظ الغزير >> [2] .

الأمر الذي عثرنا عليه في مقامات الوهراني ، لكنه لم يكن مبدعا في هذا الأمر ، بل سبقه إليه أصحاب مذهب التصنع مثلما نراه جليا عند الهمذاني الذي شغف في مقاماته بـ << كثرة تضمين الشعر و كثرة الاقتباس من القرآن الكريم ، و حشد بعض الأمثال >> [3]

من ذلك ما ورد في المقامة البغدادية للوهراني ، فبعد وصوله إلى بغداد ، واستقراره بها زمنا ، تفقدها ، وتأملها تأمل المنتقد ، و وصف إحدى جناتها قائلا << جنة أبدع جنانها وفاز باللذة سكانها ، لا يميل عنها المتقون كمثل الجنة التي وعد المتقون >> [4]

فالوهراني شبه بغداد بجنة من جنان الآخرة لا عين رأتها ، ولا أذن سمعت عن ما فيها ، ولا خطرت على قلب بشر ، وهذا بتضمينه لجزء من آية كريمة ، والآية كاملة وردت في سورة الرعد في قوله ﷻ : ﴿ مَثَلُ الجَنَّةِ التِي وُعِدَ المُتَّقونَ تَجْري مِنْ تَحْتِهَا الأنْهَارُ أكْلهَا دَائِمٌ وَظِلهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَقُوا وَ عُقْبَى الكَافِرِينَ النَّارَ ﴾ [5] .

وفي هذه الآية (يعطينا الله ﷻ وصفا للجنة ، فهي مفجرة في أنحائها الأنهار ، فيها فواكه ومطاعم ومشارب ، لا انقطاع فيها ولا فناء ، لها ضلال ممدودة ، ثم قرن الله ﷻ صفة الجنة بصفة النار ليُرغِب في الجنة ، ويحذر من النار) (6) .

و قول الوهراني أيضا في نفس المقامة متحدثا عن القائد العربي صلاح الدين الأيوبي : << فأكثر الشكر لله رب العالمين وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ورفع أباه

---

(1) عبد الملك مرتاض ، فن المقامات في الأدب العربي ،: 461 .

(2) م . س ،: 462 .

(3) شوقي ضيف ، الفن و مذاهبه في النثر العربي ،: 253 .

(4) منامات الوهراني ،: 01 .

(5) الرعد : 35 .

(6) ابن كثير ، تفسير القرآن ،: 2 / 284 .

على العرش >> [1] ، وهو نفس القول الذي ورد على لسان يوسف عليه السلام في الآية الكريمة : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ، وَ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ ﴾ [2] ، وقد استعار الوهراني النص القرآني – قصة يوسف عليه السلام تحديدا – (3) بهدف إبراز إعجابه وتقديره لصلاح الدين الأيوبي ، لعله ينال منه شيئا .

بالمقابل نأخذ من اقتباسات الهمذاني لآي القرآن العظيم (4) قوله في مقامته المارستانية التي عالج فيها موضوع الجبر و الاختبار : << يا ابن هشام تؤمن ببعض و تكفر ببعض >> [5] و هي من قوله عز و جل : ﴿ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [6] ، و قول الهمذاني في نفس المقامة :<< أ لم ينهك الله عز و جل أن تتخذ منهم بطانة>> [7] ، و هي ترديد لقوله عز و جل :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ﴾ [8]

من جهة أخرى برز حضور الأبيات الشعرية بكثرة في مقامات الوهراني ، خصوصا في المقامة البغدادية التي عجت بالأبيات الشعرية لمختلف الأدباء ، مثلما يطالعنا به الوهراني حينما قصد الشيخَ أبا المعالي أحد فضلاء مدينة بغداد ، و في حوار بينهما كان الشيخ يسأل ليجد الجواب الكافي الشافي عند الوهراني ، و حين أتم حديثه قال الشيخ : << لله درك لقد أجبتني وأعجبتني وأنشد :

---

(1) منامات الوهراني ،: 05 .

(2) يوسف : 99 .

(3) ليس الوهراني أول من تأثر بقصة يوسف عليه السلام بل << لقد كان لقصة يوسف أثر في إثراء الشعر و النثر معا >> ينظر : أحمد ماهر محمود البقري ، يوسف في القرآن ،: 116 .

(4) لقد وردت العديد من الاقتباسات التي احتوتها مقامات الهمذاني ، و منها التي أوردناها في : عبد الملك مرتا ض ، فن المقامات في الأدب العربي ،: 456 .

(5) مقامات الهمذاني ،: 186 .

(6) البقرة : 85 .

(7) مقامات الهمذاني ،: 186 .

(8) آل عمرا ن : 118 .

سَتُبْدِي لَكَ الأيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلا ❁❁❁ وَ يَأتِيكَ بالأخْبَار مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ >> (1)

فالملاحظ أن الوهراني استعان لمقصده المذكور ببيت لطرفة بن العبد (2) .

أما في ثالث و آخر مقاماته ، سُئل الوهراني عن الفقيه ابن بقية فقال عنه : << لن يبقى من العلم بعد موته بقية (...) فسُرّ الأعداء بفقده وانتشر البغاء من بعده >> (3) ، وأنشد (4) :

<< وَ مَا كَانَ قَيْسٌ هَلْكُهُ هَلْكٌ وَاحِدٌ ❁❁❁ وَ لَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْم تَهَدَّمَ >> (5) .

بالمقابل فإن تضمين الوهراني للأبيات الشعرية في مقاماته لم يأت من فراغ أيضا ، بل نجد ذلك ماثلا في مقامات الهمذاني أولا كقوله في مقامته الغيلانية : << حمي ذو الرمة فقال :

و أما مجاشع (6) الأرْذلُو ❁❁❁ نَ فلَمْ يَسْقِ مَنْيِتَهُمْ رَاجِسُ (7)

سَيَعْقِلُهُمْ عَن مَسَاعِي الكِرَام ❁❁❁ عِقالُ (8) و يَحْبِسُهُمْ حَابِسُ >> (9)

---

(1) منامات الوهراني ،: 06 .

(2) ينظر : طرفة بن العبد ، الديوان ،: 73 و الزوزني ، شرح المعلقات السبع ،: 103 .

(3) ، (4) منامات الوهراني ،: 220 .

(5) البيت من نظم الشاعر عبدة الطبيب ، أنشده في قيس بن عاصم إذ قال :

عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمْ ❁❁❁ وَ رَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أنْ يَتَرَحَّمَا

وَ مَا كَانَ قَيْسٌ هَلْكُهُ هَلْكٌ وَاحِدُ ❁❁❁ وَ لَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

ينظر : ابن قتيبة ، عيون الأخبار ،: 334 و طرفة ، الكشكول ،: 274 ، في الموقع التالي على النات : www.alwaraq.com

(6) قوم الفرزدق .

(7) صوت رعد السحاب .

(8) ما تعقل به الناقة لتقف و تمنع عن المشي .

(9) مقامات الهمذاني ،: 59 .

إضافة إلى الموروث الشعري وجدنا الوهراني قد لجأ إلى التلميح أيضا ، الخاصية التي وجدناها مسبقا في مقامات الهمذاني ، فاستعمال الأمثال المتنوعة في الأدب شعرا ونثرا ، يعتبر دعامة أساسية في بناء النصوص ، لأنها تساعد على التلميح والرمز دون حاجة إلى التوضيح و التصريح بالعديد من المعاني والدلالات .

لقدعمد الوهراني إلى توظيف الأمثال كقوله في مقامته البغدادية مادحا الوزير عضد الدين : << ألقى مقاليد الأمور إليه فـ (أخذ القوس باريها) (1) >> [2] ، و المقصود بالمثل : << استعن في أمورك بأهل الحِذق والخبرة والمهارة >> [3]

كما يبرز توظيف الوهراني للأمثال في قوله أيضا في آخر مقاماته : << لا يرثى للغريب و لا يتوجع و لا يُؤسى و لا يسأل و لا يتفجع فنكب عن ذراه ، فـ (لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) (4) >> [5] .

بالمقابل ، لم يكن الوهراني السبّاق إلى ذلك ، فقد عثرنا على هذا النوع من التضمينات عند بديع الزمان الهمذاني ، مثلما يطالعنا في مقامته الغيلانية بقوله: << قلت : أرضك لا أم لك فـ (دوني شرط الحداد (6) و خرط القتاد (7)) >> [8] .

فالملاحظ إذا أن الوهراني سلك طريق الهمذاني رائد المقامات العربية في جعل

---

(1) أصل المثل بيت من الشعر بلا نسبة :

يَا بَارِيَ القَوْس بَرْيًا لَسْتَ تُحْسِنُهَا ❁❁❁ لا تُفْسِدَنْهَا وَ أعْطِ القَوْسَ بَارِيهَا

ينظر : الميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق : محمد عبد الحميد ، 2 / 19 .

(2) منامات الوهراني ،: 8 .

(3) إيميل بديع يعقوب ، موسوعة أمثال العرب ،: 2 / 525 .

(4) الميداني ، مجمع الأمثال ،: 1 / 129 – 131 .

(5) منامات الوهراني ،: 220

(6) السيوف و الخناجر و ما شابه ذلك .

(7) شجر له شوك صلب .

(8) مقامات الهمذاني ،: 345 .

مجموعة من النصوص الغائبة مجاورة و محاورة لنصه الأصلي بتضمينه لآيات من القرآن العظيم ، بالإضافة إلى أبيات من الشعر و مجموعة من الأمثال المتنوعة .

2 - الأساليب البلاغية – الاحتفال بالصنعة البديعية –

يسعى كل مبدع أن يوصل مفهوما أو فكرة للمتلقي بتعبير راق و جميل ما أمكنه ذلك ، و يستخدم لهذا الغرض طرائق تقنية توسم بالأساليب البلاغية << و هي في علم البلاغة العربية تتدرج في إطار علوم المعاني و البيان و البديع >> [1] ، و هو ما يمنح العبارة قوة و تأثيرا حسنا ، و يكون انتقاءها حسب مواطن الكلام .

و سنتتبع هذا الأسلوب في نصوص الوهراني بوصفه طريقة معتمد ة في مقامات الهمذاني مقابلين بذلك بين نماذج من العملين الأدبين .

فقد لجأ كتاب المقامة إلى الصنعة البديعية فاستحوذ فن البديع << استحواذا تاما على أسلوب المقامة ، فلا التشابيه و لا الاستعارات و لا المجازات و لا الكنايات يمكن أن تقارن بكثرة فن البديع في المقامات >> [2] ، و نجمل الألوان البديعية في : << الجناس و السجع و الموازنة و التشريع و الاقتباس و لزوم ما لا يلزم و رد العجز على الصدر و غيرها >> [3] .

أما الملفت للانتباه فهو أن الوهراني اعتمد طريقة السجع و الجناس و الطباق مثلما اعتمدها الهمذاني بخلاف الألوان البديعية الأخرى ، و أول ما نتناوله هو السجع الذي يُعد << طريقة في الإنشاء سارت منذ القدم في النثر العربي و راجت كثيرا في عصور التنميق مع ما راج من المحسنات البديعية >> [4] ، و يُعرف السجع بأنه << توافق الفواصل

---

(1) إنعام فوال العكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة،: 66 .

(2) عبد الملك مرتاض ، فن المقامات في الأدب العربي ،: 415 .

(3) ، (4) إنعام فوال العكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة،: 640 – 578 .

في الحرف الأخير >> [1] .

و الوهراني كلف بالمحسنات البديعية كغيره من كتاب المقامة ، فحاكى الصنعة البديعية التي تميزت بها مقامات الهمذاني و كان تأثره في نقاط أدرجناها نبدأها بالسجع :

يقول الوهراني في المقامة البغدادية : << ما مررت بأمير إلا حللت **ساحته** ، و استمطرت **راحته** ، و لا وزير إلا قرعت **بابه** و طلبت **ثوابه** ، و لا بقاض إلا أخذت **سيبه** ، و أفرغت **جيبه** ، تقلبت بي **الأعصار** ، و تقاذفت بي **الأمصار** ، حتى قربت من **العراق** ، و سئمت من **الفراق** ، فقصدت مدينة **السلام** ، لأقضي حجة **الإسلام** ، فدخلتها بعد مقاساة **الضر** ، و مكابدة العيش **المر** >> [2]

و قول الوهراني أيضا : مثلك من **أفاد** ، و شفى بحديثه **الفؤاد** ، فكيف تمشى **حاله** ، و تغطى على الفقهاء **محاله** ، فقال : اعلم أنه لما اجتمعت العجوز على **تعليمه** ، و رده إلى المدرسة و **تسليمه** ، تخوف من ذلك **الأمر** ، و بات ليلته على **الجمر** ... >> [3] .

بالمقابل ، نستطيع أن نقرأ مثل ذلك في مقامات بديع الزمان ، إذ نجده يقول على سبيل المثال لا الحصر : << إن بعد المعاش **معادا** ، فأعدوا له **زادا** (4) ، أ لا لا عذر فقد بينت لكم **المحجة** (5) ، و أخذت عليكم **الحجة** ، من السماء بـ**الخبر** ، و من الأرض بـ**العبر** ، أ لا و إن الذي بدأ الخلق عليما يحيي العظام رميما (6) ، أ لا و إن الدنيا دار جهاز و قنطرة جواز ، (...) فحذار حَرّ **النار** ، و بدار (7) عقبى **الدار** ، أ لا و إن العلم

---

(1) إنعام فوال العكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة،: 606 .

(2) منامات الوهراني ،: 01 .

(3) م . س ،: 99 .

(4) طلب الأعمال .

(5) الطريق الواضحة ، طريق السعادة .

(6) البالي من العظام .

(7) بادروا .

أحسن على **علاته** (1) ، و الجهل أقبح على **حالاته** >> [2] .

و يقول أيضا : << لما ملكنا البحر ، و جن علينا الليل ، غشيتنا سحابة تمد من الأمطار **حبالا** ، و تحوذ من الغيم **جبالا** ، و بريح تنزل الأمواج **أزواجا** ، و الأمطار **أفواجا** ، و بقينا في يد **الحين** ، بين **البحرين** ، لا نملك عدة غير **الدعاء** ، و لا حيلة إلا **البكاء** ، و لا عصمة غير **الرجاء** ...>> [3] .

فما من شك إذا أمام هذا التماثل الحاصل بين الأسلوبين أن الوهراني قد تأثر بأسجاع بديع الزمان ، من خلال ما أوردناه من نماذج للأديبين ، على سبيل المثال لا الحصر ، مما أحدث في الكلام نغما موسيقيا و أكسب المعنى جمالا .

و مما عثرنا عليه من تماثل في الجانب البلاغي أيضا بين مقامات الوهراني مقامات الهمذاني و هو نزوع كليهما إلى الجناس ، فلا نكاد نقرأ مقامة واحدة دون أن نلحظ هذا اللون البديعي ، و الجناس هو : << إيراد لفظتين متجانستين في الشكل مختلفتين في المعنى و هو أنواع عديدة (4) >> [5] .

إذا لم يفت الوهراني الالتزام بالجناس في مقاماته الثلاث كقوله في مقامته في شمس الخلافة : << ما أفرق بين **الحروف** و بين قرون **الخروف** >> [6] ، بجمعه بين اللفظين (الحروف ، الخروف) ، و مثل ذلك في قوله (7) : (حزمه ، عزمه) ، (السلام

---

(1) حالاته و شؤونه .

(2) مقامات الهمذاني ،: 199 / 200 .

(3) م . س ،: 179 .

(4) محمد التوينخي و راجي الأسمر ، المعجم المفصل في علوم اللغة ،: 1 / 240 .

(5) من أنواعه : (التام و الأخيف و الأرقط و الإشارة و الاشتقاق و الإضافة و الإطمار و الإطلاق و الاقتضاب ...) ينظر : م . س ،: 1 / 240 .

(6) منامات الوهراني ،: 99 .

(7) م . س ،: 01 ، 05 ، 06 ، 97 ، 98 ، 220 .

الإسلام) ، (الأخطار ، الأقطار) ، (معيشة ، حشيشة) ، (ألحاظ ، ألفاظ) ، (كسف ، نسف) ، (الأواصر ، العناصر) ، و ما يماثلها كثير أيضا .

نحو ذلك قول الهمذاني في مقامته البغدادية : << ليس معي **عقد** على **نقد** >> [1] ، و على شاكلتها قال (2) : (الحزم ، العزم) ، (الإسلام ، السلام) ، (بيان ، بنان) ، (البذرة ، الذرة) ، (العهود ، الشهود) ، (أفضنا ، فضفضنا) ، (السير ، الطير) ، و غير هذه النماذج كثير .

و مما يزيدنا اقتناعا بتأثر الوهراني بالهمذاني من الناحية البلاغية و تحديدا بالزخرف اللفظي ، ما وجدناه من طباقات مبثوثة في مقاماته كلها .

فهاهو الوهراني يطالعنا بهذا اللون البديعي في قوله :<< **يأخذه** التيه و **يدعه** >> [7] ، و قوله أيضا (8) : (الدنيا ، الآخرة) ، (الخبيث ، الطيب) ، (الطول ، العرض) ، (الشتاء ، الصيف) .

و نقيس على هذا قول الهمذاني : << **يأخذه** القر و **يدعه** >> [5] ، و من ذلك أيضا (6) : (الخير ، الشر) ، (المتقدمون ، المتأخرون) ، (فوق ، تحت) ، (الإقامة ، السفر) .

إذا ، فلقد اصطنع الوهراني صنعة بديعية قلّد فيها الهمذاني من سجع و جناس و طباق ، أي أن جانب اللفظ نال من الكاتب اهتماما بارزا و حظي من عنايته بقدر كبير ، و قد وجدنا هذا الأسلوب البلاغي لازما في مقامات الوهراني الثلاث ، بعدما ألفيناه أعم

مقامات الهمذاني ،: 91 .

م . س ،: 25 ، 65 ، 97 ، 98 ، 106 ، 143 ، 307 .

مقامات الوهراني ،: 97 .

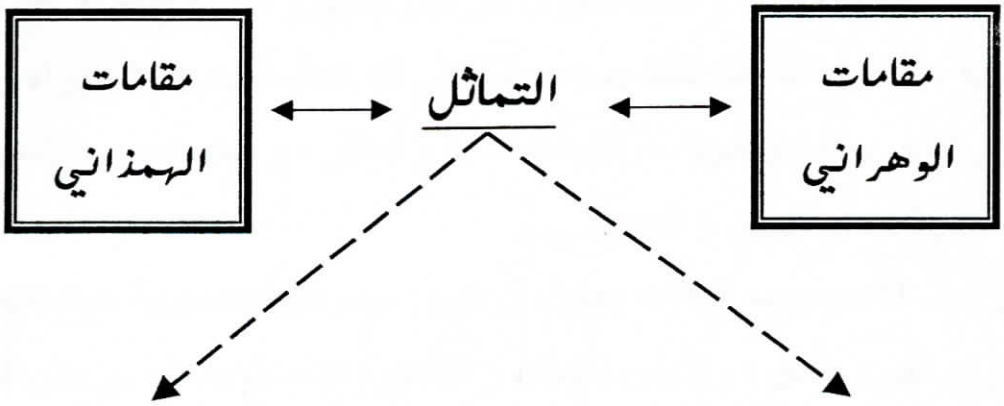
م . س ،: 06 ، 98 ، 72 ، 219 .

مقامات الهمذاني ،: 127 .

م . س ،: 60 ، 66 ، 72 ، 73 .

في مقامات الهمذاني كلها ، مما يدل على أثر أسلوب الهمذاني في أسلوب الوهراني من الناحية البلاغية ، لكن يبقى السبق للهمذاني و التبعية للوهراني .

و نلخص ما توصلنا إليه في هذا الجزء من الفصل بتوضيح التماثل الحاصل بين مقامات الوهراني و مقامات الهمذاني بالخطاطة التالي :



ثالثا : في الرسائل :

لقد تميزت جل رسائل الوهراني بميزات أسلوبية متنوعة و متفاوتة التوظيف ، مثل السخرية و الاستهزاء و المبالغة و حشد الغريب و الاستشهاد و الاقتباس و التضمين و الإكثار من الجمل الدعائية و الاعتراضية و غيرها .

إلا أن السخرية الهازلة و المبالغ فيها إلى الحد الذي يخرج فيها من المعقول إلى اللامعقول ، هي أهم ما استقطب اهتمامنا في رسائل الوهراني و من قبله رسالة التربيع و التدوير للجاحظ ، و من ثم شكلت تناصا أسلوبياتيا صريحا بين الأديبين ،و نوضح ذلك في ما يلي :

1 – الأسلوب الساخر الهزلي المبالغ فيه :

إن مدلول كلمة السخرية هو : << نسبة عيب إلى شخص أو تفخيم عيب في شخص بغرض التهذيب و الإصلاح ليبرأ منه أو من بعضه أو ليخافه إن لم يكن فيه >> [1] ، فهي بالتالي وسيلة تهذيب و كشف للعيوب من أجل التقويم و الإصلاح فضلا عن كونها أداة للتسلية ، و قد أطلقنا هذا اللفظ بصفة عامة على أنه يشمل التهكم و الاستهزاء و نسبة عيوب إلى الغير و تفخيم عيوبه ، والاستخفاف به و احتقار ه و استصغاره و الاستهانة به ، و الحطّ من شأنه و التهوين و التهويل ... .

و لعل الأديب بهذه الوقفات يحاول أن يقوم : <<بوظيفة تطهيرية حيث يحاول أن يزيل أدران الهم و القلق ، و اليأس والحقد، و التشاؤم والإحباط >> [2] ، من نفس المتلقي سواء السامع أو القارئ .

و نشير إلى أن كلمة سخرية (وردت أكثر من مرة في القرآن الكريم) (3) مثل قوله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَ لاَ نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ [4] ، و كقوله ﷻ في سورة هود عليه السلام متحدثا عن سيدنا نوح عليه السلام : ﴿ وَ يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأ من قومه سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [5] .

و كثيرا ما تكون السخرية هازلة تبعث على الضحك في نفس المتلقي ، و الأسلوب الهزلي بهذه الصفة ، ظاهرة متجدرة في التراث العربي إذ << واكبت الفكاهة الأدب

---

(1) رابح العوبي ، فن السخرية في أدب الجاحظ ،: 198 .

(2) عبد العزيز شرف ، الأدب الفكاهي ، هـ .

(3) التوبة : 80 ، البقرة : 211 ، الأنبياء : 41 ، الأنعام : 11 .

(4) الحجرات : 11 .

(5) هود : 38 .

العربي منذ بزغ فجره ، و ظلت تخطو معه خطوات رشيدة إلى أن صارت تمثل الكلمة بكل معانيها من سخرية و تهكم ، و نادرة وملحة ... >> [1] ، فاستعان الأدباء بالطرائف و النوادر ، والأخبار الضاحكة ، لترصيع أدبهم .

و قد<< شقت هذه المحاولة طريقها نحو الشرعية شيئا فشيئا ، حتى ظهرت في أتم مظهر عند الجاحظ في القرن الثالث الهجري ، و عند معاصره ابن قتيبة ، و استمرت في القرن الرابع الهجري مع الهمذاني ، و الخامس مع الحصري القيرواني ، و السادس الهجري مع الفقيه الحنبلي ابن الجوزي >> [2] ، و ما هؤلاء الأعلام إلا محطات كبرى في التراث القديم ، فما كان موقف الوهراني من هذا الرصيد الأدبي ؟ و هل تأثر بهؤلاء الأعلام من خلال نصوصه ؟

على هذا الأساس يمكننا الآن تتبع أسلوب السخرية الهازل و المبالغ فيه المشترك بين الجاحظ و الوهراني.

لقد عمد الوهراني إلى استخدام أسلوب السخرية في رسائله عامة و خصوصا في تلك التي كتبها في التاج الكندي ، و الرسالة التي كتبها إلى مجد الدين بن عبد المطلب و اللتان تتقاطعان في هذه النقطة مع الجاحظ الذي تفرد في << مزجه الجد بالهزل ، فكان بحق رائد السخرية في الأدب العربي >> [3] ، خصوصا في رسالة التربيع و التدوير .

أما التماثل بين رسالة الوهراني في التاج الكندي و بين رسالة التربيع و التدوير ، فتتجلى في محاولة كلا الأديبين تجسيد صورة معنوية لنفسية خصميهما بشكل ساخر و استفزازي مثير للضحك و مبالغ فيه بحيث خرج عن صورة المنطق إلى اللامنطق .

ففي رسالة الوهراني إلى التاج الكندي ، جنح لإظهار ما ادعاه خصمه مستهزئا به ، مثل قوله : << للكندي قصيدة ميمية يمدح فيها نفسه و يفتخر فيها بمعرفة سائر العلوم

---

(1) معوض فتحي محمد أبو عيسى ، الفكاهة في الأدب العربي ، : 34 .

(2) حمادو إبراهيم ، الفكاهة في الأدب العربي ،: 61 .

(3) إنعام فوال العكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة ،: 579 .

و قد قال هذا في هذه القصيدة : سَبقت إلى غايات كل فضيلة... و قوله في أولها : قَدمتُ فأفنيتُ العدى و الندى حزما >> [1] ، و أنشد أبيات أخرى على لسان التاج الكندي الذي عدّها من أروع ما قاله :

إذا وَطِئَ الضّرْغَامُ أرْضًا تَضَايَقَتْ ❁❁❁ خُطا وَحْشِهَا عَنْهُ فَيُوَسّعُهَا هَزْمَا

سَبَقتُ إلى غَايَاتٍ كُلّ فَضِيلَةٍ ❁❁❁ تَعِزّ عَلَى طُلابهَا العُربَ و العُجْمَا

وَ مَلّكَنِي رقّ المَنَاقِب أنّنِي ❁❁❁ أحَطْتُ بِآدَاب الوَرَى كُلّهَا عِلْمَا>> [2]

و نلمس مقابلا لهذه الصورة عند الجاحظ ، فعلى سبيل السخرية الهازلة المبالغ فيها أسند الجاحظ لخصمه أحمد بن عبد الوهاب مجموعة من الادعاءات في شكل حجج متباينة ، يدافع بها عن نفسه أو بالأحرى عن قصر قامته .

على هذا الأساس أتى الجاحظ بحجج على لسان خصمه يُعَمّم فيها التدوير على مختلف الأشياء تعويضا عن نزوعه إلى طول القامة ، من ذلك قوله : << زعمتَ أن الإنسان إذا طال جسمه و امتد شخصه أسرَع الانهدام إلى بدنه و الانحناء إلى ظهره ، و أن القصير لا يتقوس ظهره و لا يميل عنقه و لا يضطرب شخصه و لا تعوج عظامه ، و يسعه كل باب و يقطعه كل ثوب ، و لا تخرج رجلاه من النعش و لا تفضلا عن الفراش >> [3] .

و قال أيضا : << و رأيتك تقول : إن كان الفضل في النكاية و في الشدة و الصلابة ، فقصار كل شيء أشد ضررا و أدق مدخلا و أظهر قوة و جلدا ، كالحجارة أصلها الحصى و كالحيات أصلها الأفاعي >> [4] .

و من ثم فقد حاول كل من الوهراني و الجاحظ التحدث على لسان خصميهما بهدف السخرية ، و تبيان رغبتهما الملحة ، سواء ما تعلق بالوهراني بإدراجه الأبيات الشعرية

---

(1) منامات الوهراني ، 222 / 224 .

(2) م . س ، 227 / 228 .

(3) ، (4) رسالة التربيع و التدوير ، 438 .

التي صور فيها خصمه التاج الكندي و قد وصل بها إلى إدراك الغاية و الفضل العميم و المهارة الأدبية ، أو محاولة أحمد بن عبد الوهاب الدفاع عن خاصية التدوير و إبراز فضل العرض على الطول قصد إظهار شخصه على أحسن صورة .

في حين يبرز الأسلوب الساخر المتماثل بين رسالة الوهراني إلى مجد الدين بن عبد المطلب و رسالة التربيع و التدوير في العبث بهيأة الخصم الجسمانية ، بحيث حاول الوهراني السخرية من القاضي الفاضل فاتخذ المبالغة ركنا أساسيا فيها ، و بنفس الأسلوب الذي سنراه معتمدا من قِبل الجاحظ ، و ذلك بانكبابه على تشويه جسم خصمه واصفا إياه بقوله : << شخص عجيب الصورة ، ليس له رأس و لا رقبة البتة و إنما وجهه في صدره ، و لحيته في بطنه >> [1] .

بالمقابل رسم الجاحظ صورة ساخرة لخصمه بتركيزه على تشويه جسمه ، و ذلك بذكره للتناقض الصارخ و التنافر الواضح بين أعضاء جسم خصمه بطريقة مهولة تحمل في طياتها كثيرا من الاستهزاء و الاستصغار ، استهلها بقوله : << كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر و يدعي أنه مفرط الطول ، و كان مربعا و تحسبه لسعته جفرة ، و استفاضة خاصرته مدورا ، و كان جعد الأطراف قصير الأصابع ، و هو في ذلك يدعي السباطة و الرشاقة ، و إنه عتيق الوجه ، أخمص البطن ، وكان طويل الظهر ، قصير عظم الفخذ و هو مع قصر عظم ساقه يدعي أنه طويل الباد رفيع العماد ، عادي القامة رفيع الهامة >> [2] .

ورغم أن وصف الجاحظ أطول من وصف الوهراني لخصمه – و نظرا لحجم الرسالتين المختلف – إلا أن السخرية بادية في الأسلوبين .

إذا ، و بعد هذه الوقفات الساخرة و الغارقة في التهكم المفرط ، يمكننا الجزم بمحاكاة الوهراني للجاحظ في هذا النوع من الأساليب ، و كأن الوهراني وجد ضالته في

---

(1) منامات الوهراني ،: 153 .

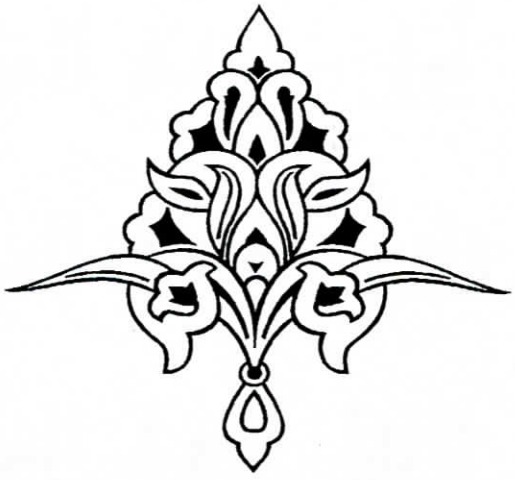
(2) التربيع و التدوير ،: 431 .

أسلوب الجاحظ للنيل من خصومه ، بإخراجهم مخرجا ممسوخا و الحط من قيمتهم ، و من ثم امتد التأثر من البناء و الموضوع إلى الأسلوب ذاته .

و خلاصة القول و نحن نختم هذا الفصل ، أن الخصائص الأسلوبية التي تميزت بها منامات الوهراني و مقاماته و رسائله لم تكن جديدة عند الوهراني ، بل سبقه إليها المعري و الهمذاني و الجاحظ ، و قد قمنا بحصر هذه الأساليب في : الأسلوب القصصي في المنام الكبير و أسلوب الاستشهاد و الاقتباس و التضمين و التلميح و أسلوب الاحتفال بالبديع في المقامات و في الأسلوب الساخر الهزلي المبالغ فيه عبر الرسائل .

و أهم ما توصلنا إليه ، هذه التماثلات التي رصدناها من الآثار الأدبية التي حاكاها الوهراني أسلوبيا أولا باعتبارها الأصل الأول ، أو من التي انتقيناها من نصوص الوهراني ، فكانت نماذج محدودة لكنها تنوب عن البقية حتى لا نميل إلى الاجترار و التكرار .

و هذه النتيجة خليقة بأن تكون خطوة ثالثة لإثبات التناص في منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، بعدما أثبتناه من الناحية المعمارية و الموضوعاتية ، مما يزيدنا اقتناعا بملاءمة الأداة الإجرائية للثابت من موضوع بحثنا ، و يدعم النتائج التي توصلنا إليها في الفصلين السابقين .



الفصل الرابع

- تمهيد في المعجم
- أولا – في المقامات
- ثانيا – في المقالات
- ثالثا – في الرسائل

تمهيد : في مفهوم المعجم :

حينما يرتضي المؤلف نصه الأدبي و يجيزه ، فإنه يصبح قابلا لعملية التلقي من طرف القارئ ، و لن تتم عملية الإرسال و التلقي دون لغة ، فهي << وسيلة التفاهم و التخاطب و تبادل الأفكار و المشاعر >> [1] ، فيجد القارىء نفسه أمام جمل لغوية مكونة من مفردات ، فـ<< الكلمة ـ الاسم و الفعل و الصيغة و الحرف ـ هي المادة الأساسية لبناء أي خطاب لغوي >> [2] ، و من منظور أدق يكون القارئ أمام معجم لغوي و تركيب نحوي أيضا ، بحيث يقو م فيه المعجم << بدور مهم في تركيب الجمل و في معناها >> [3] .

من هذا المنطلق (يمكننا النظر إلى المعجم من وجهتين مخلفتين) (4) ، أولاهما تركيبية اعتمادا على علاقة المعجم بالتركيب ، فيصبح المعجم من هذا المنظور << مكونا أساسيا و جوهريا تتأسس عليه بنية الجملة النحوية و يتحدد معناها >> [5] .

أما من الناحية الدلالية ، فيأخذ المعجم منحى آخر بحيث << يستمد مشروعيته من المنهاجية التي تتحكم فيه ، ومن الغايات التي يتوخاها >> [6] فيُنظر للمعجم << على أنه قائمة من الكلمات المنعزلة التي تتردد بنسب مختلفة أثناء نص معين ، و كلما ترددت بعض الكلمات بنفسها أو بمرادفها أو بتركيب يؤدي معناها ، كونت حقلا أو حقولا دلالية >> [7] ، هذا إضافة إلى أنه يرتكز على التماثل الدلالي بين الوحدات الإفرادية فـ << يكون

---

(1) عبد اللطيف الصوفي ، مصادر اللغة في المكتبة العربية ،: 30 .

(2) محمد مفتاح ، مشكاة المفاهيم ،: 162 .

(3) محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري ،: 68 .

(4) ، (5) م . س ،: 57 .

(6) ، (7) م . س ،: 58 .

العنصر الثاني تابعا في دلالته للعنصر الأول الذي يحدد الوجهة الدلالية >> [1] المقصودة ، بحيث يكون << توارد المفردات و تكرارها لفظا و معنى ، أو معنى دون لفظ ، كيفما كانت المفردة >> [2] .

و من ثم ، فإن الرابط بين الوحدات الإفرادية في الحقل الواحد يكون إما بالترابط أو بالتداعي ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، نجد << الكلية محورا يستدعي بالترابط إدارة و أساتذة و طلبة و بالتداعي أشياء أخرى >> [3] ، أخذا بعين الاعتبار أن << العلاقة بين التداعي و الترابط جدلية ، إذ لا يخلو عمل إنساني منهما >> [4] .

بناء على كل ما ذكرناه ، فإن الخطاب يتميز و تتباين دلالات معجمه باختلاف وحداته الإفرادية ، فيكون بذلك << لكل خطاب معجمه الخاص ، إذ للشعر الصوفي معجمه و للمدحي معجمه و للخمري معجمه >> [5] ، بحيث تكون مفردات معجم معين ملائمة للموضوع المطروق .

أما و نحن ننظر إلى معجم الوهراني من وجهة تناصية محضة ، فسنركز على إحصاء المفردات المتناصة بحيث نرصدها في منامات الوهراني و مقاماته و رسائله بالموازاة مع رسالة الغفران و مقامات الهمذاني و رسالة التربيع و التدوير للجاحظ و << يدخل في تلك المعاجم كل الأسماء و الأفعال التي لها صلة دلالية جزئية بالدلالة الجامعة الكلية أو ما جاء منها في حكم ذلك >> [6] ، فكانت دراستنا التطبيقية مبنية على حقول دلالية مع إحصائها أحيانا بسياقها الوارد في العمل الأدبي << و ذلك لأن إيراد المفردة في السياق التركيبي الذي تشغله ، يعين دلالتها التي تنتجها فيه و يضبطها بخلاف تجريدها

---

(1) عبد الملك مرتاض ، الأدب الجزائري القديم ، : 121 .

(2) محمد مفتاح ، مشكاة المفاهيم ، : 212 .

(3) ، (4) م . س ، : 113 .

(5) عبد الملك مرتاض ، الأدب الجزائري القديم ، : 20 .

(6) مختار حبار ، شعر أبي مدين التلمساني ، : 180 .

منه >> [1] ، لنخرج في الأخير إلى تعيين أهم خصائص المعاجم المتناصة في مؤلف الوهراني .

و سيكون منهجنا في هذا الفصل معتمدا على تقسيمات محددة وفق تنوع المعاجم التي وظفها الوهراني في عمله الأدبي باعتبار << المعجم مستقى من سجلات مختلفة مثل أسماء الأعلام ، طبيعية و إنسانية و حيوانية و نباتية و جمادية ، و الأسماء العادية تبعا للمساق و السياق >> [2] .

و قد قسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث ، أولها المعاجم المتناصة في منامات الوهراني و ثانيها المعاجم المتناصة في مقاماته و أخيرا المعاجم المتناصة في رسائله ، بحيث تناولنا تحت كل مبحث معاجم مختلفة ، كل معجم انضوت تحته مجموعة من المفردات الدالة على غرض واحد ، و كثيرا ما كان الوهراني لا يستعمل نفس اللفظ ، الموجود في الأثر الذي تناص معه ، فيعدل عن ذلك إلى اختيار لفظ آخر على سبيل الاستبدال مما يناسب عمله ، لكن الوظيفة و العلاقة الرابطة بينهما تكون جلية ماثلة ، و بالتالي ألحقناها ضمن التناص المعجمي .

أما في المنام الكبير فقد اقتصرنا على المعاجم الآتية : معجم الأعلام و معجم الطوائف و المذاهب الدينية و معجم أسماء الله الحسنى و معجم أسماء العالم الغيبي و ما في حكمه و معجم المغفرة و التوبة و الشفاعة و ما في حكمه و معجم الورود على حوض النبي محمد ﷺ و ما في حكمه و معجم ما دل على المنام و ما في حكمه و معجم الأماكن و البلدان ، مما له صفة تناصية بطريقة أو بأخرى مع ما يماثل ذلك من معاجم في غفران المعري .

و أما مقامات الوهراني الثلاث ، فقد حصرنا فيها معاجم متنوعة ، تتمثل في معجم الهجاء و القذف و معجم المدح و معجم الأماكن و البلدان ، و التي تناصت مع مقامات

---

(1) مختار حبار ، شعر أبي مدين ا لتلمساني ،: 181 .

(2) محمد مفتاح ، مشكاة المفاهيم ،: 213 .

الهمذاني ، و اتبعنا فيها الطريقة نفسها التي سلف ذكرها في المنامات .

ثم وقفنا عند رسائل الوهراني فقمنا برصد المعاجم المتناصة مع معاجم رسالة التربيع و التدوير للجاحظ ، و التي تلخصت في معجم الهجاء و المعجم الفلكي ، ممّا تماثل منه ، و أهملنا ما لم يتماثل و يتناص حسب المنهج المتبع .

أولا : في المنامات :

لقد اخترنا تحت هذا العنوان منام الوهراني الكبير نموذجا ، بحيث يعالج هذا المحور أهم المعاجم المتناصة فيه ، مع ما يماثلها في غفران المعري ، و قد تم حصرها في زهاء ثمانية معاجم هي : معجم الأعلام و معجم الطوائف و المذاهب الدينية و معجم أسماء الله الحسنى و معجم أسماء العالم الغيبي و ما في حكمه و معجم المغفرة و التوبة و الشفاعة و ما في حكمه و معجم الورود على حوض النبي محمد ﷺ و ما في حكمه و معجم ما دل على المنام و ما في حكمه و معجم الأماكن و البلدان .

و قد تم رصد كل معجم على حدة ، رصدا متناصا في جدول يبين كنه هذا التناص الذي قد يكون حرفيا حينا و قد يكون جامعا بينهما أحيانا أخرى ، ثم ختمنا كل معجم ببيان أهم الخصائص التناصية المميزة له و التي هي في حاجة إلى تبيان و توضيح .

أو ظبيانيا

1 – معجم الأعلام المتناص و ما في حكمها :

لقد تنوع معجم الأعلام المتناص في منام الوهراني ما بين معجم الأنبياء و الرسل و معجم الشخوص و معجم الملائكة و معجم آل البيت و معجم الصحابة و معجم الجن ومعجم الأدباء و اللغويين و الرواة و الفلاسفة ، و ندرك التماثل بين معاجم المنام الكبير و رسالة الغفران بعد عرضنا لها تبعا عبر الجداول التالية :

أ- جدول معجم الشخوص (البطل) :

الترقيم	معجم المنام	معجم الغفران	الوظيفة
1	العليمي	ابن القارح / الأديب الحلبي / الشيخ (نفسه)	بطل الرحلة الخيالية

ب - جدول معجم الأنبياء و الرسل :

الترقيم	معجم المنام	معجم الغفران	الوظيفة
1	محمد ﷺ (21 ، 23 ، 35 ، 41 ، 43 ، 46 ، 47 ، 48 ، 49)	محمد ﷺ (49 ، 50 ، 54 ، 56 ، 58 ، 59 ، 40 ، 53 ...)	التعظيم والتشريف لشخصية الرسول ﷺ ، و إعطاء المصداقية لأحداث الغفران و المنام
2	آدم عليه السلام ، يوسف عليه السلام (13 ، 25 ، 31 ، 84)	آدم عليه السلام ، إبراهيم عليه السلام ، شيث عليه السلام ، العزير عليه السلام ، يعقوب عليه السلام (153 ، 282 ، 301 ، 310 ، 312 ...)	

ج- جدول معجم الملائكة :

الترقيم	معجم المنام	معجم الغفران	الوظيفة
1	مالك خازن النار (26 ، 29)	رضوان خازن الجنة (249 ، 250 ، 261)	التحاور معه .
2	جبريل – الروح الأمين (28)	جبريل (531)	إبراز قدرة هذا الملك .
3	رضوان ، عزرائيل ، ملك اليمين ، ملك الشمال ، الروح الأمين (33 ، 35 ، 40 ، 41)	مالك ، إسرافيل ، زفر ، ميكائيل ، جبريل (53 ، 251 ، 302 ، 349 ، 461 ، 488 ، 531)	تجسيد اليوم الآخر ، و تنفيذ أوامر غيبية .

د- جدول معجم الجن :

الترقيم	معجم المنام	معجم الغفران	الوظيفة
1	الشيطان ، إبليس (36 ، 46)	إبليس ، أبو مرة ، أبو زوبعة (31 ، 252 ، 219 ، 312 ، 350 ، 359)	ذم صورة الشيطان و احتقارها .

هـ – جدول معجم الصحابة :

الترقيم	معجم المنام	معجم الغفران	الوظيفة
1	أبو بكر ، عمر بن الخطاب ، عمرو بن العاص (47 ، 48 ، 53 ، 58)	أبو بكر ، حسان بن ثابت ، علي بن أبي طالب (433 ، 440 ، 441 ، 468 ، 236 ، 237)	التحاور معه و الاستشهاد بهم .

و– جدول معجم آل البيت :

الترقيم	معجم المنام	معجم الغفران	الوظيفة
1	أم حبيبة زوج الرسول ﷺ (53)	فاطمة بنت الرسول ﷺ (257)	حاجة البطل إليها : - ابن القارح إلى القضاء في التوبة . - العليمي إلى شربة ماء .

ز– جدول معجم الأدباء و اللغويين و الرواة و الفلاسفة و الحكام

الترقيم	معجم المنام	معجم الغفران	الوظيفة
1	كمال الدين الشهرزوري ، أبو	المبرد ، ابن دريد ، سيبويه ، الكسائي ،	المحاورة و إعطاء الحركية للسرد في المنام

كمـــــال الديـــــن	عبـيدة ، الأعشـى ،	و الغفران .
الشـــــهرزوري ،	زهير بن أبي سلمى	
الحسن بن منير ، تاج	، الـنابغة ، الذبيانـي	
الديــن الشــيرازي ،	، لبـيد بـن ربـيعة ،	
الحسـن بـن صـافي ،	طـرفة بـن العـبد ،	
أسد الدين شيركوه ،	الشـنفرى ، عمـرو	
بطليموس الحكيم ...	بـن كلـثوم ... عـبر	
عبر صفحات الرسالة	صفحات الرسالة	

ح – خصائص معجم الأعلام :

بعد تفحصنا لمعجم الأعلام في منام الوهراني المتناص مع رسالة الغفران ، أدركنا أن هناك ميزات أساسية مشتركة ، فالمعري وظف في رحلته شخوص عديدة و متنوعة ، و قد حذا الوهراني حذوه في توظيف العديد منهم .

مثل ذلك توظيف الوهراني لبطل مماثل لبطل المعري في غفرانه ، بحيث نجد اختيار الوهراني لبطل منامه لم يأت من فراغ ، بل جاء مماثلا في الوظيفة للدور الذي ألحقه المعري ببطله ، كما كان العليمي بطل المنام مساهما في إقامة الحوار بينه و بين طائفة من الشخوص ، كما صور لنا الوهراني بدوره الأهوال التي قاساها هو و العليمي في المحشر .

بالمقابل جَسَّد المعري بطله في صورة صديق حميم يُكِنُ له كل الحب و التقدير ، كان ذلك أديب حلب ابن القارح ، و قد جعله المعري يزور السعداء نزلاء الجنان و الأشقياء في سعير النيران ، و هو الذي حاور شخوص الغفران و هو الذي قصّ علينا الأهوال التي لاقاها في المحشر أيضا ، و نيله للجنان في نهاية المطاف ، كما تصور ذلك المعري .

كما طغت أسماء الملائكة على المنام و الغفران على حد سواء و بصورة جلية ، و هذا خدمة للمنحى العام للرسالة و المنام ، فالملائكة هي جزء من العالم الآخر الذي جعله المعري ثم الوهراني مسرحا لأحداث عمليهما الأدبيين .

كما قام الوهراني و صاحبه بمحاورة العديد من الأعلام المشهورة كان منهم اللغوي و النحوي و الفلكي و الفقيه و الوزير و القاضي .

بالمقابل تحدث ابن القارح مع طائفة من الأعلام المشهورة منهم الشعراء و المصنفون و النحويون و الرواة ، و قد حاور الكثير منهم في لوحات رسمها المعري بخياله.

إذا فالهدف المشترك بين توظيف الوهراني و توظيف المعري لمجموعة من الأعلام المشهورة هو محاورة هؤلاء ، و إعطاء الحركية و الحيوية للسرد ، فمن دونهم ما كانت لتتحقق و تتجسد غايات المعري و من بعده الوهراني ، مع الإشارة إلى أن هناك أهداف و مرام أخرى قصد إليها المعري و الوهراني على حدة .

و الملفت للانتباه أيضا هو ذلك التماثل الذي رصدناه بين الوهراني و المعري في توظيف الأول لشخصية أم حبيبة زوج الرسول ﷺ ، و الثاني لشخصية فاطمة بنت الرسول ﷺ ، بحيث كانت الوظيفة مشتركة بينهما .

فها هو الوهراني يقول متحدثا عن فضل أم حبيبة و قدرتها على إغاثتهم بشربة ماء أثناء مكوثهم في الموقف و احتياجهم للماء : << لو تقدمتم قليلا ما احتجتم إلى هذا كله (...) لأن أم حبيبة زوج النبي ﷺ ، تبعث إلى أخيها معاوية كل يوم خمس ثلجيات مزملات كل واحدة بقدر جبل الثلج ، فيها الماء الخاص من عين التسنيم >> [1] .

و يقابله ابن القارح بقوله و هو في الموقف طامعا في الشفاعة : << إن مولاتنا فاطمة عليها السلام قد دخلت الجنة مذ دهر ، و إنها تخرج في كل حين مقداره أربع

---

(1) منامات الوهراني ،: 53 .

و عشرون ساعة من الدنيا الفانية ، فتسلم على أبيها و هو قائم لشهادة القضاء ثم تعود إلى مستقرها من الجنان ، فإذا هي خرجت كالعادة فاسألوا في أمري بأجمعكم فلعلها تسأل أباها فيّ >> [1] .

و هذا يوضح التماثل بين توظيف الشخصيتين و التقارب الواضح بينهما ، و الذي يؤكد مرة أخرى تأثر الوهراني بالمعري ، و نشير إلى أن بقية الأعلام المشتركة ساهمت في تجسيد وقائع كل من المنام و الغفران أيضا ، لكن بنسب متفاوتة ، و قد أشرنا إليها في الجدول على حيالها على الحصر .

-معجم الطوائف و المذاهب الدينية المتناص و ما في حكمها :

لقد تعددت الطوائف التي وظفها الوهراني في منامه الكبير مقتديا في ذلك بما ورده المعري في غفرانه ، من ذلك الصوفية و الشيعة و الأشعرية و اليهود و غيرهم ، وقف أمامهم موقف المنتقد حينا و الموافق حينا آخر و قد حصرناها كما يلي :

- جدول معجم الطوائف و المذاهب الدينية :

الترقيم	معجم المنام	معجم الغفران	الوظيفة
1	الصوفية (48) .	الصوفية ، الشيعة (453 ، 463 ، 433 ، 458 ، 497)	نقد الطائفة و تبيين عيوبها.
2	الحنابلة ، اليهود (42 ، 56)	الأشعرية ، اليهود (466 ، 300)	نبذ الطائفة .

1) رسالة الغفران ،: 257 .

ب – خصائص معجم الطوائف و المذاهب الدينية :

يبدو أن الوهراني تناول مجموعة من الطوائف و وقف حيالها موقفا سبق للمعري أن وقفه أيضا ، فكانت الوظيفة واحدة مع الاتفاق في اختيار الطوائف حينا ، و اختلاف التسميات أحيانا أخرى .

فقد حاول الوهراني سلوك نفس منهج المعري في استخدام بعض الألفاظ الدالة على الطوائف و المذاهب الدينية و استخدامها لنفس الوظيفة ، من ذلك أنه نقد و ابتذل الصوفية ، و ذلك في قوله مثلا : << ... تقدمت إليه الصوفية (1) من كل مكان (...) غلب العجز و الكسل على طباعهم فتركوا المعايش و انقطعوا إلى المساجد يأكلون و ينامون (...) كانوا إلا كمثل شجر الخروع في البستان يشرب الماء و يضيق المكان >> [2] .

بالمقابل نجد نفس المنحى عند المعري ، إذ انتقد العديد من الطوائف و المذاهب الإسلامية ، منها أنه انتقد الصوفية و احتقرهم في كثير من مواضع غفرانه من ذلك قوله

---

(1) المتصوفة (فرقة إسلامية انفرد بها خواص أهل السنة المقبلين على العبادة باسم الصوفية و المتصوفة ، بعدما شهد العالم العربي في القرن الثاني و ما بعده مخالطة المتاع الدنيوي ، و فشا الإقبال عليه ، فهو اسم محدث بعد عهد الصحابة و التابعين ، و التصوف من الوجهة الدينية هو التضحية في سبيل القيامة بحقوق العبودية لله تعالى و الاتصاف بالأوصاف المحمدية و الآداب الشرعية و الإقبال على الله تعالى بالعبادات و الطاعات ، و بذل النفس و النفيس في سبيل الجهاد الأكبر و الأصغر في سبيل الله ﷻ ، و التفاني في حب الله و حب الرسول محمد ﷺ) .
ينظر : ماسينيون مصطفى عبد الرزاق ، التصوف ، ترجمة : إبراهيم خورشيد ،: 52 و رفيق العجم ، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ،: 184 و المولوي محمد التهانوي ، موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية ،: 4 / 830 – 837 .

(2) منامات الوهراني ،: 48 / 49 .

: << أ ما ترى الشيعة (1) ، في فتنة يغرها من دينها جعفر ؟ قد كنت مغرورا به برهة (...) ثم بدا لي خبر يستتر >> [2] ، و كأن المعري بهذا الكلام يحتقر هذه الطائفة و يمقتها و يبين عيوبها صراحة دون تستر يذكر .

وفي قول المعري عن المعتزلة أيضا : << كم متظاهر باعتزال (3) و هو مع المخالف في نزال ! يزعم أن ربه على الذرة يُخلد في النار بَلْهَ الدرهم و بَله الدينار و ينهمك يحتقب من المآثم عظائم و يقع في أطائم (4) ، و ينهمك على العهار و الفسق ... >> [5] .

إذا فالوهراني عمد إلى محاكاة المعري في توظيف الوحدات الإفرادية التي ألفيناها في معجم الغفران ، و من ثم فالوهراني ما هو إلا مقلد لمعجم الطوائف الذي استخدمه المعري في رسالته ، متخذا موقفا رافضا اتجاه الصوفية و الحنابلة و اليهود ، أي نفس

---

(1) الشيعة (فرقة إسلامية تقول إن الإمام يقوم بمهمة دينية مفوضا بها من قبل الله ﷻ و ذلك تماما مثل المهمة التي يقوم بها الرسول ، كما تسلم أهم فرق الشيعة بمبدأين أولهما : أن الإمامة حق إلهي و ثانيهما : أن الإمام معصوم ، كما أنهم لا يتفقون جميعا على شخص الإمام) ينظر : نادر ألبير نصري ، أهم الفرق الإسلامية السياسية و الكلامية ،: 18 / 19 .

(2) رسالة الغفران ،: 483 .

(3) المعتزلة (فرقة إسلامية ظهرت بعد الانقسام في الرأي بين واصل بن عطاء و الحسن البصري و انفصال واصل عن حلقة أستاذه ، و قد حاولت هذه الفرقة حل جميع المسائل الشرعية حلا منطقيا ، مؤمنة بالعقل و بسلطانه خصوصا كلام الله – القرآن – و في المسائل التي لم يتطرق لها السلف مثل الصفات الإلهية و الجبر و الاختيار ، و من أسباب اضمحلالهم ما يعود إلى طبيعة مذهبهم و طريقة تطبيقهم و نشرهم لنِحلهم ، منها ما يعود إلى تعقب أهل السنة لهم بضحد شبههم و انحرافاتهم) ينظر : نادر ألبير نصري ، أهم الفرق الإسلامية السياسية و الكلامية ،: 68 / 80 و علي الشابي ، أبو لبانة حسين ، عبد المجيد النجار ، المعتزلة ،: 140 / 150 .

(4) جمع أطيمة و هي موقد النار .

(5) رسالة الغفران ،: 465 .

الوظيفة التي توخاها المعري بوقوفه موقفا معارضا من الشيعة و الصوفية و الأشعرية و اليهود ، و بالتالي يظهر لنا جليا مدى تأثر الوهراني بالمعري من الناحية المعجمية لفظا و مدلولا .

3 – معجم أسماء الله الحسنى المتناص :

لقد ألفينا مجموعة من أسماء الله الحسنى و صفاته مشتركة بين المعري في غفرانه و الوهراني في منامه الكبير ، فالوهراني قلد المعري في توظيفها لفظا و مقصدا و أحيانا أخرى وظيفة فقط ، و ذلك في الكثير من صفحات العملين الأدبيين على حد سواء .

أ – جدول معجم أسماء الله الحسنى :

الترقيم	معجم المنام	معجم الغفران	الوظيفة
1	الله (17 ، 18 ، 23 ، 24 ، 26 ، 27 ، 28 ، 29)	الله (129 ، 168 ، 129 ، 132 ، 143 ، 129 ، 132 ، 143 ، 164 ، 155 ...)	القسم ، الدعاء ، تمييز الذات الإلهية ، و تعظيمها .
2	الرب ، البارئ ، الرحمن ، الرحيم ، الحق ، الكريم ، البصير ، الجواد ، الكريم ، رب العالمين (17 ، 24 ، 28 ، 36 ، 217 ، 29 ، 40 ، 31 ، 52)	الرب ، البارئ ، الرحمن ، الرحيم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، القدوس ، الملك ، المقتدر ، العزيز ، الخالق (	تمييز الذات الإلهية و تعظيمها .

		138 ، 199 ، 144 ، 222 ، 183 ، 226 ، 215 ، 183 ، 245 ، 220 ، 213 ...)	
3	أطال الله بقاءه (17)	أدام الله تمكينه (175)	الدعاء
4	و الله (43 ، 45 ، 53) هو الجواد الكريم (40)	و الله (189 ، 252 ، 319)	القسم
5		إن ربنا لغفور رحيم (262)	مغفرة الله للمذنبين من أمته و كرمه عليهم .

ب – خصائص معجم أسماء الله الحسنى :

لقد جمع هذا المعجم مجموعة من أسماء الله الحسنى المستمدة من القرآن و كتب السنة (1) ، فقد استخدمها المعري في غفرانه ، ثم حذا الوهراني حذوه فيها بتوظيفه لأسماء الله الحسنى في منامه الكبير ، إذ << أطلق العلماء على السمات التي تميز الذات الإلهية عن غيرها كلمة (الأسماء) >> [2] ، و هي المقصودة في تصنيفنا لهذا المعجم .

---

(1) لله ﷻ مئات الأسماء والصفات ، ينظر : عبد الصبور مرزوق ، معجم الأعلام و الموضوعات في القرآن الكريم ،: 11 إلى 65 .

(2) أحمد مختار عمر ، أسماء الله الحسنى – دراسة في البنية و الدلالة – ،: 03 .

و قد بلغ عدد ترديد أسماء الله الحسنى و صفاته في غفران المعري عشرات المرات ، و قد سار الوهراني على نفس هذا المنوال ، فأحيانا كان اللفظ يتردد أكثر من مرة في الصفحة الواحدة .

و كانت وظيفة أسماء الله الحسنى التي استعملها الوهراني في منامه و المعري في غفرانه متماثلة ، فمثلما قصد المعري تعظيم الله ﷻ في الجمل الاعتراضية ، قصده الوهراني أيضا ، و مثلما أقسم المعري بالله تعالى و دعا بأسمائه الحسنى فعل الوهراني أيضا .

و الملاحظ أيضا و بصورة ملفتة للانتباه هو تردد لفظ ﴿ الله ﴾ في المنام الكبير و رسالة الغفران على حد سواء ، عشرات المرات على حساب بقية أسماء الله الحسنى و صفاته ، و هو اسم (تفرد به الخالق و أورده في كتابه العزيز 2697 مرة) (1) ، إذ يعتبر لفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ << رأس الأسماء الربانية الحسنى التي وصف الله ذاته العليا بها ، و حضّ على ترديدها و الدعاء بها >> (2) .

4 – معجم أسماء العالم الغيبي المتناص و ما في حكمها :

لقد وظف المعري مجموعة من أسماء العالم الغيبي ، و تبعه الوهراني في منحاه هذا ، مثل أسماء يوم القيامة و أهوالها ، و الجنة و النار و ما يدل عليها ، و التي رصدناها في ما يلي :

أ – جدول معجم أسماء العالم الغيبي و ما في حكمها:

---

(1) ينظر : محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،: 49 / 37 .

(2) أحمد الشرباصي ، موسوعة له الأسماء الحسنى ،: 32 .

الترقيم	معجم المنام	معجم الغفران	الوظيفة
1	الآخرة ، يوم القيامة ،عرصة القيامة ، يوم الدين ، عبوس ، قمطرير (23 ، 43 ، 58 ، 46 ،21 ، 24)	الآخرة ، يوم القيامة ، عرصات القيامة (248 ، 308 ، 309 ، 529)	تعظيم أمر القيامة و الإكثار من ذكر أهوالها .
2	الجنة ، الفردوس ، حسناتي (33 ، 54 ، 59 ، 32 38)	الجنة ، الفردوس ، الجنان ، حسناتي (249 ، 215 ، 259 ، 261 ، 27 ، 250 ، 254)	تجسيد نعيم الجنة و الترغيب فيه .
3	الجحيم ، الهاوية ، النار ، الذنوب (38 ، 59 ، 41 ، 58 ، 59 ، 28 ، 37	الجحيم ، الهاوية ، النار ، الذنوب (364 ، 186 ، 368 ، 250)	تجسيد جحيم النار و الترهيب منه .
4	نزفته الأهوال ، أهوال الموقف ، المصيبة ، شدة الهلع ، الخوف ، ضعيف النفس ، خوار الطباع ، العرق ، التعب ، الفرق ،	البلية ، الهلع ، القل ، الرعدة ، الفزع ، الفزع الأكبر ، ضعيف ، منين ، العرق ، الفرق ، ترهق ، نهكه (240 ،	تجسيد أهوال اليوم الآخر .

	ارتياع عظيم ، الحزن ، العذاب المقيم ، الحسرات (23 ، 24 ، 29 ، 32 ، 37 ، 40)	251 ، 253 ، 256 ، 258 ، 262 ، 334) .	
5	الموقف ، المحشر ، الصراط (32 ، 23 ، 35 ، 38 ، 26)	الموقف ، المحشر ، الصراط (258 ، 259 ، 254 ، 260)	تجسيد أهوال اليوم الآخر .

ب – خصائص معجم أسماء العالم الغيبي و ما في حكمها:

لقد اجتاز الوهراني العالم الدنيوي ليجعل رحلته متخيلة إلى العالم الآخر حيث دار القرار الجنة و النار ، و ذلك بعدما حلم أن القيامة قد قامت و أنه بعث من قبره إلى أرض المحشر ، و لهذا الغرض فإننا نلفي معجما كاملا من الألفاظ الدالة على اليوم الآخر و ما يدل عليها من أهوال و أحداث ، و هي نفس الألفاظ التي كثيرا ما رددها المعري في غفرانه .

فأما أسماء القيامة فقد تكررت في المنام كما ترددت في الغفران أيضا ، و نحسب الوهراني تأثر بمفردات المعري ، إذ نلفيه يكرر نفس الوحدات الإفرادية الدالة على هذا اليوم مثل قوله : القيامة (1) ، الآخرة (2) ، يوم الدين (3) ، و وسمها بأسماء الأوصاف

---

(1) مثل قوله ﷻ : ﴿ الله لا إلَه إلا هُوَ لَيَجْمَعَنّكم إلى يَوْم القِيَامَة لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ : النساء : 87 .

(2) مثل قوله ﷻ :﴿ تِلْكَ الدّارُ الآخِرَة نَجْعَلها لِلّذين لا يُرِيدُون عُلوا في الأرْض و لا فسَادا ﴾ : القصص : 82 .

(3) مثل قوله ﷻ : ﴿ إن الفُجّارَ لَفي جَحِيم يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدّين ﴾ : الصافات : 15 .

أيضا ، مثل : يوم عبوس قمطرير (1).

و كل اسم من الأسماء التي أوردها المعري ثم الوهراني من بعده ، كان الغرض من توظيفها واحد ، و هو تعظيم يوم القيامة لأن كل << ما عظم شأنه ، تعددت صفاته و كثرت أسماؤه >> (2) ، لذلك فذكر المعري لاسم (القيامة) مثلا و تقليد الوهراني له جاء لنفس الهدف ، و هو تبيان << ما يقوم فيها من الأمور العظام التي بينتها النصوص ، و من ذلك قيام الناس لرب العالمين >> (3) ، و قولهما أيضا : الآخرة << لأنه اليوم الذي لا يوم بعده >> (4) .

أما الجنة و النار فقد أخذتا نصيبهما من غفران المعري ، و تبعه الوهراني في ذلك ، و قد ظهر هذا التماثل في (الجنة ، الفردوس ، الجحيم ، النار ، الهاوية) و في نفس العملين الأدبيين ، و كانت الوظيفة المشتركة هي الترغيب في الجنة و ملذاتها ، و في نفس الوقت الترهيب من النار و أهوالها .

أمّا ما يلفت انتباهنا و بصورة أخص ، فهي تلك المفردات التي وظفها الوهراني في منامه لإبراز أهوال القيامة التي تَشْدَه الناس و ترعبهم ، واصفا حالته بعد أن تصور نفسه و قد بُعث إلى أرض المحشر ، و التي قد أوردها المعري بصفة مماثلة ، واصفا حالة ابن القارح يوم القيامة ، فكلها تصور الفزع و الكرب الذي استولى على البطلين و الحسرة و الندم الكامنين فيهما ، من خوف و عرق و تعب و حسرة ، مما يؤكد و بصفة أكيدة تأثر الوهراني بالمعري في معجمه هذا .

5- معجم المغفرة و التوبة و الشفاعة المتناص :

---

(1) مثل قوله ﷻ : ﴿ إنّا نَخَافُ مِن رَبّنا يَوْما عبَوسًا قَمْطَريرا ﴾ : الإنسان : 10 .

(2) عمر سليمان الأشقر ، القيامة الكبرى ،: 30 .

(3) م . س ،: 20 .

(4) م . س ،: 21 .

-جدول معجم المغفرة و التوبة و الشفاعة :

الترقيم	معجم المنام	معجم الغفران	الوظيفة
1	غفر ، المغفرة ، غفر ، المغفرة ، مغفور له ...(36 ، 37 ، 40)	غفر ، المغفرة ، غُفر ، يغفر ، المغفرة المغفور له ، غُفر له ...(182 ، 183 ، 306 ، 141 ، 142 ، 251 ، 286 ، 182 ، 183 ، 306 ، 141 ، 142 251 ، 286 ، ...)	تجاوز الله تعالى على ذنوب المسيئين (مغفرة الله ﷻ لمن شاء من عباده دون حساب أو وساطة)
2	تغاظى الحق سبحانه، كرم الله ، الطمع في رحمة الله بعد اليأس منها ، الخلاص ، فوزهما بالجنة... (28 ، 36 ، 37)	إن ربنا لغفور ، غفورا رحمة ربنا وسعت كل شيء ، لا تقنطوا من رحمة الله ، الفوز (226 ، 182 ، 219)	الفوز بالجنة بعد ذلك ⇐ الطريقة الأولى في دخول الجنة .
3	الشفاعة ، شفع فيه	الشفاعة ، شفع لي	توسط الرسول ﷺ

	(40 ، 58)	(307 ، 251)	في إدخال العباد الجنة ⇐ الطريقة الثانية في دخول الجنة .
4	التوبة (56)	التوبة (249)	توبة العبد دون مغفرة و توسط ⇐ الطريقة الثالثة في دخول الجنة .

ب – خصائص معجم المغفرة و التوبة و الشفاعة :

إننا نجد الوهراني قد ركز على المغفرة ، فأوجد معجما خاصا يوازي به معجم المعري ، و كانت الوظيفة المشتركة بين الأديبين هي التركيز على دخول الجنة عن طريق مغفرة الله لعباده أو الشفاعة أو التوبة .

بالمقابل نلفي رسالة الغفران مكتظة بالمفردات التي تدل على المغفرة ، فأبو العلاء تصور ابن القارح و قد غُفر له ، و جعله يزور الجنان ليلتقي بطوائف مختلفة من الشعراء الذين غُفر لهم و نالوا الخلود في الجنة ، لذلك نجد الفعل (**غفر**) و الكثير مما اشتق منه ماثلا عبر صفحات رسالة الغفران .

و من الفقرات التي وردت في منام الوهراني و يظهر فيها تأثر الوهراني بالمعري من خلال توظيف نفس المعجم لأداء نفس الوظيفة ، قوله أثناء تصويره لجماعة من أهل المحشر مستبشرين في وسطهم أربعة يرقصون و يلعبون و الفرح ظاهر على وجوههم : << و أما الفرح الذي ألهاهم عن **توقع العقاب** حتى **استفزهم السرور** (...) هو **الطمع** في

رحمة الله تعالى بعد اليأس منها لعلمهم بما اجترحوا من العظائم ، و إنما قوي أطماعهم كون البارئ جلت قدرته غفر اليوم للفقيه المجير و المهذب النقاش ، فخذوا رحمكم الله بحظكم من هذه البشرى >> [1] .

و نقابل هذه الفقرة بما أورده المعري على لسان ابن القارح متعجبا من دخول الشاعر الجاهلي ابن الأبرص الجنة : << إن في ذلك لعجبا أ ألفيت حكما للمغفرة موجبا ، و لم يكن عن الرحمة محجبا ؟ >> [2] ، فيقول عبيد : << أخبرك أني دخلت الهاوية و كنت قلت في أيام الحياة :

مَـن يَسْأل النـّاسَ يَحْرمُوه ❁❁❁ وَ سَائـِلُ الله لا يَخِـيـبُ

و سار هذا البيت في آفاق البلاد ، فلم يزل يُنشد و يُخف عني العذاب حتى أطلقت مني القيود و الأصفاد ، ثم كرر إلى أن شملتني الرحمة ببركة ذلك البيت ، و إن ربنا لغفور رحيم ، فإذا سمع الشيخ – ثبت الله وطأته – ما قال ذانك الرجلان ، طمع في سلامته >> [3]

إذا من خلال هذا التقابل بين الفقرتين يتضح لنا كيف حاكى الوهراني المعري في توظيف مفردات هذا المعجم و دلالاته الوضعية مما يؤكد مرة أخرى تأثر الوهراني بالمعري في الجانب المعجمي من غفرانه .

و نفس ما قلناه عن المغفرة نقوله عن التوبة و الشفاعة ، و هما وسيلتان – بعد المغفرة الربانية – لنيل السعادة الأبدية في الجنان ، لكننا ارتأينا أن نمثل لهذا المعجم بما ذكرناه عن المغفرة فحسب ، لكوننا نمثل و لا نحصر .

6 – معجم الورود على حوض النبي محمد ﷺ المتناص :

لقد احتل معجم الورود على حوض الرسول الكريم ﷺ مكانا مميزا في منام الوهراني

---

(1) منامات الوهراني ،: 35 / 36 .

(2) ، (3) رسالة الغفران ،: 185 / 186 .

الكبير ، و لم يكن الوهراني فيه مبدعا بل مقلدا لما عثر عليه في غفران المعري ، و قد تعددت المفردات الدالة على الورود حاولنا جمعها و ضم المتماثل منها في ما يلي :

أ – جدول معجم الورود على حوض النبي محمد ﷺ :

الترقيم	معجم المنام	معجم الغفران	الوظيفة
1	الحوض، الحوض المورود ، المشرعة العظمى ، الورود ، الشربة ، قطرة ماء ، العطش ، يشرب ، يسقي ، لا نظمأ (47 ، 49 ، 51 ، 42 ، 43 ، 44 ، 48 ، 51 ، 42 ، 53 ، 52 ، 23)	الحوض ، الكوثر ، الورد ، النغبة (الجرعة) شراب ، نغبات ، العطش ، الظمأ ، الومد ، اللواب ، مهياف ، (سريع العطش) ، شرب ، نغبت ، لا نظمأ . 141 ، 268 ، 257 ، 143 ، 149 ،257 ، 248 ، 249 ، 350 ، 256 ، 257)	الشرب من الحوض بعد المنافسة عليه .
2	تزيلهم ، سيف ، اضربهم (58)	تذودهم ، الزبانية ،عصي ، تحترق ، ويل ، ثبور (257)	المنافسة على الحوض دون القدرة على الشرب منه .

ب – خصائص معجم الورود على حوض النبي محمد ﷺ :

إن الورود على حوض النبي محمد ﷺ و الرغبة في الارتواء من مائه ، قد شكّل هاجسا لبطل المنام و الغفران معا ، و تُرجمت هذه الرغبة الملحة في معجم شكّل نقطة اشتراك و تناص بين الوهراني و المعري، و ذلك بتوظيف العديد من المفردات الدالة على الحوض النبوي و ما يدور في فلكه في حالتين متناقضتين ، أولاها الورود على الحوض النبوي ثم الشرب و الكفاية منه ، و ثانيها صعوبة الوصول إليه ثم عدم الشرب منه .

و نمثل لذلك بقول الوهراني لصاحبه : << هل لك في أن نأتي **الحوض** فنَمُتّ عنده بالعلم و القرآن لعلهم **يسقونا** منه **شربة لا نظمأ بعدها** أبدا >> [1] ، ثم يقول على لسان أمير المؤمنين موجها كلامه إلى أحد قادة جيوشه – و هو في الدار الآخرة – : << خذ معك ألف رجل من السكاسك و السكون (2) و اقصد **المشرعة** التي عليها الأشتر النخعي (3) في جماعة من طيء و الهمذانيين و **اضربهم** بـ**السيف** حتى **تزيلهم** عنها ، فـ**أوردْ** هؤلاء حتى يبلغوا **بغيتهم** من **الماء** و ينصرفوا **سالمين** >> [4] .

و يقابله المعري بايراد ما رواه ابن القارح عن كيفية وصوله إلى الحوض النبوي ، إذ قال : << هممت بـ**الحوض** فكدت لا أصل إليه ، ثم **نغبت** منه **نغبات لا ظمأ بعدها** ، و إذا بـ**الكفرة** يحملون أنفسهم على **الورد** ، فـ**تذودهم الزبانية** بـ**عصي** تضطرم نارا ، فـ**يرجع** أحدهم و قد احترق وجهه أو يده و هو يدعو بويل و ثبور >> [5] .

---

(1) منامات الوهراني ،: 42 .

(2) (هم بنو أشرس بن كندة من بطون السكون بالشام) ، الهامش ، م ، س ،: 42 .

(3) (أمير بن جنيف مالك المعروف بـالأشتر شهد اليرموك و صفين ، توفي العام 37 هـ) ينظر : الزركلي ،الأعلام ،: 3 / 826 .

(4) منامات الوهراني ،: 57 / 58 .

(5) رسالة الغفران ،: 141 .

و من ثم فقد استغل الوهراني المعجم الذي وظفه المعري من أجل دلالة مشتركة ، هي محاولة الوصول إلى الحوض النبوي الشريف و الشرب منه حتى الارتواء و عدم الظمأ بعده ، و صدّ من لا يستحق ذلك إلى غير رجعة ، و قد بدا لنا ذلك واضحا مما يعزز لدينا صحة ذهابنا إلى القول بتأثر الوهراني بالمعري من خلال المعجم الذي وظفه .

7-المعجم المتناص على ما دل على المنام و ما في حكمه:

لا بد لنا من وقفة على معجم المنام و ما دل عليه ، باعتبار الأثر الأدبي الذي خلفه لنا الوهراني لا يخرج عن نطاق هذه التسمية ، و حتى المتن لم يخل منها و مما يدل عليها ، إلا أن الوهراني لم يخرج عن إطار التقليد الذي تجلى لنا في المعاجم السابقة ، إذ يتضح أمامنا هذا المنحى في ما يلي :

أ – جدول معجم ما دل على المنام و ما في حكمه :

الترقيم	معجم المنام	معجم الغفران	الوظيفة
1	امتنع عليه النوم ... (23)	رأيت في النوم أن القيامة قامت...(183)	
2	رأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قامت ... (23)	رأيت فيما يرى النائم كأن حبلا نزل من السماء ... (164)	الحكي بإعطاء الصبغة الخيالية من خلال الحلم في المنام في الرسالة و المنام
3	انتهيت من نومي خائفا مذعورا (60)	عرض في قول نام كخيال طرق في المنام ... (529)	

ب – خصائص المعجم المتناص على ما دل على المنام و ما في حكمه :

إن الذي يسترعي انتباهنا و اهتمامنا للوهلة الأولى هو ورود كلمة (المنام) و ما يدل عليها في المنام الكبير ، بعد أن وجدناها ماثلة في رسالة الغفران و بنفس الصيغة تقريبا ، و كان الهدف الذي قصده الوهراني هو نفسه الذي أراده المعري ، بحيث كانت الغاية البارزة هي إيهام السامع أو القارئ بأن الحكي الذي سيرد بعد ذلك ما هو إلا تخيلات عابرة في المنام ، أو على حد تعبير المعري : عرض في قول نام كخيال طرق في المنام .

و نشير إلى أن قصة المنام وردت في مستهل رسالة الغفران على لسان المعري نفسه تعقيبا على حكاية خلف في القافية ، و على لسان الشاعر زهير بن أبي سلمى حينما كان ابن القارح يتنزه في الفردوس .

ثم إن نوعية التخيلات ، أو ما رافقها من مفردات كانت متماثلة أيضا ، حتى كادت تكون نفسها في قول الوهراني و المعري معا : << رأيت فيما يرى النائم كأن ... >> أو في قولهما : << رأيت (...) أن القيامة قامت ... >> مما يدل حتما على اتباع الوهراني للمعري و تأثره به من الناحية المعجمية ، و يثبت مرة أخرى اشتراك الوهراني مع المعري في هذا المعجم الذي كان له الأثر البالغ في سير الأحداث ، خصوصا في المنام الكبير الذي سُمي بأحد ألفاظ هذا المعجم .

8 – معجم الأماكن و البلدان المتناص :

لقد حظي معجم البلدان و الأماكن باهتمام الوهراني ، و قد استغل في ذلك ما وظفه المعري في غفرانه ما بين دار الدنيا عموما و أسماء بلدان و أماكن مقصودة بعينها

و يظهر ذلك عبر الأمثلة التالية الموضحة في الجدول التالي :

أ – جدول معجم الأماكن و البلدان :

الترقيم	معجم المنام	معجم الغفران	الوظيفة
1	دار الدنيا ، الدنيا (41 ، 42 ، 43 ، 57 ، 58)	الدنيا ، الدنية ، الدانية (143 ، 308 ، 309)	الحط من قيمة الدار الدنيا و احتقارها .
2	الشام ، العراق ، الديار المصرية (23 ، 34 ، 35 ، 59 ، 22 ، 49)	الشام ، العراق ، مصر (280 ، 285 ، 280 ، 337 ، 399 ، 418 ، 57 ، 58 ،305 ، 411 ، 440 ، 495)	التمثيل و سرد الأحداث .

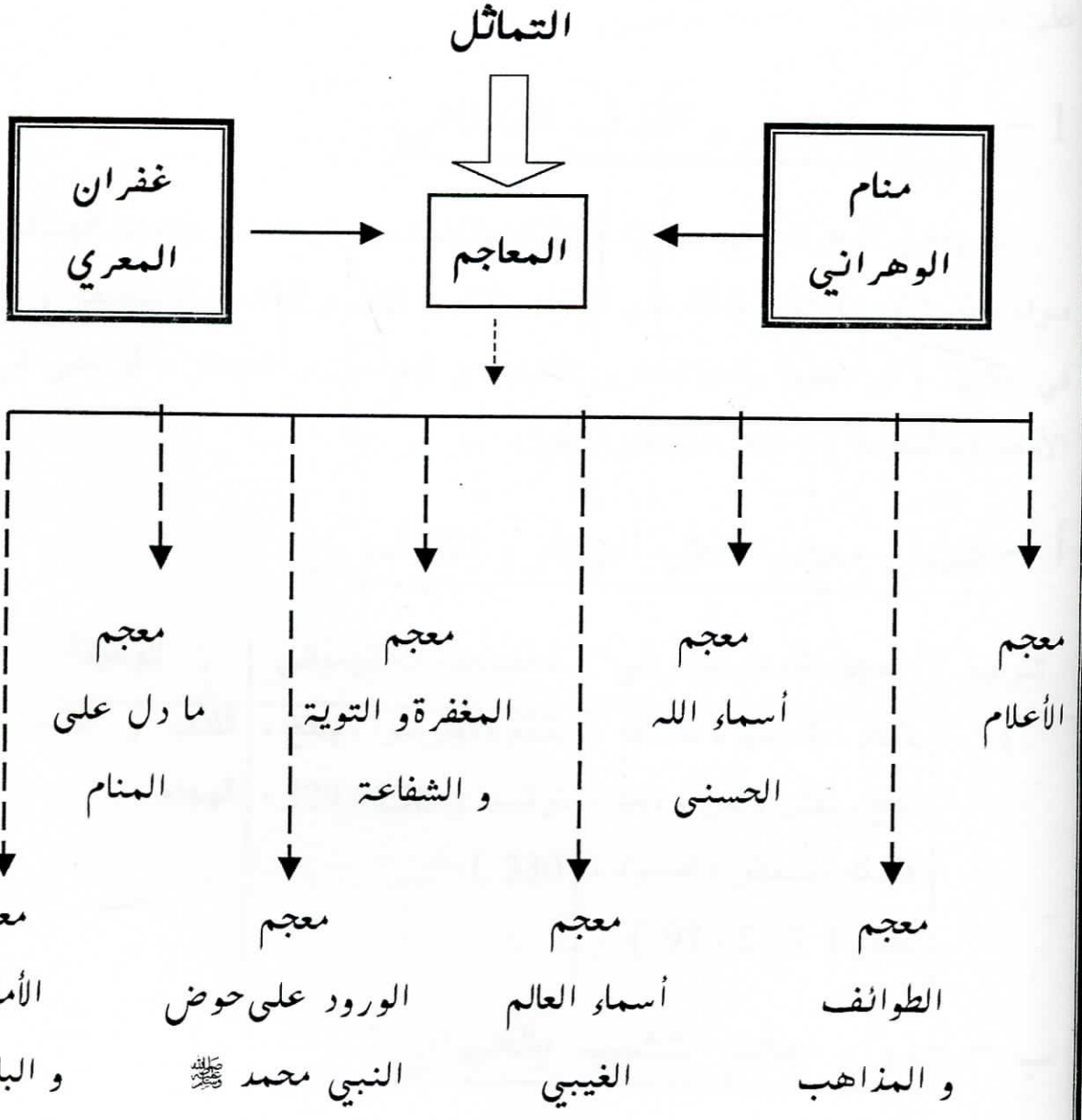
ب – خصائص معجم الأماكن و البلدان :

لقد تعددت الأماكن التي وظفها الوهراني في منامه ، بدءا بترديده للدار الدنيا أكثر من مرة ، و في مواضع أراد من خلالها التعبير عن احتقاره لهذه الدار الزائلة ، و تحبيبا للعمل من أجل دار القرار الأخيرة – ضمنيا – و هو ما وجدناه سلفا عند المعري .

ثم إن أكثر البلدان و الأماكن التي وظفها الوهراني هي بلاد عربية و أخصها بلاد الشام التي تكررت أكثر من مرة و في صفحات عديدة من المنام ، و قد سبقه المعري إلى توظيفها ، و قد كان الهدف الذي ابتغاه الوهراني هو التمثيل فقط و تجسيد أحداثه لا

غير ، مقتديا في ذلك بمبتغى المعري أثناء توظيفه لمعجم الأماكن و البلدان عند المعري في رسالة الغفران .

و أخيرا نخلص من ذلك كله لنؤكد على أثر معاجم الغفران في معاجم المنام ، و هذا يعني أن الوهراني حاكى مفردات معاجم المعري و وظائفها و نسج على منوالها لتتجسد أمامنا صورة التأثير كاملة من البناء الهيكلي للمنام ثم موضوعاته و بعدها أساليبه فمعجمه ، و نمثل لما توصلنا إليه في هذا الجزء من الدراسة بالخطاطة التالية :



ثانيا : في المقامات :

لم تخل مقامات الوهراني من التناص المعجمي ، فالكثير من المفردات التي وجدناها في مقاماته ، ما هي إلا ترديد لمفردات الهمذاني في مقاماته ، و كان الوهراني قد استلهمها و قلدها حينا و نسج على منوالها أحيانا أخرى ، بحيث أدت نفس الدور و الوظيفة ، و كانت هذه المعاجم دالة على الهجاء و القذف و المدح و الأماكن ، و جاءت على النحو التالي :

1 – معجم الهجاء و القذف المتناص :

لقد حاول الوهراني في مقاماته الثلاث استلهام معجم الهجاء من مقامات الهمذاني سواء تعلق الأمر بالأفعال الدالة على الهجاء و الذم و الثلب و القذف و الاستصغار و ما في حكمها ، أو تشبيها بالحيوانات و النجاسة و المواعين و الخضر ، أو حتى في الأوصاف الذميمة ، و نجمل ذلك في ما يلي :

أ – جدول معجم أفعال الهجاء و القذف :

الترقيم	معجم مقامات الوهراني	معجم مقامات الهمذاني	الوظيفة
1	يشتم ، يشالقها ، تشالقه ، أنفخ ، أنفش ، لعن ، خمد ، هلك ، تناثر ، اسوّد ، تتقنبع (2 / 5، 97)	يشتم ، تهارشوا ، ينفخ ، تواثبا (238 ، 329 ، 330)	القذف و الثلب و الهجاء .

ب – جدول معجم التشبيه بالحيوان :

الترقيم	معجم مقامات الوهراني	معجم مقامات الهمذاني	الوظيفة
1	حمار ، الثور ، التيس ، الخروف ، الأفاعي ، العقارب (2 – 5)	كلب ، قرد ، دودة ، أم حنين (العظاية) (97 ، 238 ، 329 ، 330)	القذف و الثلب و الهجاء .

ج – جدول معجم التشبيه بالنجاسة :

الترقيم	معجم مقامات الوهراني	معجم مقامات الهمذاني	الوظيفة
1	الكنيف ، أبو الخرا ، المرحاض ، المدابر ، البصاق(2 – 5 ، 97)	الكنيف ، البول ، وسخ ، قلح (238 ، 329 ، 330)	القذف و الثلب و الهجاء .

د – جدول معجم التشبيه بالمواعين :

الترقيم	معجم مقامات الوهراني	معجم مقامات الهمذاني	الوظيفة
1	دلو ، سطل (2 – 5 ، 97)	الماعون ، القدور (238 ، 330 ، 329)	القذف و الثلب و الهجاء .

هـ – جدول معجم التشبيه بالخضر و الأطعمة :

الترقيم	معجم مقامات الوهراني	معجم مقامات الهمذاني	الوظيفة
1	الباذنجان ، يقطينة ، الكِسَر (2 – 5 ، 97)	الثوم ، الزقوم ، التخمة ، النكهة (238 ، 330 ، 329)	القذف و الثلب و الهجاء .

و – جدول معجم التشبيه بالأوصاف الذميمة :

الترقيم	معجم مقامات الوهراني	معجم مقامات الهمذاني	الوظيفة
1	نحس ، ثقيل ، صياح ، طلل دارس ، التيه ، الجفا ، غلظ القفا (2 – 5 ، 97)	نحس ، ثقل ، ضجر ، رمد ، طمع ، لؤم ، شؤم ، بؤس ، طاعون ، نعل كيت و كيت ... (238 ، 329 ، 330)	القذف و الثلب و الهجاء .

ز – خصائص معجم الهجاء و القذف :

لقد ألفينا الهجاء – فيما قبل – موضوعة متناصة بين الوهراني و الهمذاني ، و ها نحن نتناوله من خلال المفردات التي رصدناها ، و فيها يبدو الوهراني مقلدا للهمذاني الذي<< اصطنع في ثلبه و هجاءه ألفاظا لم يكد يُسبق إليها في الاستعمال الأدبي العام >> [1]

و الملاحظ أن تأثر الوهراني بالهمذاني لم يكن في تقليد الوظيفة التي أدتها الألفاظ فحسب ، بل نجده يردد بعض المفردات بعينها أو ما يقاربها ، فأسماء الحيوانات مثلا تكررت مرارا في القذف و الهجاء عند الوهراني ، فقوله على لسان شمس الخلافة شاتما نفسه : << من أين لي بالخير و أنا مثل حمار العزيز [2] >> [3] و قوله أيضا : << فأقبل

---

(1) عبد الملك مرتاض ، فن المقامات في الأدب العربي ،: 354 .

(2) لقد ورد في القرآن الكريم ذكر الله ﷻ لحمار العزير الذي أماته ﷻ مائة عام ، ثم بعثه أمام عيني صاحبه في قوله ﷻ : ﴿ أنْظرْ إلى حِمَارك وَ لِنَجْعَلَك آيَة لِلنّاس وَ انْظُر إلى الْعِظَام كَيْف ننْشِزهَا ثم نكْسُوهَا لَحْمًا فلَمّا تَبَيّن لَهُ قَال أعْلَمُ أن الله علَى كُلّ شَيْء قَدِير ﴾ : البقرة : 259 . ينظر قصة العزير في : ابن كثير ، قصص الأنبياء ،: 537 / 542 .

(3) منامات الوهراني ،: 99 / 100 .

التيس يكرر لفظه >> [1] .

و يقابله الهمذاني بقوله في مقامته الدينارية – على سبيل المثال لا الحصر – على لسان المكدي موجها كلامه إلى الإسكندري : << يا نكهة الأسود ... يا كلبا في الهراش يا قردا في الفراش >> [2]

و من ثم فقد استخدم الوهراني مجموعة من الحيوانات للدلالة على القذف و الثلب و الهجاء ، وهو نفس الغرض الذي توخاه الهمذاني في مقامته أيضا ، كما أن الحيوانات التي استعملها الوهراني و الهمذاني في حد ذاتها لها بعض الدلالات و الرموز المهينة بالفرد ، و هذا لوحده تماثل بين الأديبين ، إذ من الممكن أن يقوم الناص بتوظيف الحيوان و النبات باعتبارها << آليات ناتجة عن المحيط الثقافي و الاجتماعي و السياسي >> [3] ، و في إطار هذه الآليات يمكن أن نقرأ رسالة الوهراني قراءة تناصية .

فعلى سبيل المثال فإن توظيف الوهراني للحمار و توظيف الهمذاني للكلب ، تتقارب من حيث الرمز و الدلالة إذ تشترك في تأدية وظيفة القذف ، فالكلب يرمز إلى<< القوى الخيرة والشريرة في آن واحد >> [4] ، أما الحمار فهناك الكثير من الأمثال في التراث العربي التي تحتقره فيُقال : << أجهل من حمار>> [5] و<< أذل من حمار >> [6] .

إذا فالوهراني قلد الهمذاني في استخدام الألفاظ البذيئة الدالة على الثلب و الشتم و الذم البشع المذموم بكثير من التصريح والإلحاح دون مراعاة للأخلاق العامة أو الوزاع الديني الذي ينهى عن ذلك .

---

(1) منامات الوهراني ،: 99 / 100 .

(2) مقامات الهمذاني ،: 300 .

(3) محمد مفتاح ، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي ،: 167 .

(4) إمام عبد الفتاح إمام ، معجم ديانات و أساطير العالم ،: 1 / 308 .

(5) إميل بديع يعقوب ، موسوعة أمثال العرب ،: 1 / 189 ، 277 .

(6) م . س ،: 1 / 277 .

2 – معجم المدح المتناص :

لقد استغل الوهراني معجم الهمذاني في المدح ليوظفه بدوره في مقاماته ، مرة بذكر الأوصاف الحميدة التي يتمتع بها الممدوح ، و مرة بإبراز الألقاب و الكنى المدحية ، و أخرى بتوظيف لفظ المدح في حد ذاته ، ونبين هذا التماثل كما يلي :

أ – جدول معجم الأوصاف الحميدة :

الترقيم	معجم مقامات الوهراني	معجم مقامات الهمذاني	الوظيفة
1	الفضل ، العدل ، الإيثار ، الإنصاف ، التواضع ، الشهمة ، سماحة النفس ، الأمانة ، الوفاء ، الحزم ، العزم ، الصولة ، الحلم ، الصرامة ، السعادة (07 ، 08 ، 09)	الفضل ، الشرف ، العطاء ، الإنعام ، الإحسان ، المكارم ، الشمائل الكريم ، الرحيم ، مؤدب (20 ، 290 ، 291 ، 346)	الإشادة بذكر الممدوح . - الرغبة في التكسب منه .

ب – جدول معجم الأسماء و الكنى المدحية :

الترقيم	معجم مقامات الوهراني	معجم مقامات الهمذاني	الوظيفة
1	أبو المعالي ، أسد الدين شيركوه ، صلاح الدين الأيوبي ، عضد الدين (04 ، 05 ، 06)	خلف بن أحمد ، خلف ، خلفي ، سيف الدولة (290 ، 291 ، 298 ، 302)	- الإشادة بذكر الممدوح . - الرغبة في التكسب منه .

ج – جدول معجم أفعال المدح :

الترقيم	معجم مقامات الوهراني	معجم مقامات الهمذاني	الوظيفة
1	يمدح (01)	أمدح ، مَدَح ، يمدح ، مَدْح (291 ، 346)	- الرغبة في التكسب من الممدوح .

د – خصائص معجم المدح :

مثلما عني الوهراني بموضوعة المدح كفكرة ، فإنه حاول تجسيدها في معجم على شاكلة ما فعله الهمذاني ، رغم اختلاف طريقة المدح و الممدوحين ، و كثيرة هي الألفاظ التي استلهمها الوهراني في ذلك بذكره هو الآخر لممدوحيه خصوصا القائد صلاح الدين الأيوبي رغبة في التكسب .

و آية ذلك ذكر الوهراني لممدوحيه و منهم صلاح الدين الأيوبي في قوله متحدثا عن الخلافة : << فاتفق أهل الحل (...) على تقليدها لابن أخيه الملك لما جُبل عليه من حميد الأوصاف و إيثار العدل و الإنصاف ، و ما اجتمع فيه من أخلاق الملوك ... >> [1] .

و يقابله الهمذاني بقوله على لسان الإسكندري مجيبا الراوي : << أي الأمطار يرويك ؟ قال : مطر خلفيٌّ >> [2] ، و قوله شعرا :

<< بحَيْث الدّين وَ المَلِكُ المُؤيَّد ❁❁❁ وَ حَدّ المَكْرُمَاتِ بهِ مُوَرّدْ

بأرْض تَنَبُت الآمَال فِيهَا ❁❁❁ لأنّ سَحَابَهَا خَلَفُ بنُ أحْمَدْ >> [3]

من جهة أخرى نجد الهمذاني يذكر صراحة غرض المدح في مقاماته و يوظف لذلك الفعل (مدح) ، و تبعه الوهراني في هذه النقطة أيضا كما أوضحناه في الجدول

---

(1) منامات الوهراني ،: 05 .

(2) ، (3) مقامات الهمذاني ،: 290 .

أعلاه .

إذا فالوهراني ما هو إلا مقلد لمعجم المدح عند الهمذاني ، مثلما قلد المعاجم السابقة ، مما يدل على تأثره به و محاكاته له .

3 – معجم الأماكن المتناص :

إن معظم الأماكن التي وظفها الوهراني في مقاماته ما هي إلا تقليد للأماكن التي عثرنا عليها في مقامات الهمذاني ، بدء من تسمية المقامات ، إلى مختلف الأماكن التي تساهم في وضع الحيز المكاني للحدث ، و قد حصرناها في ما يلي :

أ – جدول معجم أسماء المقامات :

الترقيم	معجم مقامات الوهراني	معجم مقامات الهمذاني	الوظيفة
1	البغدادية (بغداد) ، الصقلية (صقلية) .	البغدادية (بغداد) ، الكوفية (الكوفة) ، الأذربيجانية (أذربيجان)	تسمية المقامة .

ب – جدول معجم الأماكن في متن المقامات :

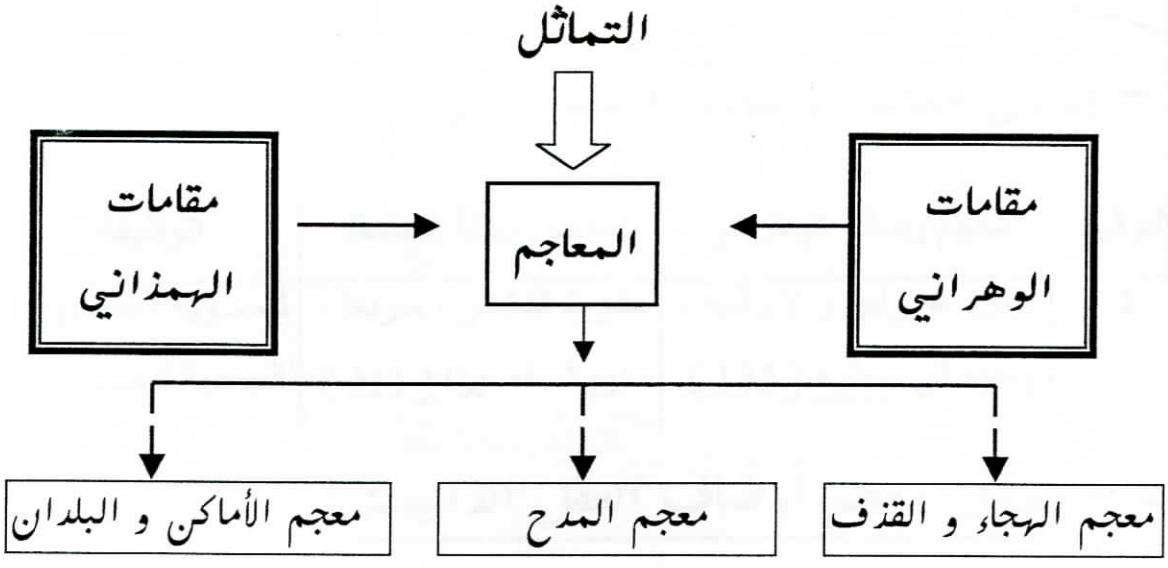
الترقيم	معجم مقامات الوهراني	معجم مقامات الهمذاني	الوظيفة
1	العراق ، مدينة السلام ، قسطنطينة ، المغرب الأقصى ، مصر ، الشام ... (01 ، 02 ، 05 ، 09 ، 20 ، 97 ، 100)	العراق ، بغداد ، الكوفة ، همذان ، جرجان ، سجستان ، البصرة ، دمشق ...(13 ، 20 ، 25 ، 35)	الحكي (توجه الراوي إليها / تذكّرها ...) .

ج – خصائص معجم الأماكن :

من خلال معجم البلدان نلاحظ أن الوهراني قلد الهمذاني في جعل لمقاماته مسميات بأسماء البلدان كالمقامة البغدادية – للوهراني – نسبة إلى المقامة البغدادية – للهمذاني – فنسج مقامتين – من مجموع مقاماته – على منوال أسماء مقامات الهمذاني .

كما قام الهمذاني بايراد مجموعة من أسماء البلدان و المناطق أثناء حكيه ، و هذا ما نجده عند الوهراني ، مما يدل على تأثر الوهراني بالهمذاني في معجم البلدان أيضا

و من ثم يتضح أمامنا كيف أن الوهراني استطاع أن يحاكي الهمذاني في مقاماته عموما ، ليس في قالبها و موضوعاتها و أساليبها فقط ، بل تعدى ذلك إلى التأثر الواضح بمعاجمها أيضا ، مما يؤكد ما ذهبنا إليه من تقليد الوهراني للهمذاني و اتباعه له من جميع النواحي ، و نوضح التماثل الذي توصلنا إليه في الخطاطة التالية :



ثالثا : في الرسائل :

لقد اصطنع الوهراني معاجم في رسائله سبق للجاحظ أن تناولها ، كانت تتردد بحذافيرها ، و أحيانا كان الوهراني يلجأ إلى استيعاب مدلولاتها ثم ينسج على منوالها ، و قد تلخصت في معجمين رئيسين هما : معجم الهجاء و القذف و معجم المصطلحات الفلكية فكان التماثل كما يلي :

1 – معجم الهجاء و القذف المتناص :

لم تسلم رسائل الوهراني من التناص المعجمي في الهجاء أيضا ، حيث عمد الوهراني إلى توظيف وحدات إفرادية مماثلة لما ألفيناه في رسالة التربيع و التدوير ، تراوحت بين أوصاف جسد الخصم و عقله الذميمة .

أ – جدول معجم أوصاف الجسد الذميمة :

الترقيم	معجم رسالة الوهراني	معجم رسالة الجاحظ	الوظيفة
1	ليس له رأس و لا رقبة ، وجهه في صدره (135)	مفرط القصر ، مربعا ، مدورا ، قصيرا (431)	تشويه الصورة الجسدية للخصم .

ب – جدول معجم أوصاف العقل الذميمة :

الترقيم	معجم رسالة الوهراني	معجم رسالة الجاحظ	الوظيفة
1	قليل العقل ، يدعي ، قليل الحياء ، قليل الفضل ، قليل التوفيق ، قلة عقله ، جاهل	يدعي ، جهله ، غباوته ، كثير الاعتراض ، شديد الخلاف ، الجهل ، لا يعلم	تشويه الصورة العقلية و النفسية للخصم .

	، لا يقنع ، لا يعلم ، قلة العقل ، الحماقة ، مكابرة ، بهتان ، نحسه ، كثير من جهله (22 ، 227)	، غُفلا ، قليل السماع ، لا يفهم ، يحسد ، لا يعرف (413 ، 432 ، 434)

ج – خصائص معجم الهجاء و القذف :

الملاحظ أن الوهراني عمد إلى تشويه صورة الخصم و هجائه ، ثم تشويه الجانب العقلي و النفسي له ، بنفس الوحدات الإفرادية تقريبا التي استعملها الجاحظ في رسالته محققا نفس الهدف و الوظيفة ، مما يثبت تأثر الوهراني بالجاحظ .

2 – المعجم الفلكي المتناص :

لم يكن المعجم الفلكي حكرا على الهمذاني في مقاماته فحسب ، فها هو الوهراني يحاكيه في توظيف المفردات الدالة على المعجم الفلكي في ما يلي :

أ – جدول المعجم الفلكي :

الترقيم	معجم رسالة الوهراني	معجم رسالة الجاحظ	الوظيفة
1	الشمس ، القمر ، المشتري ، الزهرة ، الأرض ، الأفلاك ، النجوم ، عطارد ، المريخ ، زحل ، الثريا (111)	الشمس ، القمر ، المشتري ، الزهرة ، الأرض ، الأفلاك ، النجوم ، عطارد (440)	السخرية .

ب – خصائص المعجم الفلكي :

لقد أفردنا معجما خاصا بالمصطلحات الفلكية التي أوردها الوهراني ، باعتباره معجما متناصا مع رسالة الجاحظ ، فقد كانت الوظيفة المشتركة بين توظيف المصطلحات الفلكية (1) عند الجاحظ أولا ثم المعري ثانيا هي السخرية من الخصم و الاستهزاء به .

فالوهراني عبر عن سخريته من خصمه بقوله : << لو أن بعض الفضلاء المتقدمين أو أحد الفصحاء المتكلمين خاض في أودية بنات الأفهام و غاص في بحار الأفكار على المعاني الأبكار ليمدح بذلك **السبعة الدراري** (2) (...) لما وجد لها أكمل من صفات مولاي القاضي الأجل أبقاه الله حتى لو أن شاعر **الفلك** و هو الشعرى العبور قصد إلى ملك **الكواكب** و حلها ممتدحا لها ، فوصف **زحل** بثبات المولى و أناته ، و نسب على **المشتري** ديانته و أمانته ، و استعار **للمريخ** عزمه و حزمه ، و أثنى على **الشمس** بسياسته و رياسته ، و مدح **الزهرة** ببشره و نشره ، و ذكر **عطارد** ببراعته و بلاغته ، و أثنى على **القمر** بإنجازه ... >> [3] .

بالمقابل فقد استمد الجاحظ سخريته من فكرة الطول و العرض ، فلجأ إلى إبرام

---

(1) علم الفلك هو (العلم الذي يدرس الكواكب و النجوم و الأجرام السماوية ، و لقد كان الاهتمام بعلم الفلك متواصلا في المنطقة الثقافية العربية منذ نهاية القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي ، و الذي يعكس لنا الجانب الكمي و المتمثل في عدد العلماء الذين اشتغلوا في علم الفلك النظري ، و عدد المؤلفات التي كتبت في هذا الميدان ، و عدد المراصد الخاصة و العامة التي تتالت) ، ينظر : ريجيس مورلون ، موسوعة تاريخ العلوم العربية ،: 1 / 25 .

(2) السبعة الدراري أسماء كواكب ، ينظر : منصور محمد حسب النبي ، موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء ، القسم الأول ،: 70 .

(3) منامات الوهراني ،: 112 .

وجهة نظر خصمه عبد الوهاب في الاحتجاج و الدفاع عن فكرة العرض و تقديمها على الطول ، و ذلك باستخدام وحدات إفرادية لها علاقة بعلم الفلك أيضا .

من ذلك قوله على لسان خصمه : << و قلت : و الناس و إن قالوا في الحسن كأنه طاقة ريحان و كأنه خيط بان (...) فقد قالوا : كأنه **المشتري** ، و كأنه **الشمس** ، و كأنه دارة **القمر** ، و كأنها **الزهرة** ، و كأنها درة (...) فقد ترَاهُم وصفوا المستدير و العريض بأكثر مما وصفوا به القضيب و الطويل ، و قلت : وجدنا **الأفلاك** و ما فيها و **الأرض** و ما عليها على التدوير دون التطويل >> [1] .

من خلال هذا التقابل الذي عمدنا إليه ، و قابلنا فيه بين الفقرتين ، يتبدى لنا كيف قلد الوهراني الجاحظ في توظيف مصطلحات فلكية لغرض التهكم و السخرية و الاستهزاء من الآخر ، فالجاحظ زيّن صورة الكوكب السماوية و بثها في نص رسالته رغبة منه في تصوير خصمه و هو يدافع عن جسده المدور بأسلوب مدح يراد به الهجاء و التهكم .

و من أجل ذلك أيضا حاول الوهراني إسباغ الصفات المميزة على خصمه للنيل منه و الاستهزاء به مقلدا في ذلك الجاحظ في معجمه ، و قد عمد إلى تكرار ألفاظ بعينها سبقه إليها الجاحظ ، زيادة في التدقيق و تأكيدا على ملازمة الصفة للخصم ، و تجسيدا لفكرته في نفوس السامعين لأن << أقوى إثارة تضمن الاستجابة ، ما جاء عن طريق التكرار أو الترديد لفعل أو عمل ما واحد ، أو أفعال تتقارب و تتكامل وظيفيا >> [2] .

و أخيرا ، و من خلال ما أوردناه من معاجم متناصة ، فإننا نخلص إلى القول أن الوهراني تأثر بالمعري في معجم غفرانه و الهمذاني في معجم مقاماته و الجاحظ في معجم رسائله تأثرا لفظيا ، بحيث أورد الوهراني وحدات إفرادية مماثلة لما ورد عند

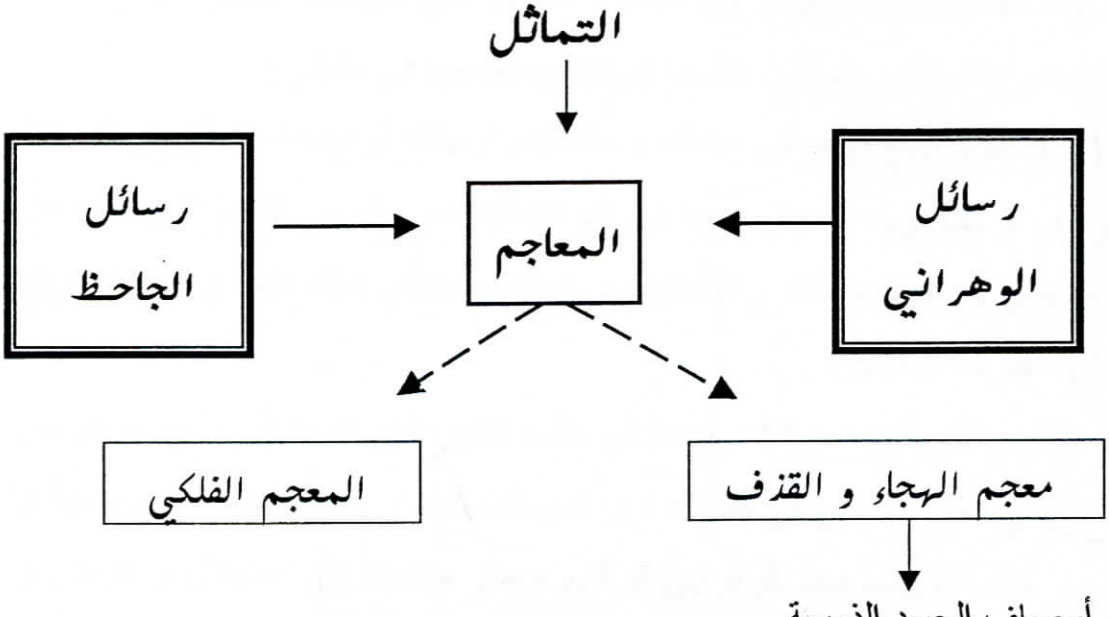
---

(1) رسالة التربيع و التدوير ،: 440 .

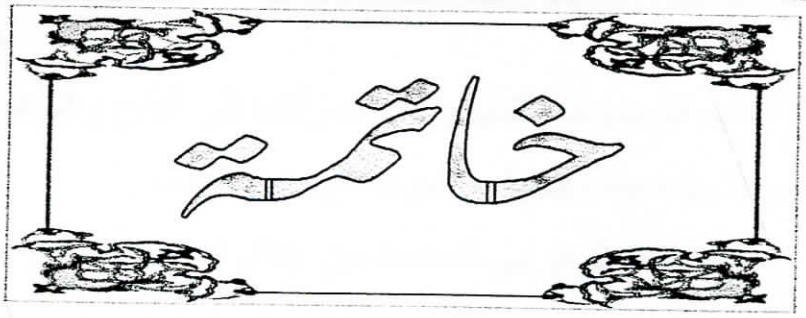
(2) مختار حبار ، الشعر الصوفي القديم في الجزائر ،: 76 .

هؤلاء الأدباء ، كما تأثر تأثرا وظيفيا بهم ، بحيث استلهم من معاجمهم الدور و الوظيفة ، و قد تنوعت بين وحدة الموقف أو المصير و غيره .

و نـوضح ما توصلنا إليه من تماثل بين رسالة الوهراني و رسالة الجاحظ من حيث المعاجم بالخطاطة التالية :



و بهذا تكون حلقة درسنا قد اكتملت من جميع الجوانب التناصية ، و هذا مما يدل حتما على أن الوهراني مطلع على رسالة الغفران متأثر بها ، عارف بمقامات الهمذاني متطبع بها ، معجب برسائل الجاحظ محاكي لها ، عبر هياكلها العامة و أساليبها و موضوعاتها و أخيرا عبر معاجمها ، و في كل هذا كان الوهراني في مناماته و مقاماته و رسائله مقلدا لا مبدعا ، متبِعا لا متَبعا .



بعد فصول أربعة تناولنا فيها ظاهرة التناص التي تربصت بنصوص الوهراني من مناماته و مقاماته و رسائل ، خلصنا إلى نتائج نلخصها في ما يلي :

❑ 1 عندما أبدع الوهراني مناماته و مقاماته و رسائله لم نجده قد انطلق في كل هذا من فراغ ، و لكنه وجد المجال ممهدا في التراث الإبداعي العربي القديم الذي سبقه من ناحية المعمار و الموضوعات و الأساليب و المعاجم ، فكان بذلك تابعا و مقلدا لمناويل سبقه إليها غيره ، لا مبتكرا .

فأما من ناحية **المعمار** فقد وجدناه في منامه الكبير الذي قسمه إلى مقدمة و عرض و خاتمة يأتي عمل المعري في غفرانه ، و الذي قسم معمار رسالته بدوره إلى مقدمة و عرض و خاتمة ، بينما نجد الوهراني قد قسم معمار مقاماته إلى استهلال و عرض و خاتمة مماثلا في ذلك البناء المعماري لمقامات الهمذاني ، و الذي يبدأ جل مقاماته باستهلال أصبح فيما بعد سمة دالة على طريقته المميزة في كتابة جنس المقامات ، في حين ألفينا الوهراني في رسائله مقلدا لمعمار رسالة التربيع و التدوير للجاحظ على مستوى المقدمة و متن الرسالة .

و عند تتبعنا للتناص **الموضوعاتي** في نصوص الوهراني وجدناه قد استلهم هذا الجانب ، بحيث نجده في منامه الكبير محاكيا للأثر الديني بتوظيفه لموضوعة العروج و موضوعة البعث و ما دلّت عليه من موتيفات لخصناها في الحشر و المغفرة و الشفاعة و العدل و حسن الظن بالله ﷻ و إحصاء أعمال العباد ، و من الوجهة الأدبية فقد أتى الوهراني صنيع المعري بتناوله لموضوعة الغفران الإلهي و موضوعة الشفاعة .

أما في المقامات فقد قلد الوهراني الهمذاني باتخاذه لموضوعات ثلاث أساسا له في

تأسيسها ، بحيث استلهم موضوعة الكدية و التي جزأناها إلى المدح و الزهو بالنفس ، ثم موضوعة نقد القيم الاجتماعية ، لتليها موضوعة الهجاء و القذف .

ثم توقفنا عند محاكاة الوهراني للجاحظ من خلال توظيفه لموضوعة السخرية و الهزل و ما انبثق عنها من هجاء ، ممثلا في الجهل و ادعاء فهم صنوف العلم دون أدنى معرفة بها و تشويه جسم الخصم و العبث به.

أما حينما تناولنا الجانب **الأسلوبياتي** من الدراسة ، فقد وجدنا الوهراني قد تأثر بأساليب سبقه إليها غيره ، فقد هيمنت على نصوصه أساليب بعينها ، سواء في المنامات أو المقامات أو الرسائل ، و قد قمنا بحصر هذه الأساليب في : الأسلوب القصصي في المنام الكبير و الذي قسمناه بدوره إلى الشخوص و الحدث والحيز المكاني و الحيز الزماني و الحوار ، ثم أسلوب الاستشهاد و الاقتباس و التضمين و التلميح ، و أخيرا أسلوب الاحتفال بالصنعة البديعية في المقامات و في الأسلوب الساخر الهزلي المبالغ فيه عبر الرسائل .

في حين شكّل التناص **المعجمي** آخر خطوة لإبراز تأثر الوهراني بمن سبقوه ، فقد أيقنا أن الوهراني قد أفاد من معاجم متنوعة أغنت رصيده و كانت جلها مستمد من الوحدات الإفرادية التي شكلت معاجم المعري في غفرانه و الهمذاني في مقاماته و الجاحظ في رسائله .

فأما في المنام الكبير فقد تنوعت هذه المعاجم بين معجم الأعلام و معجم الطوائف و المذاهب الدينية و معجم أسماء الله الحسنى و معجم أسماء العالم الغيبي و ما في حكمها و معجم المغفرة و التوبة و الشفاعة و معجم الورود على حوض النبي محمد ﷺ و معجم ما دل على المنام و ما في حكمه ، في حين استعار الوهراني معجم المدح و معجم الأماكن و البلدان من مقامات الهمذاني ، و من جهة أخرى بدا تأثر الوهراني بمعاجم الجاحظ لفظيا و وظيفيا واضحا في رسائله من خلال توظيفه لمعجم الهجاء و المعجم الفلكي .

❑ 2 لقد أدركنا العديد من الأبعاد المعرفية ، و الجمالية التي حفلت بها نصوص

الوهراني ، فانكشفت أمامنا براعة الناص (الوهراني) ، في كيفية انتقاء النصوص المختلفة و حسن توظيفها .

❑ 3 تنوعت عملية حضور بنيات نصية سابقة في نصوص الوهراني بين أشكال نصية صريحة واضحة البنية الخطية ، و بين نصوص أخرى أحدث الوهراني عليها تحويرات بالحذف أو بالزيادة أو بالتبديل و التغيير .

❑ 4 وجدنا في كتابات الوهراني تناصات متعددة كانت معانيها متضمنة في جملة أو في عبارة أو في فقرة ، من مميزاتها أنها حينا سهلة و يسيرة في الكشف عنها ، وأحيانا أخرى يصعب استحضارها و الوصول إليها ، بحيث يبدو النص الغائب كأنه جزء من بنية النص الماثل .

❑ 5 حظي النص الديني في منامات الوهراني و مقاماته و رسائله بالحظ الأوفر والحضور المميز، باعتباره مجالا خصبا للتواصل و من أهم و أضخم النصوص المعرفية في النتاج الأدبي العربي ، و الذي استغل كثيرا في إثراء النصوص الأدبية .

❑ 6 اعتمد الوهراني على الموروث الثقافي الأدبي فقد وجدنا رسالة الغفران و مقامات الهمذاني و رسائل الجاحظ حاضرة حضورا مميزا في مختلف نصوصه .

❑ 7 تفاعلت مختلف المعارف و الأساليب الفنية و تداخلت سواء الدينية أو الأدبيةأو التاريخية بشكل يصعب معه على القارئ التمييز بينها .

❑ 8 لقد بلغت المسحة الساخرة و التهكمية الهازلة المبالغ فيها من بعض الأشخاص أو من بعض المعتقدات أو القيم و الرموز الدينية ذروتها – أثناء دراستنا التطبيقية – دون وازع ديني أو ضابط علمي أو أدبي يحول دون ذلك .

❑ 9 كثيرا ما كان الوهراني يقوم بتوجيه القارئ عبر التحكم في النصوص الغائبة و تأويلها حسب مقصديته الخاصة .



قائمة المصادر والمراجع والحواشي

القرآن الكريم ، برواية حفص .

❁ أولا : المصادر العربية

الآمدي ، أبو القاسم :

📖 **1** – الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري ، تحقيق : السيد أنور صقر ، ج 1 ، دار المعارف بمصر ، 1380 هـ / 1961 م .

ابن الأثير ، أبو الفتح ضياء الدين :

📖 **2** – المثل السائر ، تحقيق : أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، ج 3 ، مطبعة الرسائل ، مصر ، 1381 هـ / 1962 م .

امرؤ القيس ، ابن حجر الكندي :

📖 **3** – الديوان ، تقديم و تحقيق : أنور أبي سويلم و علي الهروط و علي الشوملي ، شرح محمد الحضرمي ، دار عمار ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 1412 هـ / 1991 م .

البخاري ، أبو عبد الله :

📖 **4** – صحيح البخاري ، دار الشهاب ، الجزائر ، 1991 م .

البغدادي ، إسماعيل :

📖 **5** – هدية العارفين و آثار المصنفين ، ج 6 ، مكتبة المثنى ، بغداد ، العراق .

البغدادي ، الخطيب :

📖 **6** – تاريخ بغداد – أو مدينة السلام – ، ج $_1$ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط $_1$ ، 1417 هـ / 1997 م .

الجاحظ ، عمرو ابن بحر ابن محبوب :

📖 **7** – رسائل الجاحظ (الرسائل الأدبية) ، تقديم و تبويب و شرح : علي أبو ملحم ، ط $_2$ ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، 1991 م .

الجرجاني ، القاضي علي ابن عبد العزيز :

📖 **8** – الوساطة بين المتنبي و خصومه ، تحقيق و شرح : محمد أبي الفضل إبراهيم و البجاوي علي محمد ، منشورات دار المكتبة العصرية .

الحفناوي ، أبو القاسم محمد :

📖 **9** – تعريف الخلف برجال السلف (القسم الأول) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط $_2$ ، 1405 هـ / 1985 م .

الحموي ، ياقوت بن عبد الله :

📖 **10** – معجم البلدان (المجلد الرابع) ، مكتبة خياط ، بيروت ، لبنان .

الحنبلي ، أبو الفلاح :

📖 **11** – شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج $_3$ ، $_4$ ، المكتبة التجارية للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان .

ابن خلدون ، عبد الرحمان :

📖 **12** – تاريخ ابن خلدون المسمى : كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي التيجان الأكبر ، المجلد الأول ، المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط $_1$ ، 1413 هـ / 1992 م .

ابن خلدون ، يحيى :

📖 **13** – بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، ج ^{1} ، تقديم و تعليق و

تحقيق و تعليق : عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية ، 1400 هـ / 1980 م .

ابن خلكان ، شمس الدين :

14 – وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، ج $_{1}$ ، $_{2}$ ، $_{3}$ ، $_{4}$ ، تحقيق و تعليق و فهرسة : محمد مُحيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1367 هـ / 1948 م .

ابن رشيق ، أبو علي الحسن القيرواني :

15 – العمدة في محاسن الشعر و آدابه ، تحقيق محمد قرقزان ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، 1408 هـ / 1988 م .

الزركلي ، خير الدين :

16 – الأعلام ، ج $_{7}$ ، مطبعة كُوسْتَاتْسوماس و شركاه ، القاهرة ، مصر ، ط $_{2}$ ، 1375 هـ / 1956 م .

الزوزني ، أبو عبد الله الحسين :

17 – شرح المعلقات السبع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، 1414 هـ / 1999 م .

الزياني ، محمد بن يوسف :

18 – دليل الحيران و أنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تحقيق : المهدي البوعبدلي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1398 هـ / 1978 م .

ابن سيرين ، محمد :

19 – تفسير الأحلام الكبير المسمى : منتخب الكلام في تفسير الأحلام ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط $_{1}$ ، 1424 هـ / 2003 م .

طرفة ، ابن العبد :

20 – الديوان ، تقديم و شرح : عبد القادر محمد مايو ، دار القلم العربي ،

حلب ، سوريا ، ط 1 ، 1420 هـ / 1999 م .

ابن عبد ربه ، الأندلسي :

21 – العقد الفريد ، دار المسيرة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1401 هـ / 1981 م .

العسقلاني ، أحمد بن حجر :

22 – فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

العسكري ، أبو هلال :

23 – الصناعتان – الكتابة و الشعر – تحقيق : علي محمد البجاوي و محمد أبي الفضل إبراهيم و عيسى البابي الحلبي ، 1971 م .

عمرو ، ابن كلثوم :

24 – الديوان ، تقديم و ترتيب و شرح : عبد القادر محمد مايو ، دار القلم العربي ، حلب ، سوريا ، ط 1 ، 1419 هـ / 1999 م .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله ابن مسلم :

25 – الشعر و الشعراء ، تحقيق و شرح : أحمد محمد شاكر دار المعارف بمصر ، ج 1 ، 1969 م .

القرطبي ، أبو الوليد محمد بن أحمد :

26 – صحيح التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة ، اختصره و حققه و علّق عليه : أبو عبيدة أسامة الجمال ، ج 1 ، مكتبة أبو بكر الصديق ، ط 1 ، 1423 هـ / 2002 م .

ابن القيم ، الجوزية :

27 – الروح ، تحقيق : محمد إسْكَنْدرَيَلْدَا ، دار الكتاب العلمي ، بيروت ،

لبنان ، ط 1 ، 1402 هـ / 1982 م .

28 – حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، ضبط و تعليق و شرح : محمد خالد العطار ، دار الفكر للطباعة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1422 هـ / 1990 م .

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل :

29 – البداية و النهاية ، ج 3 ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان ، مكتبة النصر ، مصر ، ط 1 ، 1966 م .

30 – قصص الأنبياء ، مكتبة الشركة الجزائرية ، 1401 هـ / 1981 م .

31 – تفسير القرآن العظيم ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الجزائر، ط 1 ، 1410 هـ / 1990 م .

المزاري ، ابن عودة :

32 – طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ، ج 1 ، تحقيق : يحيى بوعزيز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1990 م .

مسلم ، ابن الحجاج أبو الحسن :

33 – الجامع الصحيح المسمى : صحيح مسلم ، دار المعرفة للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان .

المظفر ، ابن الفضل العلوي :

34 – نظرة الإغْرِيض ِ في نُصْرَةِ القريض ، تحقيق : نهى عارف حسن ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، 1396 هـ / 1976 م .

المعري ، أبو العلاء :

35 – رسالة الغفران ، تحقيق و شرح : عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف بمصر ، ط 5 ، 1969 م .

المقدسي ، المطهر بن الطاهر :

📖 **36** – كتاب البدء و التاريخ ، المجلد الرابع ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر .

ابن منظور ، أبو الفضل جلال الدين :

📖 **37** – لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1412 هـ / 1981 م .

الميداني ، أبو الفضل إبراهيم :

📖 **38** – مجمع الأمثال ، تحقيق و تفصيل و ضبط الغرائب و تعليق الحواشي : محمد أبي محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، 1374 هـ / 1955 م .

النسائي ، أبو عبد الرحمان :

📖 **39** – سنن النسائي ، شرح : الحافظ جلال الدين السيوطي و حاشية السندي ، ج $_1$ ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

ابن هشام ، أبو محمد :

📖 **40** – السيرة النبوية ، ج $_2$ ، تحقيق و التعليق : سعيد محمد اللحام ، تقديم و مراجعة : صفي جميل القطار ، دار الفكر للطباعة و النشر ، 1424 هـ / 2003 م .

الهمذاني ، بديع الزمان :

📖 **41** – مقامات الهمذاني ، تقديم و شرح الغوامض : محمد عبده ، دار موفم للنشر ، الجزائر ، 1988 م .

الوهراني ، محمد بن محرز :

📖 **42** – منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، تحقيق : إبراهيم شعلان و محمد نغش ، مراجعة : عبد العزيز الأهواني ، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1387 هـ / 1968 م .

❁ ثانيا : المراجع العربية

الأسمر ، راجي :

📖 **1** – أروع ما قيل في الهجاء ، دار النفائس ، للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط $_1$ ، 1413 هـ / 1992 م .

الأشقر ، عمر سليمان :

📖 **2** – القيامة الكبرى ، دار النفائس للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط $_{12}$ ، 1422 هـ / 2001 م .

باشا ، عمر موسى :

📖 **3** – نظرات جديدة في غفران أبي العلاء ، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر ، دمشق ، ط $_1$ ، 1989 م .

بكار ، يوسف حسين :

📖 **4** – بناء القصيدة في النقد العربي القديم ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ، ط $_2$ ، 1403 هـ / 1983 م .

البنكاني ، أبو أنس :

📖 **5** – تنبيه الأنام بما في الأقوال و الأفعال من الآثام ، دار النفائس ، ابن حزم ، ط $_2$.

بورايو ، عبد الحميد :

📖 **6** – منطق السرد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994 م .

بورويبة ، رشيد (و آخرون) :

📖 **7** – الجزائر في التاريخ ، وزارة الثقافة و السياحة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر .

بوعزيز ، يحيى :

📖 **8** – أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة ، ج 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1995 م .

التهناوي ، المولوي بن علي :

📖 **9** – موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية ، ج 4 ، شركة خياط للكتب و النشر ، بيروت ، لبنان .

التوينخي ، محمد و الأسمر ، راجي :

📖 **10** – المعجم المفصل في علوم اللغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1414 هـ / 1993 م .

جلاب ، حسن :

📖 **11** – الدولة الموحدية (أثر العقيدة في الأدب) ، ط 2 ، السلسلة الأدبية 1 ، منشورات الجامعة ، إبريل 1983 م – مارس 1985 م .

الجيلالي ، عبد الرحمن :

📖 **12** – تاريخ الجزائر العام ، ج 1 – 2 ، ط 4 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، 1402 هـ / 1982 م .

حبار ، مختار :

📖 **13** – الشعر الصوفي القديم في الجزائر إيقاعه الداخلي و وظيفته ، ديوان المطبوعات الجامعية ، وهران ، 1997 م .

📖 **14** – شعر أبي مدين التلمساني (الرؤيا و التشكيل) ، منشورا ت اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2002 م .

حسن ، زكي محمد :

📖 **15** – كنوز الفاطميين ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، 1401 هـ / 1981 م .

حسب الله ، محمد منصور ، و آخرون :

16 – موسوعة ما فرطنا في الكتاب من شيء (المعارف الكونية بين العلم و القرآن) ، القسم الأول ، مركز عباد الرحمن و دار الفكر العربي ، المملكة العربية السعودية ، القاهرة ، 1418 هـ / 1998 م .

حمدون ، غسان :

17 – تفسير من نسمات القرآن ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر و دار سحنون للنشر و التوزيع ، تونس .

حمزة ، عبد اللطيف :

18 – أدب الحروب الصليبية ، دار الفكر العربي ، ط $_2$ ، 1984 م .

19 – الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، مصر .

خلدون ، بشير:

20 – الحركة النقدية على أيام ابن رشيق المسيلي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1981 م .

الدمشقي ، محمد منير :

21 – معجم آيات القرآن الكريم ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، 1404 هـ / 1984 م .

راجع ، عبد الله :

22 – القصيدة المغربية المعاصرة ، بنية الشهادة و الاستشهاد ، ج $_2$ ، الدار البيضاء ، عيون المقالات ، ط $_1$ ، 1988 م .

السد ، نور الدين :

23 – الأسلوبية و تحليل الخطاب الشعري ، ج $_2$ ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر ، 1997 م .

سعد الله ، أبو القاسم :

24 – تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 2 ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت ، لبنان ، 1985 م .

سلام ، محمد زغلول :

25 – النقد الأدبي الحديث ، منشأة المعارف بالإسكندرية .

الشابي ، علي ، و آخرون :

26 – المعتزلة بين الفكر و العمل ، الشركة التونسية للتعليم ، تونس ، 1979 م .

شاكر ، عبد الجبار :

27 – ماذا بعد الموت ؟ ، دار مكتبة الهلال ، (بدون تاريخ) .

الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي :

28 – الإسراء و المعراج المسمى : الفضل الفائق في معراج خير الخلائق ، ط1 ، 1424 هـ / 2003 م .

الشايب ، أحمد :

29 – الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، مصر ، ط 2 ، 1982 م

شبارو ، محمد عصام:

30 – السلاطين في المشرق العربي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1994 م .

الشرباصي ، أحمد :

31 – موسوعة له الأسماء الحسنى ، ج 1 – 2 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1408 هـ / 1987 م .

شرف ، عبد العزيز :

32 – الأدب الفكاهي ، مكتبة لبنان ، الشركة العالمية للنشر – لونجمان – ،

1922 م .

الشكعة ، مصطفى :

📖 **33** – بديع الزمان الهمذاني (رائد القصة العربية و المقالة الصحفية) ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان 1979 م .

الصابوني ، محمد علي :

📖 **34** – قبس من سور القرآن الكريم (من سورة الأعراف و الأنفال) ، ط $_2$ ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، 1409 هـ / 1989 م .

الصوفي ، عبد اللطيف :

📖 **35** – مصادر اللغة في المكتبة العربية ، دار الهدى للطباعة و النشر ، عين مليلة ، الجزائر .

ضيف ، شوقي :

📖 **36** – الفن و مذاهبه في النثر العربي ، ط $_6$ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر .

📖 **37** – المقامة ، ط $_3$ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1973 م .

الطعمي ، مُحيي الدين :

📖 **38** – موسوعة الإسراء و المعراج المسماة : تطريز الديباج بتهافت الإسراء و المعراج ، ط $_1$ ، مكتبة الهلال ، 1994 م .

عبد الفتاح ، إمام :

📖 **39** – معجم ديانات و أساطير العالم ، مكتبة مدبولي ، القاهرة .

عبد الله ، إبراهيم ، و آخرون :

📖 **40** – معرفة الآخر ، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ، المركز الثقافي العربي (دون تاريخ) .

عثماني ، ميلودي :

41 – شعرية تودوروف ، ط 1 ، عيون المقالات ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1990 م .

العجم ، رفيق :

42 – موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي ، مكتبة لبنان ، ط 1 ، 1996 م .

العكاوي ، إنعام فوال :

43 – المعجم المفصل في علوم البلاغة و البديع و البيان و المعاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1996 م .

علوش ، سعيد :

44 – النقد الموضوعاتي ، شركة بابل للنشر و الطباعة ، الرباط ، المغرب ، 1989 م .

عميرات ، زكريا محمد :

45 – الأحاديث القدسية الصحيحة ، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة و الجماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 1423 ،هـ 2002 /م

عنان ، محمد عبد الله:

46 – عصر المرابطين و الموحدين ، في المغرب و الأندلس، القسم الثاني (عصر الموحدين و انهيار الأندلس الكبرى) ، ط 1 ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، القاهرة ، مصر ، 1384 هـ / 1964 م .

العوبي ، رابح :

47 – فن السخرية في أدب الجاحظ ، ط 1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1409 هـ / 1989 م .

الغذامي ، عبد الله محمد :

📖 **48** – ثقافة الأسئلة – مقالات في النقد و النظرية – دار سعاد الصباح ، ط 2 ، 1993 م .

غنيمي ، هلال محمد :

📖 **49** – الأدب المقارن ، دار العودة و دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .

فضل ، صلاح :

📖 **50** – نظرية البنائية في النقد الأدبي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1982 م .

قميحة ، جابر :

📖 **51** – التقليدية و الدرامية في مقامات الحريري ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1984 م – 1985 م .

كحالة ، عمر رضا :

📖 **52** – معجم قبائل العرب القديمة و الحديثة ، ج 3 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1388 هـ / 1968 م .

كليب ، عبد الملك علي :

📖 **53** – أهوال القيامة ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، ط 6 ، 1406 هـ / 1986 م .

لحميداني ، حميد :

📖 **54** – سحر الموضوع في النقد الموضوعاتي في الرواية و الشعر ، منشورات دار سال ، مطبعة النجاح الجديدة ، 1990 م .

📖 **55** – بنية النص الروائي منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 1991 م .

المباركفوري ، صفي الرحمن :

56 – الرحيق المختوم (بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1423 هـ / 2002 م .

المحامي ، محمد كامل حسن :

57 – الملائكة ، المكتبة العالمية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان .

محمود البقري ، أحمد ماهر :

58 – يوسف في القرآن ، دار النهضة العربية ، 1404 هـ / 1984 م .

مختار ، أحمد عمر :

59 – أسماء الله الحسنى ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط $_1$ ، 1417 هـ / 1997 م .

مرتاض ، عبد الجليل :

60 – البنية الزمنية في النص الروائي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1993 م .

مرتاض ، عبد الملك :

61 – فن المقامة في الأدب العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1980 م .

62 – تحليل الخطاب السردي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 م .

63 – الأدب الجزائري القديم ، دار نعومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر .

المرتجي ، أنور :

64 – سيميائية النص الأدبي ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1987 م .

مرزوق ، عبد الصبور :

📖 **65** – معجم الأعلام و الموضوعات في القرآن الكريم ، دار الشروق ، ط 1 ، 1415 هـ / 1995 م .

المسدي ، عبد السلام :

📖 **66** – الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، ط 2 ، 1982 م .

مصطفى ، محمود:

📖 **67** – الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الأيوبي ، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر ، القاهرة ، 1387 هـ / 1967 م .

المعاضيدي ، خاشع :

📖 **68** – الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي ، ط 1 ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، العراق ، 1975 – 1976 م .

معوض ، محمد فتحي :

📖 **69** – الفكاهة في الأدب العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1390 هـ / 1970 م .

مفتاح ، محمد :

📖 **70** – دينامية النص ، تنظير و إنجاز المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1999 م .

📖 **71** – تحليل الخطاب الشعري – إستراتيجية التناص – ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1999 م .

📖 **72** – المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 2 ، 1999 م .

📖 **73** – مشكاة المفاهيم – النقد المعرفي و المثاقفة – ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 2000 م .

نصري ، ألبير نادر :

74 – أهم الفرق الإسلامية السياسية و الكلامية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، أيلول ، المطبعة الكاثوليكية ، 1966 م .

نقرة ، التهامي :

75 – عقيدة البعث في الإسلام ، الجامعة التونسية ، نشرية مركز الدراسات و الأبحاث الاقتصادية و الاجتماعية ، ط 2 .

نويهض ، عادل :

76 – معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ، ط 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف و الترجمة و النشر ، بيروت ، لبنان ، 1400 هـ / 1980 م .

هدارة ، محمد مصطفى :

77 – مشكلة السرقات في النقد العربي ، 1958 م .

يعقوب ، إميل بديع :

78 – موسوعة أمثال العرب ج 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1415 هـ / 1995 م .

يقطين ، سعيد :

79 – إنفتاح النص الروائي (النص و السياق) ، ط 1 ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان .

يوسف ، عوض نور :

80 – فن المقامة بين المشرق و المغرب ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1979 م .

ثالثا : الدوريات العربية

أبرير ، بشير :

1 – السيمياء و تبليغ النص الأدبي ، مجلة : السيميائية و النص الأدبي : أعمال ملتقى معهد اللغة العربية و آدابها ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، 15 / 17 ماي 1995 م ، منشورات جامعة عنابة .

بلواهم ، محمد :

2 – علم العلامات و النص الأدبي ، سلطة القاريء ، مجلة : السيميائية و النص الأدبي : أعمال ملتقى معهد اللغة العربية و آدابها ، جامعة عنابة باجي مختار ، 15 / 17 ماي 1995 م ، منشورات جامعة عنابة .

بوعناني ، مختار :

3 – فهرس الرسائل الجامعية للشعبة الأدبية في الوطن العربي ، مجلة اللغة و الأدب ، العدد : 7 ، معهد اللغة العربية و آدابها ، جامعة الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1415 هـ / 1995 م .

تحريشي ، محمد :

4 – أسس المكون الثقافي للحماديين مجلة دراسات جزائرية ، العدد 1 ، معهد اللغة العربية و آدابها ، جامعة وهران ، جوان 1997 م .

جمعة ، حسين :

5 – نظرية التناص ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مجلد 75 ، ج 2 .

حمادو ، إبراهيم :

6 – الفكاهة في الأدب العربي القديم ، مجلة دار المعلمين ، العدد 1 ، جامعة الوسط ، سوسة ، تونس ، 1991 م .

درويش ، أحمد :

7 – الأسلوب و الأسلوبية ، مجلة فصول ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، أكتوبر – ديسمبر 1984 م (مدخل في فصول البحث و مناهجه) .

روابنية ، الطاهر :

8 – شعرية الدال في بنية الاستهلال في الشعر العربي القديم ، مجلة : السيميائية و النص الأدبي : أعمال ملتقى معهد اللغة العربية و آدابها ، جامعة عنابة باجي مختار ، 15 / 17 ماي 1995 م ، منشورات جامعة عنابة .

السد ، نور الدين :

9 – مفارقة النص الأدبي لمرجعه ، مجلة : السيميائية و النص الأدبي : أعمال ملتقى معهد اللغة العربية و آدابها ، جامعة عنابة باجي مختار ، 15 / 17 ماي 1995 م ، منشورات جامعة عنابة .

سعيدي ، محمد :

10 – حركة الشخصية في الرواية ، مجلة الحداثة ، العدد : 03 ، معهد اللغة العربية و آدابها ، جامعة وهران ، يونيو 1994 م .

فضل ، صلاح :

11 – علم الأسلوب و صلته بعلم اللغة ، مجلة فصول ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، أكتوبر – ديسمبر 1984 م (مدخل في فصول البحث و مناهجه) .

كديك ، جمال :

12 – السيميائيات السردية بين النمط السردي و النوع الأدبي ، ، مجلة : السيميائية و النص الأدبي : أعمال ملتقى معهد اللغة العربية و آدابها ، جامعة باجي مختار ، عنابة ، 15 / 17 ماي 1995 م ، منشورات جامعة عنابة .

المنجد ، صلاح الدين :

13 – الوهراني و رقعته عن مساجد دمشق ، مجلة المجمع العلمي العربي

دمشق ، مجلد 40 ، ج 1 ، كانون الثاني – يناير – 1956 م .

نغش ، محمد :

📖 **14** – منامات الوهراني و مقاماته و رسائله ، مجلة الثقافة ، العدد : 24 ، وزارة الثقافة و الإعلام ، الجزائر ، 1394 هـ / 1975 م .

يزلي ، عمار :

📖 **15** – مقاربة موضوعاتية لدراسة الأهزوجة النسوية عن حرب التحرير ، مجلة دراسات جزائرية ، العدد 1 ، معهد اللغة العربية و آدابها ، جامعة وهران ، جوان 1997 م .

رابعا : المراجع و الدوريات المترجمة

دو لاكروا :

1 – الأسلوبية ، ترجمة : وائل بركات ، دار معد للطباعة و النشر و التوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 1996 م .

شولز ، روبرت :

2 – السيمياء و التأويل ، ترجمة : سعيد غانمي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1994 م .

كريستيفا ، جوليا :

3 – علم النص ، ترجمة : فريد الزاهي ، مراجعة عبد الجليل ناظم ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 1997 م .

ماسينيون ، مصطفى عبد الرزاق :

4 – التصوف ، ترجمة : إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس و حسن عثمان ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، ط 1 .

مورلون ، ريجيس :

5 – موسوعة تاريخ العلوم العربية ، ج 2 ، مقال : علم الفلك النظري و التطبيقي ، ترجمة : أحمد سعيد سعيدان ، مركز دراسات الوحدة العربية .

خامسا : الرسائل الجامعية المخطوطة

الشيخ ، حليمة :

1 – الكتابة في معلم رولان بارط ، رسالة ماجستير (مخطوطة) ، جامعة وهران ، 1997 م – 1998 م .

صدار ، نور الدين :

2 – السرقات الأدبية في ضوء نظرية التناص ، رسالة ماجستير (مخطوطة) ، جامعة وهران ، 2000 م – 2001 م .

ابن عبد الله ، الأخضر :

3 – موضوعة جان دارك في الأدب العالمي ، دكتوراه دولة في الأدب المقارن (مخطوطة) ، جامعة وهران ، 1991 – 1992 م .

بوقربة ، الشيخ :

4 – المنهج النقدي عند ابن رشيق القيرواني ، رسالة ماجستير (مخطوطة) ، جامعة دمشق ، 1407 هـ – 1987 م .

❁ سادسا : المراجع الأجنبية

Barthes , Roland :

📖 **1** – Le plaisir du texte , Edition du Seuil , Paris , 1973 .

Genette , Gérard :

📖 **2** – Introduction De l'architexte, collection poetique , Edition du Seuil , Paris , 1976 .

Derrida , Jaques :

📖 **3** –De la grammatologie , collection : critique les Editions de miuit , Paris , France , 1967 .

Kristéva , Julia :

📖 **4** – Sémiotike , recherche pour une semanalyse , Edition du Seuil , Paris , 1969 .

📖 **5** – Nouveau dictionnaire pratique QUILLET , Paris , France 1974 .

الفهرس

مقدمة البحث ..... أ

مدخل : ابن محرز الوهراني 01

1 – حياته 02

2 – أدبه 05

3 – تناصاته 08

الفصل الأول : التناص المعماري 24

تمهيد في المعمار 25

أولا : في المنامات 27

1 – عرض المنام الكبير للوهراني – نموذجا –..... 27

2 – البناء المعماري للمنام الكبير 31

(أ – المقدمة) 31

(ب – المتن) 32

(ج – الخاتمة) 32

3 – عرض رسالة الغفران للمعري 33

4 – البناء المعماري لرسالة الغفران 35

(أ – المقدمة) 35

(ب – المتن) 36

(ج – الخاتمة) 37

5 – عناصر التناص 37

(أ – عنصر الداعي) 38

(ب – عنصر المقدمة) 40

(ج – عنصر المتن).....43

(د – عنصر الخاتمة).....45

ثانيا : في المقامات 46

1 – عرض مقامات الوهراني 47

2 – البناء المعماري لمقامة الوهراني في شمس الخلافة
– نموذجا –.....50

(أ – المقدمة – الاستهلالية –) 51

(ب – المتن) 51

(ج – الخاتمة) 52

3 – عرض مقامات الهمذاني – المقامة البغدادية
– نموذجا –.....52

4 – البناء المعماري للمقامة البغدادية.....54

(أ – المقدمة).....54

(ب – المتن) 55

(د – الخاتمة) 55

5 – عناصر التناص 56

(أ – عنصر الاستهلال) 56

(ب – عنصر المتن) 59

(ج – عنصر الخاتمة) 63

ثالثا : في الرسائل 65

1 – عرض رسالة الوهراني التي كتبها إلى بعض أصدقائه بسبب قصيدة التاج الكندي 66

2 – البناء المعماري لرسالة الوهراني 67

(أ – المقدمة) 67

(ب – المتن) 67

3 – عرض رسالة التربيع و التدوير للجاحظ 68

4 – البناء المعماري لرسالة التربيع و التدوير للجاحظ 70

(أ – المقدمة) 70

(ب – المتن).....70

(ج – الخاتمة) 70

5 – عناصر التناص 71

(أ – عنصر المقدمة) 71

(ب – عنصر المتن) 73

الفصل الثاني : التناص الموضوعاتي 176

تمهيد في الموضوعة.....77

أولا : في المنامات 81

1 – التناص الديني.....81

أ – موضوعة العروج 82

ب – موضوعة البعث 87

- الحشر 89

- المغفرة 91

- الشفاعة 93

- حسن الظن بالله 97

- إحصاء أعمال العبد 98

2 – التناص الأدبي 99

أ – الغفران الإلهي 99

ب – موضوعة الشفاعة 102

ثانيا : في المقامات 105

1 – الكدية 105

أ – المدح 106

ب – الزهو بالنفس 108

2 – نقد القيم الاجتماعية 109

3 – الهجاء و القذف 112

ثالثا : في الرسائل 117

1 – موضوعة السخرية و الهزل 117

أ – الهجاء 117

– بين رسالة الوهراني في التاج الكندي
و رسالة التربيع و التدوير للجاحظ 117

– الجهل 118

– ادعاء فهم صنوف العلم دون أدنى
معرفة بها..... 118

– بين رسالة الوهراني إلى مجد الدين بن عبد
المطلب و رسالة التربيع و التدوير للجاحظ 120

– تشويه جسم الخصم و العبث به 121

الفصل الثالث : **التناص الأسلوبياتي**.....**124**

تمهيد في الأسلوب.....125

أولا : في المنامات 129

1 – التناص القصصي في المنام 130

أ – الشخوص 130

– الشخصية المحورية – البطل - 131

– الشخصيات الثانوية 133

ب – الحدث 134

– الحدث الاستهلالي 135

– الحدث التوهمي 135

– الحدث الديني المشترك 136

– الحدث البينة 137

ج – الحيز المكاني 138

– أرض المحشر 138

– الحوض النبوي 139

– الجنة 140

– المطلع / حبل الأعراف 142

د – الحيز الزماني.....143

هـ – الحوار.....144

ثانيا : في المقامات.....147

1 – أسلوب الاستشهاد و الاقتباس و التضمين و التلميح..... 147

2 – الأساليب البلاغية – الاحتفال بالصنعة البديعية -.....152

ثالثا : في الرسائل.....156

1 – الأسلوب الساخر الهزلي الهزلي المبالغ فيه..... 157

الفصل الرابع : التناص المعجمي.....162

تمهيد في مفهوم المعجم.....163

أولا : في المنامات.....166

1 – معجم الأعلام المتناص و ما في حكمها..... 166

أ – جدول معجم الشخوص – البطل -.....167

ب – جدول معجم الأنبياء و الرسل 167

ج – جدول معجم الملائكة 168

د – جدول معجم الجن 169

هـ – جدول معجم الصحابة 169

و – جدول معجم آل البيت 169

ز – جدول معجم الأدباء و اللغويين و الرواة
و الفلاسفة و الحكام 169

ح – خصائص معجم الأعلام 170

2 – معجم الطوائف و المذاهب الدينية المتناص و ما
في حكمها..... 172

أ – جدول معجم الطوائف و المذاهب
الدينية 172

ب – خصائص معجم الطوائف و المذاهب
الدينية 173

3 – معجم أسماء الله الحسنى المتناص 175

أ – جدول معجم أسماء الله الحسنى 175

ب – خصائص معجم أسماء الله الحسنى 176

4 – معجم أسماء العالم الغيبي المتناص و ما في حكمها 177

أ – جدول معجم أسماء العالم الغيبي و ما في حكمها 177

ب – خصائص معجم أسماء العالم الغيبي و ما في حكمها 179

5 – معجم المغفرة و التوبة و الشفاعة المتناص 180

أ – جدول معجم المغفرة و التوبة و الشفاعة 181

ب – خصائص معجم المغفرة و التوبة و الشفاعة 182

6 – معجم الورود على حوض النبي ﷺ المتناص 183

أ – جدول معجم الورود على حوض
النبي ﷺ 184

ب – خصائص معجم الورود على حوض
النبي ﷺ 185

7 – المعجم المتناص على ما دل على المنام
و ما في حكمه 186

أ – جدول معجم ما دل على المنام
و ما في حكمه 186

ب – خصائص معجم ما دل على المنام
و ما في حكمه 187

8 – معجم الأماكن و البلدان المتناص 187

أ – جدول معجم الأماكن و البلدان المتناص ...188

ب – خصائص معجم الأماكن و البلدان 188

ثانيا : في المقامات 190

1 – معجم الهجاء و القذف المتناص 190

أ – جدول معجم أفعال الهجاء و القذف 190

ب – جدول معجم التشبيه بالحيوان.....192

ج – جدول معجم التشبيه بالنجاسة..... 191

د – جدول معجم التشبيه بالمواعين 191

هـ – جدول معجم التشبيه بالخضر و الأطعمة... 191

و – جدول معجم التشبيه بالأوصاف الذميمة...192

هـ – خصائص معجم الهجاء و القذف 192

2 – معجم المدح المتناص 194

أ – جدول معجم الأوصاف الحميدة.....194

ب – جدول معجم الأسماء و الكنى المدحية...194

ج – جدول معجم أفعال المدح 195

د– خصائص معجم المدح.....195

3 – معجم الأماكن المتناص.....196

أ – جدول معجم أسماء المقامات 196

ب – جدول معجم الأماكن في متن المقامات...196

ج – خصائص معجم الأماكن 197

ثالثا: في الرسائل 198

1 – معجم الهجاء و القذف المتناص.....198

أ – جدول معجم أوصاف الجسد الذميمة.....198

ب – جدول معجم أوصاف العقل الذميمة 198

ج – خصائص معجم معجم الهجاء و القذف 197

2 – المعجم الفلكي المتناص.....199

أ – جدول المعجم الفلكي 199

ب – خصائص المعجم الفلكي 200

خاتمة البحث 203

قائمة المصادر و المراجع و الدوريات 206

الفهرس 229

